كتاب

الموازنة بين أبي تمام والبحتري

للشيخ العلامة

« أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى »

مطبوعات
مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده
بميدان الأزهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي هذا ما حثثت أدام الله لك العز والتأييد والتوفيق والتسديد على تقديمه من الموازنة بين أبي تمام بن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري في شعريهما وقد رسمت من ذلك ما أرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة وأحسن في اعتماد الحق وتجنب الهوى المعونة منه برحمته ووجدت أطال الله عمرك أكثر من شاهدته ورأيته من رواة الأشعار المتأخرين يزعمون أن شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي لا يتعلق بجيده جيد أمثاله ورديه مطروح مرذول فلهذا كان مختلفا لا يتشابه وأن شعر الوليد بن عبيد الله البحتري صحيح السبك حسن الديباج ليس فيه سفساف ولا رديء ولا مطروح ولهذا صار مستويا يشبه بعضه بعضاً ووجدتهم فاضلوا بينهما لغزارة شعريهما وكثرة جيدهما وبدائعهما ولم يتفقوا على أيهما أشعر كما لم يتفقوا على أحد مما وقع التفضيل بينهما من شعر الجاهلية والأسلام والمتأخرين وذلك كمن فضل البحتري ونسبه إلى حلاوة النفس وحسن التخليص ووضع الكلام في مواضعه وصحة العبارة وقرب المعاني وانكشاف المعاني وهم الكتاب والأعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة ومثل من فضل أبا تمام ونسبه إلى غموض المعاني ودقتها وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج وهؤلاء أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام وإن كان كثير من الناس قد جعلهما طبقة وذهب قوم إلى المساواة بينهما فأما أصحاب البحتري فيقولون إن البحتري أعرابي الشعر مطبوع على مذهب الأوائل وما فارق عمود الشعر المعروف وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام فهو بأن يقاس بأشجع السلمي ومنصور وأبي يعقوب المكفوف وأمثالهم من المطبوعين أولى ولأن أبا تمام شديد التكلف صاحب صنعة ومستكره الألفاظ والمعاني وشعره لا يشبه أشعار الأوائل ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة فهو بأن يكون في حيز مسلم بن الوليد ومن حذا حذوه أحق وأشبه وعلى أني لا أجد من أقرنه به لأنه ينحط عن درجة مسلم لسلامة شعر مسلم وحسن سبكه وصحة معانيه ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا الأسلوب لكثرة

محاسنه وبدائعه واختراعاته ولست أحب أن أطلق القول بأيهما أشعر عندى لتباين الناس فى العلم واختلاف مذاهبهم فى الشعر ولا أرى لأحد أن يفعل ذلك فيستهدف لذم أحد الفريقين لأن الناس لم يتفقوا على أى الأربعة أشعر فى امرئ القيس والنابغة وزهير والأعشى ولا فى جرير والفرزدق والأخطل ولا فى بشار ومروان ولا فى أبى نواس وأبى العتاهية ومسلم لاختلاف آراء الناس فى الشعر وتباين مذاهبهم فيه فان كنت أدام الله سلامتك ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق فالبحترى أشعر عندك ضرورة وإن كنت تميل إلى الصنعة والمعانى الغامضة التى تستخرج بالغوص والفكرة ولا تلوى على غير ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ولكنى أقارن بين قصيدتين من شعرهما إذا اتفقتا فى الوزن والقافية وإعراب القافية وبين معنى ومعنى فأقول أيهما أشعر فى تلك القصيدة وفى ذلك المعنى ثم احكم أنت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علما بالجيد والردئ وأنا ابتدئ بما سمعته من احتجاج كل فرقة من اصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى عند تخاصمهم فى تفضيل أحدهما على الآخر وما ينعاه بعض على بعض لتتأمل ذلك

(قوله وما ينعاه الخ قال فى القاموس نعى ذنوبه أى أظهرها) (كذا) ويزداد بصيرة وقوة فى حكمتك إن شئت أن تحكم واعتقادك فيما لعلك تعتقد احتجاج الخصمين به قال صاحب أبى تمام كيف يجوز لقائل أن يقول أن البحترى أشعر من أبى تمام وعن أبى تمام أخذ وعلى حذوه احتذى ومن معانيه استقى وباراه حتى قيل الطائى الاكبر والطائى الأصغر واعترف البحترى أن جيد أبى تمام خير من جيده على كثرة جيد أبى تمام فهو بهذه الخصال أن يكون أشعر من البحترى اولى من أن يكون البحترى أشعر منه قال صاحب البحترى أما الصحبة فأصحبه ولا تلمذله ولا روى ذلك أحد عنه ولا نقله ولا رأى قط أنه محتاج إليه ودليل هذا الخبر المستفيض عن اجتماعهما وتعارفهما عند أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى وقد دخل اليه البحترى بقصيدته التى أولها أفاق صب من هوى فأفيقا وأبو تمام حاضر فلما أنشدها عاق أبو تمام أبياتا كثيرة منها فلما فرغ من الانشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال أيها الأمير ما ظننت أن أحداً يقدم على أن يسرق شعرى وينشده بحضرتى حتى اليوم ثم اندفع ينشد ما حفظه من أتى على أبيات كثيرة من القصيدة فبهت البحترى ورأى أبو تمام الانكار فى وجه أبى سعيد محمد بن يوسف فحينئذ قال له أبو تمام أيها الأمير والله ما الشعر إلا له وانه أحسن فيه الاحسان كله وأقبل يقرظه ويصف معانيه ويذكر

محاسنه ثم جعل يفخر باليمن وانهم ينبوع الشعر ولم يقتنع من محمد بن يوسف حتى أضعف له الجائزة فهذا الخبر الشنيع يبطل ما ادعيتم إذ كان من (لعله لا) يقول هذه القصيدة التي هي من عين شعره وفاخر كلامه وهو لا يعرف أبا تمام إلا أن يكون بالخبر يستغنى عن أن يصحبه أو يتلمذ له أو لغيره فى الشعر وقد أخبرنى أنا رجل من أهل الجزيرة ويكنى أبا الوضاح وكان عالماً بشعر أبى تمام والبحترى وأخبارهما أن القصيدة التى سمع أبو تمام من البحترى عند محمد بن يوسف وكان اجتماعهما وتعارفهما القصيدة التى أولها فيم ابتدار كما الملام ولوعا وأنه لما بلغ إلى قوله فيها

فى منزل ضنك تخال به القنا بين الضلوع إذا انحنين ضلوعا

نهض إليه أبو تمام فقبل بين عينيه سروراً به وتحققاً بالطائية ثم قال أبى الله إلا أن يكون الشعر يمنياً قال صاحب البحترى إلا أن مع هذا لا ينكر أن يكون قد استعار بعض معانى أبى تمام لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البحترى من شعر أبى تمام فيعلق شيئاً من معانيه معتمداً للأخذ أو غير معتمد وليس ذلك بمانع من أن يكون البحترى أشعر منه فهذا كثير قد أخذ من جميل وتلمذ له واستقى من معانيه فما رأينا أن أحداً أطلق فى كثير أن جميلا أشعر منه بل هو عند أهل العلم بالشعر والرواية أشعر من جميل وهذا ابن سلام الجمحى ذكره فى كتاب الطبقات فى الطبقة الثانية من شعراء الاسلام جعله مع البعيث والقطامى وذكر أنه عند أهل الحجاز خاصة أشعر من جرير والفرزدق والأخطل وجعل جميلا فى الطبقة السادسة مع عبد الله بن قيس الرقيات والأحوص ونصيب إلا أنه قال أن جميلا يتقدمه فى النسيب وهذا غير مقبول منه لأنه إنما يحكيه عن نفسه وأهل الحجاز إنما قدموا كثيراً من أجل نسيبه وحسن تصرفه فيه وحكى عن جرير أنه قال فى بعض الروايات كثيراً أنسبنا ويدل على تقدمه فى النسيب قول أبى تمام فى قصيدة يمدح بها سعيد الكاتب أولها من سجايا الطاول أن لا تجيبا

لو يفاجى ركن المديح كثيرا بمعانيه خالهن نسيبا

طاب فيه المديح والتذ حتى فاق وصف الديار والتشبيبا

أراد أن كثيراً لو فاجأه هذا المديح على حسن نسيبه لخاله نسيباً وخص كثيراً لشهرته لنسيب وبراعته واحتمل ضرورة الشعر ورد كثيراً ولم يقل جميلا ولا جريراً ولا غيرهما مما لا ضرورة فى اسمه وعلى أن كثيراً ذكر اسمه مكبراً أما ضرورة وأما

اعتمادا لتفخيم اسمه وان لا يأتى به محقراً فقال

وقال لى الواشون ويحك انها ... بغيرك حقا يا كثير تهيم

وقد ذكر أبو تمام كثيرا فى موضع آخر فجاء به مكبرا فى قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصفه بالبلاغة وهو قوله

فكأن قسا فى عكاظ يخطب ... وكثير عزة يوم بين ينسب

وذلك لعلم ابى تمام بتقدم كثير فى النسيب على غيره وشهرته بالتجويد فيه على أن جميلا لا شعر له مما يعتد به الا فى النسيب والغزل فقد علمتم الآن أن هذه حالة لا توجب لكم تفضيل ابى تمام على البحترى من أجل أنه أخذ شيئا من معانيه وأما قول البحترى جيده خير من جيدى وردي خير من رديه فهذا الخبر أن كان صحيحا فهو للبحترى لا عليه لان قوله هذا يدل على أن شعر أبى تمام شديد الاختلاف وشعره شديد الاستواء والمستوى الشعر أولى بالتقدمة من المختلف الشعر وقد اجتمعنا نحن وأنتم على أن أبا تمام يعلو اعلواً حسنا وينحط انحطاطا قبيحاً وأن البحترى يعلو بتوسط ولا يسقط ومن لا يسقط ولا يسفسف أفضل ممن يسقط ويسفسف والذى نرويه عن أبى على محمد بن العلاء السجستانى وكان صديق البحترى أنه سئل البحترى عن نفسه وعن أبى تمام فقال أغوص على المعانى وأنا أقوم بعمود الشعر وهذا الخبر هو الذى يعرفه الشاميون دون غيره وسمعت أبا على محمد بن العلا أيضاً يقول كان البحترى عند نفسه أشعر من أبى تمام وسائر الشعراء المحدثين وقد ذكر فيه أخبار الشعراء نحواً من ذلك قال ابو على محمد بن العلا كان البحترى إذا شرب وأنس أنشد شعره قال ألا تسمعون ألا تعجبون قال وكان مع هذا أحسن الناس أدب نفس لا يذكر شاعر محسن أو غير محسن إلا قرظه ومدحه وذكر احسن ما فيه قال أبو على ولم لا يفعل ذلك وقد أسقط فى أيامه أكثر من خمسمائة شاعر وذهب بخيرهم وانفرد بأخذ جوائز الخلفاء والملوك دونهم فلو لم يفعل ذلك إلا استكفافاً وحذراً من بيت واحد يهدر فيبقى على الزمان ولكان من الحظ له أن يفعله

أى من بيت واحد ممن يهجونه فيبقى على الزمان متداولا

وكذلك كان أبو على دعبل بن على الخزاعى يهجو الملوك والخلفاء ولا يعرض لشاعرهم الا ضرورة وقد حذر فى أول كتابه الذى ألفه فى الشعراء من التعرض لشاعر ولو كان من أدون الناس صنعة فى الشعر وقال رب بيت جرى على لسان مفحم قيل فيه رب رمية

من غير رام فسارت به الركبان ولذلك يقول فى بعض شعره

لا تعرضن بمزح لامرء طبن ما راضه قلبه أجراه فى الشفة
فرب قافيـة بالمـــزح جارية مشؤمـــة لم يرد انماؤها نمت

ثم رجع إلى قول الخصمين قال صاحب أبى تمام فأبو تمام إنفرد بمذهب اخترعه وصار فيه أولا وإماماً متبوعاً وشهر به حتى قيل هذا مذهب أبى تمام وطريقة أبى تمام وسلك الناس نهجه واقتفوا أثره وهذه فضيلة عرى عن مثلها البحترى قال صاحب البحترى ليس الأمر لاختراعه لهذا المذهب على ما وصفته ولا هو بأول فيه ولا سابق إليه بل سلك فى ذلك سبيل مسلم واحتذى حذوه وأفرط وأسرف وزال عن النهج المعروف والسنن المألوف وعلى أن مسلماً أيضاً غير مبتدى لهذا المذهب ولا هو أول فيه ولكنه رأى هذه الأنواع التى وقع عليها اسم البديع وهى الاستعارة والطباق والتجنيس منشورة متفرقة فى أشعار المتقدمين فقصدها واكثر فى شعره وهى فى كتاب الله عز وجل قال الله تعالى واشتعل الرأس شيباً وقال تبارك وتعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وقال واخفض لهما جناح الذل من الرحمة فهذه من الاستعارة التى هى فى القرآن وقال امرؤ القيس

فقلت له لما تمطى بجـوزه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

فجعل الليل يتمطى وجعل له أردافا وكلكلا وقال زهير

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحـله

فجعل للهوى أفراساً ورواحل وقال لبيد الجعفى

وغداة ريح قد كشفت وقرة إذا أصبحت بيد الشمال زمامها

فجعل للغداة يداً وللشمال زماماً فهذه كلها استعارات وقال جل وعز فى التجنيس وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين وأقم وجهك للدين القيم وقال النبى صلى الله عليه وسلم عصية عصت الله ورسوله وغفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله وقال القطامى

ولما ردها فى الشول شالت بذيال يكون لها لفاعاً (الملحفة أو الكساء)

وقال أيضاً

كنية لحى من ذى القيظ فاحتملوا مستحقبين فـــــواداً ماله فاد

وقال جرير

وما زال معقولا عقال عن الندى ... وما زال محبوساً عن المجد حابس

وقال ذو الرمة

كأن البرى والقاج عيجت متونه ... على عشر نهى به السهل أبطح

(البرى جمع برة وهى على ما فى الصحاح حلقة من صفر تجعل فى لحم أنف البعير وربما كانت من شعر وقد أهمل القاموس هذا الجمع وعاج عطف والعشر بالضم النوق التى تنزل الدرة القليلة والنهي إسم ما نهب

وقال امرؤ القيس

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ... ليلبسني من دائه ما تلبسا

وقال الفرزدق

خفاف أخف الله عنه سحابه ... وأوسعه من كل ساف وحاصب

ذكر ذلك كله أبو العباس عبد الله بن المعتز فى كتاب البديع قال ومن الطباق قول الله تعالى ولكم فى القصاص حياة وقال النبي صلى الله عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون الطمع وقال زهير

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ... ما كذب الليث عن أقرانه صدقا

فطابق بين الصدق والكذب وقال طفيل الغنوى

بساهم الوجه لم تقطع أجله ... يصان وهو ليوم الروع مبذول

(عرق مفرده أبجل وهو من الفرس والبعير بمنزلة الأكحل من الأنسان)

فطابق بين قوله يصان وبين قوله مبذول فتتبع مسلم بن الوليد هذه الأنواع واعتدها ووشح شعره بها ووضعها فى موضعها ثم لم يسلم مع ذلك من الطعن حتى قيل أنه أول من أفسد الشعر روى ذلك أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح قال وحدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال سمعت أبي يقول أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ثم اتبعه أبو تمام واستحسن مذهبه وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من بعض هذه الأصناف فسلك طريقاً وعراً واستكره الألفاظ والمعانى ففسد شعره وذهبت طلاوته ونشف ماؤه وقد حكى عبد الله ابن المعتز فى هذا الكتاب الذى لقبه البديع أن بشاراً وأبانواس ومسلم بن الوليد ومن

تقبلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر فى أشعارهم فعرف من زمانهم ثم إن الطائى تفرغ فيه وأكثر منه وأحسن فى بعض ذلك وأساء فى بعض وتلك عقبى الأفراط وثمرة الاسراف قال وإنما كان الشاعر يقوله من هذا الفن البيت والبيتين فى القصيدة وربما قرىء فى شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها واحد بديع وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى قدراً ويزداد حظوة من الكلام المرسل وقد كان بعضهم يشبه الطائى فى البديع بصالح بن عبد القدوس فى الأمثال ويقول لو كان صالح نثر أمثاله فى تضاعيف شعره وجعل منها فصولا فى أبياته لسبق أهل زمانه وغلب على ميدانه قال ابن المعتز وهذا أعدل كلام سمعته قال صاحب البحترى فقد سقط الآن إحتجاجكم باختراع أبى تمام لهذا المذهب وسبقه إليه وصار استكثاره منه وإفراطه فيه من أعظم ذنوبه وأكبر عيوبه وحصل البحترى أنه مافارق عمود الشعر وطريقته المعهودة مع ما نجده كثيراً فى شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة وانفرد بحسن العبارة وحلاوة الألفاظ وصحة المعانى وحيث وقع الاجماع على استحسان شعره واستجادته وروى شعره واستحسنه سائر الرواة على طبقاتهم واختلاف مذاهبهم فمن نفق (الظاهر أنه من نفاق السلعة) على الناس جميعا أولى بالفضيلة وأحق بالتقدمة قال صاحب أبى تمام إنما أعرض عن شعر أبى تمام من لم يفهمه لدقة معانيه وقصور فهمه عنه وفهمه العلماء والنقاد فى علم الشعر وإذا عرفت هذه الطبقة فضيلته لم يضره طعن من طعن بعدها عليه قال صاحب البحترى إن ابن الأعرابى وأحمد بن يحيى الشيبانى وقبلهما دعبل بن الخزاعى قد كانوا علماء بالشعر وكلام العرب وقد علمتم مذاهبهم فى أبى تمام وازدرائهم بشعره وطعن دعبل عليه وقولهم أن ثلث شعره محال وثلثه مسروق وثلثه صالح وروى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتاب الشعراء عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن الهيثم بن داود عن دعبل أنه قال ماجعله الله من الشعراء بل شعره بالخطب والكلام المنثور أشبه منه بالشعر ولم يدخله فى كتابه المؤلف فى الشعراء وقال ابن الأعرابى فى شعر أبى تمام إن كان هذا شعراً فكلام العرب باطل روى ذلك أبو عبد الله محمد بن داود عن البحترى عن ابن الأعرابى وحكى محمد بن داود أيضاً عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن محمد وكان عالماً بالشعر أنه قال أبو تمام يريد البديع فيخرج إلى المحال وروى عنه أنه قال دخل إسحاق بن ابراهيم الموصلى على الحسن بن وهب وأبو تمام ينشده فقال له اسحاق يا هذا لقد شددت على نفسك وذكر أيضاً أبو

العباس عبد الله بن المعتز فى كتاب البديع وغير هؤلاء العلماء ممن أفسدوا شعره كثيراً منهم أبو سعيد الضرير وأبو العميثل الأعرابى صاحب عبد الله بن طاهر بخراسان وكان من أعلم الناس بالشعر وكان عبد الله بن طاهر لا يسمع من شاعر إلا إذا امتحناه وأنشداهما شعره ورشياه فقصدهما أبو تمام بقصيدته التى يمدح فيها عبد الله بن طاهر أولها

هن عوادى يوسف وصواحبه … فعزماً فقدماً أدرك النجح طالبه

فلما سمعا هذا الابتداء أعرضا عنه وأسقطا القصيدة حتى عاتبهما أبو تمام وسألهما النظر فيها فلولا أنهما ظفرا ببيتين مسروقين فيها استحسناهما فعرضا القصيدة على عبد الله بن طاهر وأخذا له الجائزة لكان قد افتضح وخابت سفرته وخسرت صفقته والبيتان

وركب كأطراف الأسنة عرسوا … على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره … وليس عليهم أن تتم عواقبه

أخذ معنى البيت الأول من قول أبى البعيث

أطاف بشعث كالأسنة هجنة … بخاشعة الأصوات غير صحوتها

وأخذ معنى البيت الثانى من قول الآخر

علام وغى تقحمها فابلى … فخان بلاءه الدهر الخؤون

وكان على الفتى الأقدام فيها … وليس عليه ما جنت المنون

(ذكره فى موضع آخر فكان)

ولما أوصلا إليه الجائزة قال له لم تقول ما لا يفهم فقال لهما لم لا تفهمان ما يقال فكان هذا مما استحسن من جوابه وهذا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ما علمناه دون له كبير شىء وهذه كتبه وأماليه وانشاداته تدل على ذلك وكان يفضل البحترى ويستجيد شعره ويكثر إنشاده ولا يستمليه لأن البحترى كان باقياً فى زمانه أخبرنا أبو الحسن الأخفش قال سمعت أبا العباس محمد بن يزيد المبرد يقول ما رأيت أشعر من هذا الرجل يعنى البحترى لولا أنه ينشدنى لما أنشدكم لملأت كتبي من أمالى شعره قال صاحب

أبى تمام فقد بطل احتجاجكم بالعلماء وتفضيلكم لشعره عليه لأن دعبلا كان يشنأ أبا تمام ويحسده وذلك مشهور معلوم منه فلا يقبل قول شاعر فى شاعر وأما ابن الأعرابى فكان شديد التعصب عليه لغرابة مذهبه ولأنه كان يرد عليه من معانيه ما لا يفهمه ولا يعلمه فكان إذا سئل عن شىء منها يأنف أن يقول لا أدرى فيعدل إلى الطعن عليه والدليل على ذلك أنه أنشد يوماً أبياتاً من شعره وهو لا يعلم قائلها فاستحسن وأمر بكتبها فلما عرف أنه قائلها قال خرقوه والأبيات من أرجوزته التى أولها

وعاذل عذلته فى عذله　　فظن أنى جاهل من جهله

وكان ابن الأعرابى على علمه وتقدمه قد حمل نفسه على هذا الظلم القبيح والتعصب الظاهر فما تنكرون أيضاً أن تكون حال سائر من ذكرتموه مثل حاله قال صاحب البحترى لا يلزم ابن الأعرابى من الظلم والتعصب ما ادعيتم ولا يلحقه نقص فى قصور فهمه عن معانى شاعر عدل فى شعره عن مذاهب العرب إلى الاستعارات البعيدة المخرجة للكلام إلى الخطأ والاحالة والعيب والنقص فى ذلك يلحقان أبا تمام إذ عدل عن المحجة إلى طريقة يجهلها ابن الأعرابى وأمثاله وأما ما استحسنه ابن الأعرابى من شعر أبى تمام فأمر بكتبه ثم أمر بتخريقه لما علم أنه قائله فذلك غير منكر ولا يدخل ابن الأعرابى فى التعصب والظلم لأن الذى يورده الأعرابى وهو محتذ على غير مثال أجلى فى النفوس وأشهى إلى الأسماع وأحق بالزيادة والاستجادة مما يورده البحترى على الأمثلة وعذر ابن الأعرابى فى هذا إذا قد صح وقد سبقه الأصمعى وذلك أن أساق بن ابراهيم الموصلى أنشد الأصمعى

هل إلى نظرة إليك سبيل　　فيروى الصدى ويشفى الغليل

إن ما قل منك يكثر عندى　　وكثير ممن تحب القليل

فقال لمن تنشدنى فقال لبعض الأعراب فقال والله هذا هو الديباج الخسروانى قال أنهما لليلتهما فقال لا جرم والله أن أثر الصنعة والتكلف بين عليهما حدثنا بهذا الحديث أبو الحسن على بن سليمان الأخفش النحوى قال حدثنا ابو الحسن البهرانى قال حدثنى أبو خالد يزيد بن محمد المهلبى قال حدثنى إسحاق بن ابراهيم الموصلى قال أنشدت الأصمعى إلا أنه ذكر عن إسحاق أنه قال له أنهما لليلتهما فقال الأصمعى أفسدتهما فالأصمعى فى هذا غير ظالم لأن إسحق مع علمه بالشعر وكثرة روايته لا ينكر له أن يورد

مثل هذا لأنه يقوم فى النفس أنه قد اجتذاه على مثال واخذه عن متقدم وانما يستظرف مثله من الأعرابى الذى لا يعول الا على طبعه وسليقته وابن الاعرابى فى أبى تمام أعذر من الاصمعى فى إسحاق لأن أبا تمام كان مغرما مشغوفا بالشعر وانفرد به وجعله وكده والف كتب فيه واقتصر من كل علم عليه فاذا أورد المعنى المستغرب لم يكن ذلك ببدع له لانه يأخذ المعانى ويجتذبها فليس له فى النفوس حلاوة ما يورد الاعرابى قال صاحب أبى تمام فقد أقررتم لابى تمام بالعلم والشعر والرواية ولا محالة أن العلم فى شعره أظهر منه فى شعر البحترى والشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم قال صاحب البحترى فقد كان الخليل بن أحمد عالما شاعرا وكان الاصمعى شاعرا عالما وكان الكسائى كذلك وكان خلف بن حيان الاحمر اشعر العلماء وما بلغ بهم العلم طبقة من كان فى زمانهم من الشعراء غير العلماء فقد كان فى التجويد فى الشعر ليست علته العلم ولو كانت علته العلم لكان من يتعاطاه من العلماء أشعر ممن ليس بعالم فقد سقط فضل أبى تمام من هذا الوجه على البحترى وصار أفضل وأولى بالسبق إذ كان معلوما شائعا أن شعر العلماء دون شعر الشعراء ومع ذلك فان أبا تمام يعمل أن يدل فى شعره على علمه باللغة وبكلام العرب فيعمد لادخال الفاظ غريبة فى مواضع كثيرة من شعره وذلك نحو قوله هن البجارى يا بجير * اهدى لها الأبوس الغوير وقوله قدك اتئب أربيت فى الغلواء وقوله اقرم بدر تبارى أيها الخفض وهذا فى شعره كثير موجود والبحترى لم يقصد هذا ولا اعتمده ولا كان له عنده فضيلة ولا رأى أنه علم لانه ببادية منبج وكان يتعمد حذف الغريب والوحشى من شعره ليقربه من فهم من يمتدحه الا ان يأتيه طبعه باللفظة فى موضعها من غير طالب لها ويرى أن ذلك أنفق وبلغ المراد والغرض ويدلك على ذلك أنه كان يكنى أبا عبادة ولما دخل العراق تكنى أبا الحسن ليزيل العنجهية والاعرابية ويساوى فى مذاهبه اهل الحاضرة ويقرب بهذه الكنية الى أهل النباهة والكتاب من الشيعة وقد ذكر بعضهم أنه كان يكنى أبا الحسن وأنه لما اتصل بالمتوكل وعرف مذهبه عدل الى أبى عبادة والأول ثبت وقد حكى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح أن أبا عبادة كنية البحترى القديمة فشتان ما بينهما من حضرى تشبه باهل البدو فلم ينفق بالبادية ولا عند أكثر الحاضرة وبدوى يحضر فنفق فى البدو والحضر قال صاحب أبى تمام فقد عرفنا كم أن أبا تمام آتى فى شعره بمعان فلسفية والفاظ غريبة فاذا سمع بعض شعره الاعرابى لم يفهمه فاذا فسر له فهمه واستحسنه قال صاحب البحترى هذه دعاو منكم على الاعراب فى استحسان شعر

صاحبكم اذا فهموه ولا يصح ذلك إلا بالامتحان ولكنكم معترفون ومجمعون مع من هو معكم وعليكم أن لصاحبكم إحسانات وإساءات وان احسان البحترى دون الاساءة ومن احسن ولم يسىء افضل ممن احسن وأساء قال صاحب أبى تمام ما أجمعنا معكم أن صاحبكم لم يسىء بل هو قد أساء فى قوله

يخفى الزجاجة لونها فكأنها فى الكف قائمة بغير أناء

(سيذكره فيما بعد برواية تخفى الزجاجة)

وهذا وصف للاناء لا للشراب لانه لو ملأ الاناء دبسا لكان هذا صفته وقال

ضحكات فى أثرهن العطايا وبروق السحاب قبل رعوده

فأقام البرق مقام الضحك والرعد مقام العطايا وانما كان يجب أن يقيم الغيث مقام العطايا لا الرعد وله لحون فى شعره معروفة نحو قوله ونصبته علما بسامراء وقوله نبرات معبد فى الثقيل الأول وقوله عرج على حلب وأشباه لهذا كثيرة فقد تساويا فى الغلط قال صاحب البحترى ما نعيبنا على أبى تمام اللحن وهو فى شعره كثير لو تتبع فشنعوا امثله على البحترى لأن اللحن لا يكاد يعرى منه أحد من الشعراء المحدثين ولا يسلم منه شاعر من الشعراء الاسلاميين وقد جاء فى أشعار المتقدمين ما علمتم من الالفاظ ممن لا يقوم العذر فيه إلا بالتأويلات البعيدة وعلى أنه ليس بشىء مما عبتم به البحترى خارجا عن مقاييس العربية ولا بعيدا من الصواب بل قد جاء مثله كثير فى أشعار القدماء والاعراب والفصحاء ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه ونحن لو رمنا أن نخرج ما فى شعر أبى تمام من اللحن لكثر ذلك واتسع ولوجدنا منه ما يضيق العذر فيه ولا يجد المتأول له مخرجا منه الا بالطلب والحيلة والتمحل الشديد وذلك مثل قوله

ثانية فى كبد السماء ولم يكن لاثنين ثان اذهما فى الغار

معنى هذا البيت أن بابك صار جارا فى الصلب لمازيار وهو ثانية فى كبد السماء ولم يكن ثانيا لاثنين اذهما فى الغار أى هو ثانى اثنين فى الصلب لمازيار الذى هو رذيلة وليس هو ثانيا فى الغار لان هذه فضيلة فكان يجب أن يقول فى البيت ولم يكن لاثنين ثانيا لانه خبر يكن واسمها هو اسم بابك مضمر فيها فليس الى غير النصب سبيل فى البيت والا بطل المعنى وفسد فساده أنك اذا اخليت يكن من ضمير بابك وجعلت

قوله ثان اسمها كان ذلك خطأ ظاهرا قبيحا لانك اذا قلت كان زيد وعمر اثنين ولم يكن لهما ثان كنت مخطئا لان اثنين احدهما ثان للآخر وكذلك اذا قلت كانوا ثلاثة ولم يكن لهم ثالث كنت مخطئا لان أحد الثلاثة هو ثالثهم وانما تكون مصيبا اذا قلت كانا اثنين ولم يكن لهما ثالث وثلاثة ولم يكن لهما رابع وأيضا فانه لو أراد هذا المعنى لم يكن فى البيت فائدة ألبتة لانه كان يكون المعنى حينئذ ان بابك ثانى مازيار فاى فائدة فى هذا مع مافيه من الخطأ الفاحش وأى تعلق لهذا المعنى بما قبله فى البيت وقال فى آخر قصيدة

شاءت برقك آمالى بمصر ولو اضحت على الطوس لم تستبعد الطوسا

(وهذه الاعتراضات من العبث المحض لان لها أوجها فى العربية)

فادخل فى طوس الالف واللام وهى اسم بلدة معروفة وقال أحدى بنى بكر بن عبد مناه وانما هى مناة فى الادراج كما قال الله تبارك وتعالى ومناة الثالثة الاخرى وانما تكون بالهاء فى الوقف لا فى الحركة والدرج وقال فى هذه القصيدة لولا صفات فى كتاب الباء وانما هى الباءة بالمد فى تقدير الباعة وان كان قد حكى الباء فى بعض اللغات الرديئة والردى لايعتد به وقال فكم من هو آفيك صاف غذى جوه وهوى وبى فقال غذى وهو غذ بالتخفيف وقال فى قصيدة على الاعادى ميكال وجبريل فاوقع الاعراب على الاعادى وذلك غير جائز لمتاخر وقال

ستين الفا وسبعينا ومثلهما كتائب الخيل تحميها الاراجيل

(يحتمل أنه الاراجيل أى الاراجل فزاد الياء كما زادها الشاعر فى قوله نفى الدراهم الخ أو جمع ارجل بالحاء للابيض الظهرة من الخيل)

فنون منون من سبعين وهذا لايسوغه محدث ونحو هذا مما ليست بنا حاجة الى ذكره لاننا لانتبعه ولاعرفناه به لما وصفنا فى باب اللحن وكثرته فى أشعار المتأخرين وانما عبناه بخطائه فى معانيه واحالته فى استعاراته وكثرة مايورده من الساقط والغث البارد مع سوء سبكه ورداءة طبعه وسخافة لفظه مما سنذكره فى باب آخر من الاحتجاج عليكم فاما ماعبتم به البحترى من قوله

يخفى الزجاجة لونها فكانها فى الكف قائمة بغير اناء

فما زالت الرواة وشيوخ أهل الادب والعلم يستحسنون هذا البيت ويستجيدونه له وذكره عبدالله بن المعتز وقد علمتم فضله وعلمه بالشعر في باب ما اختاره من التشبيه كتابه الذى نسبه الى البديع ولكنكم ابيتم الا افساده ثم اجلبتم واكثرتم ان تنعوا على شاعر محسن بيتاً واحداً فما زلتم تتمنون وتتحملون حتى وجدتم أبياتا تحتمل من التأويل ما يحتمله الاول وهو قوله ضحكات فى أثرهن العطايا * وبروق السحاب قبل عوده وكلا البيتين ان الصواب اقرب ومن الخطأ أبعد فاما قوله

يخفى الزجاجة لونها فكانها   فى الكف قائمة بغير اناء

فانما قصد الى وصف هيئة الشراب فى الاناء ولم يقصد الى وصف الشراب خاصة ولا الى الاناء كما ادعيتم ولو أراد وصف الاناء لكان مصيباً لان الزجاجة أيضا يوصف مافيها وتقع المبالغة فى نعتها وقد جاء فى وصف أوانى الشراب ما جاء ومن أحسن ما قيل فى ذلك قول على بن العباس بن جريج الرومى يصف قدحا

تنفذ العين حتى تراها   اخطانه من رقة المستشف

كهوا بلا هباء مشوب   بضياء أرق بذاك واصف

وسط القدر لم يكبر لجوع   متوال ولم يصغر لرشف

لا عجول على العقول جهول   بل حليم عنهن من غير ضعف

فالزجاجة اذا رقت وصفت وسلمت من الكدر اشتد صفاؤها وبريقها فاذا وقع فيها شراب الرقيق اتصل الشعاعان وامتزج الضوءان فلم تكد الزجاجة تتبين للناظر ولو جعلها دبساً أو عسلاً أو لبناً وماء كدراً فى اناء هذه صفته فى الرقة لما خفى الاناء على الناظر لان هذه الاشياء لا شعاع لها ولا ضياء يتصل بشعاع الاناء وضوءه وقد سبقه الى هذا المعنى على بن جبلة فقال

كأن يد النديم تدير منها   شعاعا لا تحيط عليه كاس

وقال آخر أنشده أبو الحسن على بن سليمان الاخفش

واذا ما مزجت فى كاسها   فهى والكاس معاشىء أحد

(سيرويه بعد هذا واذا ما امتزجت فى كأسها)

فانتم فى هذه المعارضة بالخطأ اجدر وبالعيب احرى فاما قوله وبروق السحاب قبل رعوده فانه أقام الرعد مقام الغيث لأنه مقدمة له وعلم من أعلامه ودليل من اقوى دلائله الا ترى ان برق الخطب لارعد معه وقد قال الأعشى

والشعر يستنزل الكريم كما استنزل رعد السحابة السبلا

فجعل الرعد هو الذى يستنزل المطر وقال الكميت

وأنت فى الشتوة الجماد اذا أخف من أجم رواعدها

وإذا كان البرق ذا رعد فقلما يخلف ومثل هذا فى كلام العرب مما ينوب الشيء عن الشيء اذا كان متصلا به أو سببا من أسبابه أو مجاورا له كثير فمن ذلك قولهم المطر سماء ومنه قولهم مازلنا نطأ السماء حتى أتينا كم قال الشاعر

اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

يريد اذا سقط المطر رعيناه يريد رعينا النبت الذى يكون عنه ولهذا سمى النبت ندى لأنه عن الندى يكون وقالوا مابه طرق أى مابه قوة والطرق والشحم فوضعوه موضع القوة لأن القوة عنه تكون وقولهم للمزادة راوية وانما الراوية البعير الذى يستى عليه الماء فسمى الوعاء الذى يحمله باسمه ومن ذلك الحفض متاع البيت فسمى البعير الذى يحمله حفضا ومن ذلك قول المسيب بن علس وتمدثنى جديلها بشراع اراد بدقل فقال بشراع لأن الشراع عليه يكون وهذا باب واسع وأيسر من أن يحتاج الى استقصائه وبعد فلو كان هذان البيتان خطأ كما ادعيتم وأخذتم على هذا الشاعر المجتمع على احسانه غلطا من غيرهما فى شعره لما كان بذلك داخلا فى جملة المسبوقين ولا الخاملين فى الشعر لجودة نظمه واستواء نسجه ووقوع لفظه فى مواقعه ولأن معانيه تصح بالنقد وتخلص عن السبك وأبو تمام يتبهرج شعره عند التفتيش والبحث ولا تصح معانيه على التفسير والشرح قال صاحب أبى تمام لئن أسرفتم فى الذم وبالغتم على صاحبنا فى الطعن وتجاوزتم الحد الذى يقف عنده المحتج المناظر الى مذهب المسقط المغالط والمتعصب المتحامل فلسنا نمنع أن يكون صاحبنا قد وهم فى بعض شعره وعدا عن الوجه الاوضح فى كثير من معانيه وغير منكر لفكر نتج من المحاسن مانتج وولد من البدائع أن يلحقه الكلال فى الأوقات والزلل فى الأحيان بل الواجب لمن أحسن احسانه ان يسامح فى سهوه ويتجاوز له عن زلة فما رأينا أحدا من شعراء الجاهلية سلم من الطعن ولا من أخذ

الرواة عليه الغلط والعيب هذا الأصمعى قد عاب امرء القيس بقوله

وأركب فى الروع خيفانة كسا وجهها سعف منتشر

(اركب فعل مضارع وخيفانة هى فى الأصل الجرادة ثم تشبه بها الفرس فى الخفة)

وقال شبه شعر الناصية بسعف النخلة والشعر إذا غطى العين لم يكن الفرس كريما وذلك هو الغمم والذى يحمد فى الناصية الجثلة وهى التى لم تفرط فى الكثرة فتكون الفرس غمّاً والغمم مكروه ولم تفرط فى الخفة فتكون الفرس سفواً والسفا أيضا مكروه فى الخيل والجيد ما قال عبيد

مضبر خلقها تضبيرا ينشق عن وجهها السبيب

(المضبر الملزز الخلق المكتنز اللحم والسبيب الذنب والعرف والناصية)

وروى ذلك عنه أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى وقال أيضا سمعت الأصمعى يقول اخطأ امرؤ القيس فى قوله

لها متنتان خظاتا كما أكب على ساعديه النمر

لان المتن لا يوصف بكثرة اللحم ويستحب منه التعريق وكذلك الوجه كما قال طفيل معرفة الا لحى تلوح متونها وأخذ عليه فى قوله فى وصف الفرس

فللسوط ألهوب وللساق درة وللزجر منه وقع اخرج مذهب

وقال هذه الفرس بطيئة لانها تحوج الى السوط والى أن تركض بالرجل وتزجر ويقال أن أول من عابه بهذا البيت زوجته لما احتكم اليها هو وعلقمة الفحل فغلبت علقمة فطلقها وقد أخذ أيضا عليه قوله أغرك منى ان حبك قاتلى وقال اذا لم يغر هذا فأى شيء يغر ويعيب زهير ابن أبى سلمى بقوله

يخرجن من شربات ماؤها طحل على الجذوع يخفن الغم والغرقا

وقالوا ليس خروج الضفادع من الماء خوف الغم والغرق وانما ذلك لأنها تبيض فى الشطوط وعيب على كعب ابنه قوله ضخم مقلدها فعم مقيدها وقالوا انما توصف النجائب برقة المذبح وأخذ على النابغة قوله يصف عنق المرأة بالطول

اذا ارتعشت خاف الجبان رعاتها ومن يتعلق حيث علق يفرق

وهذا قريب من قول أبو نواس لتخافك النطف التى لم تخلق بل أبو نواس

أعذر لقوله لتخافك يريد لتكاد تخافك والشعراء تسقط تكاد فى الشعر وهى تريدها وجاء فى القرآن مثل ذلك قال الله عز وجل وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال وقال الشاعر

يتقارضون إذا التقوا فى موطن نظراً يزيل مواطىء الأقدام

أى نظرا يكاد يزيل فأضمر يكاد واللام إذا جاءت كانت أدل عليها قال الله عز وجل وبلغت القلوب الحناجر أى كادت وأخذ على النابغة قوله

الكني يا عين إليك قولا ستحمله الرواة إليك عني

وقالوا قوله الكنى أى كن لى رسولا فكيف يكون الكنى إليك عنى فاعتذر له الأصمعى وقال هذا مما حملته الرواة على النابغة كأنه يدفع أن يكون قاله وأخذ على المسيب قوله

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

قال الصيعرية صفة للنوق لا للفحول فسمعه طرفة بن العبد وهو صبي فقال استوثق الجمل وضحك منه ويقال ان المسيب قال اخرج لسانك يا فتى فأخرجه فقال ويل لهذا من هذا يعنى رأسه من لسانه وأخذ على المرقش قوله

صحا قلبه عنها سوى ان ذكره إذا خطرت دارت به الأرض قائما

قالوا من إذا ذكر دارت به الأرض ليس بصاح وأخذ على عدى بن زيد قوله يبذ الجياد فارها متتابعاً وقالوا لا يقال للفرس فاره وانما يقال له جواد وكريم والفارة البغل والحمار وأخذ عليه أيضاً قوله فى صفة الخمر

والمشرف الهندى يسقى به أخضر مطموثاً بماء الحريض

الحريض سحابة تحرض وجه الأرض أى تقشره لشدتها ويقال الحريض إسم نهر بناحية الحيرة فوصف الخمر بالخضرة وما وصفها بذلك أحده غيره أخذ على الأعشى قوله

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعنى شاو شلول مشل شلشل شول

وقالوا هذه الألفاظ كلها التى بعد شاو متقاربة فى المعنى وقرىء على الأصمعى قول أبى ذؤيب الهذلى

قصر الصبوح لها فشرج لحمها بالني فهى تثوخ فيها الاصبع

ثانى بدرتها إذا ما استكرهت إلا الحميم فانه يتبضع

فقال هذه الفرس تساوى درهمين لأنه جعلها كثيرة اللحم رخوة يدخل فيها الأصبع حروناً إذا حركت قامت إلا العرق فانه يسيل وقرىء على الأصمعى قول أبى النجم يسبح اخراه ويطفو وله فقال حمار الكساح إذا أقره منه وعاب الاصمعى ذا الرمة بقوله

حتى إذا دومت فى الأرض أدركها كبر ولو شاء نجى نفسه الهرب

وقال الفصحاء لايقولون دوم فى الأرض وإنما يقولون دوم فى الهواء إذا حلق ودوى فى الأرض إذا ذهب وكان الأصمعى أيضاً يعيبه فى قوله وتفرى غبيط الشحم والماء جامس وقال إنما يقال للجامد من السمن وما أشبه جامس وروى ذلك عنه أبو حاتم وحكى أبو نصر عن الأصمعى قال كنا نظن أن الطرماح شيئاً حتى قال

واكره أن يعيب على قومى هجاى الأرذلين ذوى الحنات

لأنها أحنة وأحن ولا يقال حنات وأخذ على الآخر قوله

فما رقد الوالدين حتى رأيته على الكبر يمريه بساق وحافر

فسمى رجل الانسان حافراً وهذه استعارة فى نهاية القبح وكذلك قول الآخر

قد أفنى أنامله عضه فأضحى يعض على الوظيفا

فجعل له وظيفا مكان الرجل وكذلك قول الآخر

سأمنعها أوسوف أجعل أمرها إلى ملك اظلافه لم تشقق

وقال الحطيئة

قروا جارك العميان لما جفوته وقاص عن برد الشباب مشافره

وعيب على أيمن بن خزيم قوله يمدح بشر بن مروان

فانا وجدنا أم بشر كأم الاسد مذكارا ولودا

وقالو أخطأ فى أن جعل أم الاسد ولوداً لأن الحيوانات الكريمة عسرة نزرة النتاج والصواب قول كثير بغاث الطيرا كثرها فراخاً وأم الصقر مقلات نزور وقال جرير صارت حنيفة أثلاثاً فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها فقيل لرجل من بنى حنيفة من أى

اثلاث أنت فقال من الثاث الملغى وسمع إسحاق بن ابراهيم الموصلى عمارة بن عقيل ينشد الجرير

لما تذكرت بالديرين أرقنى صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

فقال أخطبأ والله أبوك التاذين لا يكون فى أول الليل وقال من طلب العذر لجرير أرقنى انتظار صوت الدجاج وعاب الأخطل الفرزدق فى قوله

أبنى غـداته أننى حررتكم فوهبتكم لعطية بن جعال

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم من بين الام أعين وسبال

قال وكيف وهبهم له وهو يهجوهم بمثل هذا الهجاء وقال عطية حين بلغه الشعر ما أسرع مارجع أخى فى هبته ومدح الفرزدق الحجاج وقد دخل عليه ببيت واحد فقال

ومن يأمن الحجاج والطير تتقى عقوبتـه إلا ضعيف العـزائم

فقال له الحجاج الطير تتقى النور وتتقى الظبي ماجئت بشىء وإنما أراد الفرزدق الطائر الذى يطير فى السماء فليست تناله يدو أخذ على الأخطل قوله فى عبد الملك ابن مروان

وقد جعـل الله الخلافـة منهـم لابيض لاعارى الخوان ولا جذب

وهذا لا يمدح به خليفة وأراد أن يمدح رجلا من بنى أسد كان أجاره فهجاه وكان يقال لقوم الرجل القيون يعيرون بذلك فقال

قد كنت أحسبه قينـا وأنبأه فاليوم طير عن أثوابه الشرر

أى فاليوم نفى ذلك عن نفسه فما زاد على أن نبه عليه وقد كان له فى المـادح متسع وأراد أن يهجو سويد بن منجوف فمدحه وذلك قوله

فاجزع سوءحرب السـوس وسطه لـما حملتـه وائـل بمطيق

وأخذ على الفرزدق قوله يمدح وكيع بن أبى سويد

إذا التقت الابطال أبصرت وجهه مضيئاً وأعناق الكماة خصوع

فقالوا أساء القسمـة وأخطأ الترتيب وإنما كان يجب أن يقول أبصرته سامياً وأعناق الملوك خضوع أو أبصرت لونه مضيئا وألوان الـكماة كاسفة ومن خطأ الشعر قول عدى بن الرقاع يذكر البارى تبارك وتعالى

وكفك بسطة ونداك سح ... وأنت المرء تفعل ما تقول

فجعل ربه مراء وعابه الاصمعي في قوله

لهم راية تهدى الجموع كأنها ... إذا خطرت في ثعلب الرمح طائر

وقال الراية لا تخطر إنما الخطر أن للرمح ومن فاسد اللفظ وقبيحه قول ذي الرمة

فأضحت مغانيها قفاراً رسومها ... كأن لم سوى أهل من الوحش تؤهل

أراد كأن لم تؤهل سوى أهل من الوحش ومن خطأ المديح قول الكميت يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

إلى السراج المنير احمد لا ... تعدلني رغبة ولا رهب

عنه إلى غيره ولو رفع النا ... س إلى العيون وارتقوا

وقيل أفرطت بل قصدت ولو ... عنفني القائلون أو ثلبوا

لج بتفضيلك اللسان ولو ... اكثر فيك الضجاج واللجب

فمن يعنفه ويؤنبه على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكثر عليه الضجاج واللجب وهذا لو كان قاله بين المشركين وفي صدر الاسلام لعل العذر كان يتسع له فيه وقد اعتذر له معتذر واحتج محتج بأن قال لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بهذا الخطاب وإنما أراد أهل بيته لانه قال فيهم من الشعر ما قال ولان بني أمية كانت تعنف من يمدحهم وتنكر أشد الانكار على من يتخونهم ويغرق في الثناء عليهم والوصف لهم وعيب أيضا الكميت بأن جمع بكلمتين لا تشبه إحداهما الأخرى وذلك قوله

وقد رأينا بها حوراً منعمة ... رود تكامل فيها الدل والشنب

وقال الدل إنما يكون من الغنج أو نحوه والشنب إنما يكون مع اللعس أو ما يجري مجراه من أوصاف الثغر والفم والجيد ما قاله ذو الرمة

لمياء في شفتيها حوة لعس ... وفي اللثات وفي أنيابها شنب

ولو استقصينا هذا الباب لطال جداً وإنما أوردناه هنا منه مثالا لتعلموا أن فحول الشعراء الذين غلبوا عليه وافتحوا معانيه وصاروا قدوة وأتبعهم الشعراء واحتذوا على

حذوهم وبنوا على أصولهم ماعصموا من الزلل ولا سلموا من الغلط هذا فى المعانى التى هى المقصد والمرمى والغرض فاما ما بوبه النحويون من عيوب الشعر فى الاقواء والاكفاء والسناد وغير ذلك مما هو عيب فى اللفظ دون المعنى فليست بنا حاجة إلى ذكره لكثرته وشهرته وكذلك ما اخذته الرواة على المحدثين المتأخرين من الغلط والخطأ واللحن أشهر أيضا من ان يحتاج الى ان تبرهنه أو ندل على ذلك فلم يك أحد من متقدم ولا متأخر فى خطائه ولا سهو وغلطه مجهول الحق ولا مجحود الفضل بل عفى عنه كم احسانه على اساءته وعلا تجويده على تقصيره فكيف خصصتم أبا تمام دون غيره بالطعن وعبتموه دون من سواه بالزلل والوهن ولم يك بذلك بدعا ولا منفردا ولا اليه سابقا فبخستم حق الاحسان الذى انتشر فى الآفاق وسارت به الركبان وتمثل به المتمثل وتأدب بحفظه وانشاده المتأدب مما ان ذكرناه لم تنكروه وأقررتم بفضله واجمعتم على استجادته واستحسانه فهل الظلم المستقبح والتعصب المستهجن الاما انتم مرتكبوه وخابطون فيه قال صاحب البحترى أما اخذ السهو والغلط على من أخذ من المتقدمين والمتأخرين ففى البيت الواحد والبيتين والثلاثة وبما سلم الشاعر المكثر من ذلك بتة وتعرى منه حتى لا تؤخذ عليه لفظة وابو تمام لا تكاد تخلوله قصيدة واحدة من عدة أبيات يكون فيها مخطئا أو محيلا أو عن الغرض عادلا أو مستعيرا استعارة قبيحة أو مفسدا للمعنى الذى يقصد بطلب الطباق والتجنيس أو مبهما بسوء العبارة والتعقيد حتى لا يفهم ولا يوجد له مخرج لهمما لو عددناه لكان كثيرا فاحشا فكيف يكون ما أخذ على الشعراء من الوهم وقليل الغلط عذرا لمن لا تحصى معايبه ومواقع الخطأ فى شعره وعلى ان اكثر ماعددتموه مما أخذته الرواة على الشعراء صحيح والسهو فيه انما دخل على الرواة ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه قال صاحب ابى تمام الطائى فبم تدافعون قول البحترى يرثى أبا تمام ودعبلا ويذم من بقى بعدهما من الشعراء

قد زاد فى حزنى واوقد لوعتى ... مثوى حبيب يوم مات ودعبل

وتقاصرت بالخثعمى وشبهه ... من كل مطرب القريحة مخبل

أهل المعانى المستحيلة ان هم ... طلبوا البراعة بالكلام المقفل

اخوى لا تزل السماء مخيلة ... تغشا كما يحيا السحاب المسبل

جدث لدى الاهوان يبعدونه　　مسرى النعى ورمة بالموصل

حال أن يرثى البحترى ابا تمام ويذكر من بعده الشعراء بأن قرائحهم مضطربة معانيهم مستعجلة وعنده ان أبا تمام تلك صفته فلم تنكرون فضل من يعترف البحترى بفضله ويشهد فى الشعر له وتنسبون العيب اليه وهذه صفته عنه وتلحقونه به وهو بريئة منه قال صاحب البحترى ولم لا يفعل البحترى ذلك وقد كان هو وأبو تمام مدة اجتماعهما وتفارقهما متصافيين على القرب والبعد متحابين متلائمين على دنو والشحط يجمعهما الطلب والنسب ولنكتسب ولم يكن فى زمانهما شاعر مشهور يفد على الملوك ويجتدى بالشعر وينتسب إلى طى سواهما فليس بمنكر ان شهد أحدهما لصاحبه بالفضل ويصفه باحسن مافيه وينحله ما ليس فيه وخاصة فى الشعر ثم تابين الميت فان العادة جرت بان يعطى من التقريظ والوصف وجميل الذكر اضعاف ما كان يستحقه فلا تدفعوا العيان فلن يمحق وصف البحترى ايام تمام فى حياته وتابينه اياه بعد وفاته ماظهر من مقابحه وفضائح شعره

قال صاحب أبى تمام فقد علمتم وسمعتم الرواة وكثيرا من العلماء بالشعر يقولون جيد ابى تمام لا يتعلق به جيد أمثاله واذا كان كل جيد دون جيده لم يضر مايؤثر من رديئه قال صاحب البحترى انما صار جيد أبى تمام موصوفا لانه يأتى فى تضاعيف الردىء الساقط فيجيء رائقا لشدة مباينته ما يليه فيظهر فضله بالاضافة ولهذا قال له ابو هفان اذا طرحت درة فى بحر خرء فمن الذى يغوص عليها ويخرجها غيرك والمطبوع الذى هو مستوى الشعر قليل السقط لا يتبين جيده من سائر شعره ببغونه شديدة ومن أجل ذلك صار جيد أبى تمام معلوما وعدده محصورا وهذا عندى انا هو الصحيح لانى نظرت فى شعر ابى تمام والبحترى وتلفظت محاسنهما ثم تصفحت شعريهما بعد ذلك على ممر الاوقات فما من مرة الا وأنا الحق فى اختيار شعر البحترى مالم اكن اخترته من قبل وما علم انى زدت فى اختيار شعر ابى تمام ثلاثين بيتا على ما كنت اخترته قديما قال صاحب ابى تمام افتنكرون كثرة ما أخذه البحترى من أبى تمام واغراقه فى الاستعارة من معانيه فابهما أولى بالتقدمة المستعير أو المستعار منه وقد ابتدأنا بالجواب عن هذا فى صدر كلامنا ونحن نتمه فى هذا الموضع ان شاء الله تعالى اما ادعاؤكم كثرة الاخذ منه فقد قلنا انه غير ممكن أن يكون اخذ منه من كثرة ما كان يرد على سمع البحترى من شعر أبى تمام فيتعلق معناه قاصداً الاخذ أو غير قاصد لكن ليس كما ادعيتم وادعاه ابو الضيا

بشر بن تميم فى كتابه لانا وجدناه قد ذكر ما يشترك الناس فيه وتجرى طباع الشعراء عليه فجعله سرقا وانما السرق يكون فى البديع الذى ليس للناس فيه اشتراك فما كان من هذا الباب فهو الذى ذكره البحترى من أبى تمام لاما ذكره أبو الضيا وحشا به كتابه وأنا أذكر هذين الشيئين فى موضوعهما من الكتاب وأبين ما أخذه البحترى من أبى تمام على الصحة دون ما اشتركا فيه اذ كان غير منكر لشاعرين متناسبين من أهل بلدين متقاربين أن يتفقا فى كثير من المعانى لاسيما ما تقدم الناس فيه وتردد فى الاشعار ذكره وجرى فى الطباع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله وبعد فينبغى أن تتأملوا محاسن البحترى ومختار شعره والبارع من معانيه والفاخر من كلامه فانكم لا تجدون فيه على غزره وكثرته حرفا واحدا مما أخذه من أبى تمام واذا كان ذلك انما يوجد فى المتوسط من شعره فقد قام الدليل على أنه لم يعتمد أخذه وأنه انما كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره فيورده (تم احتجاج الخصمين بحمد الله) واذا ابتدى بذكر مساوى هذين الشاعرين لاختم بذكر محاسنهما واذكر طرفا من سرقات ابى تمام واحالاته وغلطه وساقط شعره ومساوى البحترى فى أخذ ما أخذه من معانى ابى تمام وغير ذلك من غلط فى بعض معانيه ثم اوازن من شعريهما بين قصيدتين اذا اتفقتا فى الوزن والقافية واعراب القافية ثم بين معنى ومعنى فان محاسنهما تظهر فى تضاعيف ذلك وتنكشف ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما مخوز من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه وافرد بابا لما وقع فى شعريهما من التشبيه وبابا للامثال واختم بهما الرسالة واضع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما واجعله مؤلفا على حروف المعجم ليقرب متناوله ويسهل حفظه وتقع الاحاطة به ان شاء الله تعالى (سرقات أبى تمام) كان أبى تمام مشتهرا بالشعر مشغوفا به مشغولا مدة عمره بتخميره ودراسته وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة فمنها الاختيار القبائلى الاكبر اختيار فيه من كل قصيدة وقد مر على يدى هذا الاختيار ومنها اختيار ترجمته القبائلى اختيار فيه قطعا من محاسن أشعار القائلى ولم يورد فيه كبير شىء للمشهورين ومنها الاختيار الذى تلقط فيه محاسن شعر الجاهلية والاسلام وأخذ من كل قصيدة شيئا حتى انتهى الى ابراهيم بن هرمة وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعراء الفحول ومنها اختيار تلقط فيه اشياء من الشعراء المقلين والشعراء المتمورين غير المشهودين وبوبه أبوابا وصدره بما قيل فى الشجاعة وهو أشعر اختياراته وأكثرها فى أيدى الناس ويلقب بالحماسة ومنها اختيار المقطعات وهو مبوب على ترتيب الحماسة الا انه يذكر فيه اشعار المشهورين وغيرهم القدماء والمتأخرين وصدره بذكر الغزل وقد قرأت هذا الاختيار

وتلقط منه تتناول ابياتا كثيرة وليس بمشهور شهرة غيره ومنها اختيار مجرد في أشعار المحدثين وهو موجود في أيدي الناس وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر وانه اشغل به وجعله وكده واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه فانه ماشيء كبير من شعر جاهلي ولا اسلامي ولا محدث الا قرأه واطلع عليه ولهذا أقول أن الذي خفي من سرقاته اكثر مما اقام منها على كثرها وانا أذكر ما وقع الي في كتب الناس من سرقاته وما استنبطته انا منها واستخرجته فان ظهرت بعد ذلك منها على شيء الحقته بها ان شاء الله قال الكميت الاكبر وهو الكميت بن ثعلبة

ولا تكثروا فيها المجاج فانه محا السيف ما قال ابن دارة اجمعا

اخذه الطائي فقال السيف أصدق انباء من الكتب وذلك ان أهل التنجيم كانوا حكموا بأن المعتصم لا يفتح عمورية وراسلته الروم انا نجد في كتبنا أن مدينتنا هذه لا تفتح الا في وقت ادراك التين والعنب وبيننا وبين ذلك الوقت شهور يمنعك من المقام فيها البرد والثلج فأبى أن ينصرف واكب عليها حتى فتحها وابطل ما قالوه فلذلك قال الطائي السيف اصدق انباء من الكتب وهو أحسن ابتدآته وقال النابغة يصف يوم الحرب

تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الاظلام اظلام

اخذ الطائي فقال وذكر ضوء النهار وظلمة الدخان في الحريق الذي وصفه

ضوء من النار والظلماء عاكفة وظلمة من دخان في ضحى شحب

فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت والشمس واجبة من ذا ولم تجب

وقال الاعشى

وأن صدور العيس سوف يزوركم ثناء على اعجازهن معلو

أخذه الطائي فقال

من القلاص التي في حقائبها بضاعة غير مزجاة من الكلم

وقال مسلم بن الوليد في صفة الخمر

قتلت وعاجلها المدير ولم يتد فاذا به قد صيرته قتلا

اخذه الطائي وأحسن الأخذ فقال

اذا اليد نالتها بوتر توقرت على ضغنها ثم استقادت من الرجل

وإن كان أخذها من ديك الجن فلا إحسان له لانه أتى بالمعنى بعينه قال ديك أجر

تظل بأيدينا تقعقع روحها ... وتأخذ من أقدامنا الراح ثارها

وكذا وجدته فيما نقلته وليس ينبغى أن يقطع على أيهما أخذ من صاحبه لانهما كانا فى عصر واحد

وقال الاعشى

وأرى الغوانى لا يواصلن امرءاً ... فقد الشباب وقد يصلن الامردا

أخذ الطائى المعنى والصفة فقال

أحلى الرجال من النساء مواقعا ... من كان أشبههم بهن خدودا

وقال البعيث

وانا لنعطى المشرفية حقها ... فتقطع فى إعاننا وتقطع

وقال الطائى

فما كنت إلا السيف لاقى ضريبة ... فقطعها ثم انثنى فتقطعا

فقال الطائى

وركب كاطراف الأسنة عرسوا ... على مثلها والليل تسطو غياهبه

لامر عليهم ان تتم صدوره ... وليس عليهم أن تتم عواقبه

أخذ صدر البيت من قول كثير

وركب كاطراف الاسنة عرسوا ... قلائص فى أصلابهن تحول

ويشبه قول البعيث

أطاف بشعث كالاسنة هجد ... بخاشعة الاصوات غبر صحونها

وأخذ معنى البيت الثانى من قول الآخر

غلام وغى تقحمها فابلى ... فخان بلاءه الدهر الخؤون

فكان على الفتى الاقدام فيها ... وليس عليه ماجنت المنون

وقال جران العود يصف الخيال

سقيا لزورك من زور أتاك به ... حديث نفسك عنه وهو مشغول

فذكر العلة فى طروق الخيال وهو السابق لهذا المعنى فأخذه العباس بن الاحنف فقال

خيالك حين أرقد نصب عينى إلى وقت انتباهى مايزول
وليس يزورنى صلة ولكن حديث النفس عنك هو الوصول

فتبعه الطائى فقال

زار الخيال لها لا بل أزاركه فكر إذا نام فكر الخلو لم ينم

وقال فى هذا المعنى أيضا

ثم فما زارك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال

وقال ابو تمام الطائى

أما الهجا فدق عرضك دونه والمدح فيك كما علمت جليل
فاذهب فانت طليق عرضك أنه عرض عززت به وأنت ذليل

أخذه من قول هشام المعروف بالحلو أحد الشعراء البصريين يهجو بشار بن برد

بذلة والدبك كسبت عزا وباللؤم اجترأت على الجوابا

فأخذه إبراهيم بن العباس فأجاد وأحسن

نجابك عرضك منجى الذباب حمته مقاذره أن ينالا

وقال الطائى

والشيب إن طرد الشباب بياضه كالصبح أحدث للظلام أفولا

أراد قول الفرزدق

والشيب ينهض فى الشباب كأنه ليل يصيح بجانبيه نهاراً

فقصر عنه وقال قيس بن ذريح

بليغ إذا يشكو إلى غيرها الهوى وإن هو لاقاها فغير بليغ

أخذه الطائى فقال

لم تنكرين مع الفراق تبلدى وبراعة المشتاق أن يتبلدا

وقال الحطيئة

إذا هم بالأعداء لم يثن همه حصان عليها لؤلؤ وشنوف

فأخذه كثير فقال

إذا هم بالاعداء يثن لم همه ... حصان عليها عقد دريزينها

أخذه الطائى نخلط لقصده إلى مجانسة اللفظ فقال

عداك حر الثغور المستضامة عن ... نرد الثغور وعن سلسالها الحصب

وقال مسلم بن الوليد

قد عود الطير عادات وثقن بها ... فهن يتبعنه فى كل مرتحل

أخذه الطائى فقال

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى ... بعقبان طير فى الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها ... من الجيش إلا أنها لم تقاتل

فأتى فى المعنى زيادة وهى قوله إلا أنها لم تقاتل وجاء به فى بيتين وقد ذكر المتقدمون هذا المعنى فأول من سبق إليه الافوه الاودى وذلك قوله

وترى الطير على آثارنا ... رأى عين ثقة أن ستمارا

فبعد النابغة فقال

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم ... عصائب طير يهتدى بعصائب

جوانح قد أيقن أن قبيله ... إذا ما التقى الجمعان أول غالب

فأخذه حميد ابن ثور فقال يصف الذئب

إذا ما غزا يوماً رأيت غيابه ... من الطير ينظرون الذى هو صانع

وقال أبو نواس

تتأى الطير غزوته ... ثقة بالشبع من جزره

أى تتعمد وتتقصد وقال منصور النميرى يمدح الرشيد

وعين محيط بالبرية طرفها ... سواء عليه قربها وبعيدها

أخذه أبو تمام فقال

أطل على كلا الآفاق حتى ... كأن الأرض فى عينه دار

عجز هذا البيت حسن جداً وبيت النميرى أحب إلى لأن معناه أشرح
وقال مسلم بن الوليد

فلما تقضى الليل الصباح وصلته بحاشية من لونه المتورد

أخذه أبو تمام فقال

حطت على قبة الأسلام راحله والشمس قد نفضت ورساعلى الأصل

هذا ما ذكره بن المنجم والذى أظنه أنه أخذه من قول الآخر والشمس صفراء كلون الورس
وقال مرار الفقعسى فى وصف الاثافى

أثر الوقود على جوانبها بخدودهن كأنه لطم

أخذه أبو تمام فقال

أثاف كالخدود لطمن حزناً ونؤى مثلما انفصم السوار

أورد المعنى فى مصراع وأتى بالمصراع الثانى بمعنى آخر يليق به فأجاد إلا أن بيت المرار أشرح وأوضح معنى لقوله أثر الورود على جوانبها فابان المعنى الذى من اجله أشبه بالخدود الملطومة وقال أبو نواس

فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة من كف لؤلؤة ممشوقة القد

أخذه أبو تمام فقال واساء

أو درة بيضاء بكر أطبقة حبلا على ياقوتة حمراء

لان قوله حبلا كلام قبيح مستكره جداً وقال ابو تمام

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

أخذه من قول كثير

إذا وصلتنا خلة كى تزيلها أبينا وقلنا الحاجبية أول

وذكر محمد بن داود بن الجراح فى كتابه انه أخذ المعنى من قول الطثرية إذ يقول

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

وهذا أجود ما قيل فى هذا المعنى لانه ذكر العلة وقال أبو تمام

وما سافرت فى الآفاق إلا ومن جدواك راحلتى وزادى

مقيم الظن عندك والامانى ... وإن قلقت ركابى فى البلاد

أخذه من قول أبو نواس

وإن جرت الالفاظ يوماً بمدحه ... لغيرك إنساناً فأنت الذى نعني

وقد كان ابن أبى داود سأله من هذا المعنى حين أنشده القصيدة فقال أهو مما اخترعته فقال أخذته من قول ابن هانى وان جرت الألفاظ يوماً بمدحه وقال ابن الخياط فى قصيدة يمدح بها المهدى فأجازه بجائزة ففرقها فى الدار فبلغه فاضعف له الجائزة فقال

لمست بكفى كفه ابتغى الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدى

أخذه أبو تمام فقال

عملني جودك السماح فما ... أبقيت شيئاً لدى من صلاتك

وبيت ابن الخياط أبلغ وأجود وقال دعبل بن على

وإن امرءاً أسدى الى بشافع ... لدى يرجى الشكر منى لاحق

شفيعك فاشكر فى الحوائج أنه ... يصونك عن مكروهها وهو يخلق

أخذه أبو تمام فقال والطف المعنى وأحسن اللفظ

فلقيت بين يديك حلو عطائه ... ولقيت بين يدى مر سؤاله

وإذا امرؤ أهدى إليك صنيعة ... من جاهه فكأنها من ماله

وقال مسلم بن الوليد فى الحجاب وأخطأ فى المعنى

كذلك الغيث يرجى فى تحجبه ... حتى يرى مسفراً عن وابل المطر

أخذه أبو تمام فقال

ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا ... إن السماء ترجى حين تحتجب

إلا أن لبيت أبى تمام وجهاً من الصواب وقد ذكرته فى باب هذا الكتاب مع ما أخذ على مسلم فى بيته من العيب

وقال النابغة الجعدى

وتستلب الدهم التى كان ربها ... ضنينتنا بها والحرب فيها الحرائب

فأخذه أبو تمام فقال وقصر عنه

لما رأى الحرب رأى العين توفلس ... والحرب مشتقة المعنى من الحرب

أو أخذه من قول ابراهيم بن المهدى

ومسعر الحرب واسم الحرب قد علموا ... لو ينفع العلم مشتق من الحرب

وقالت مريم بنت طارق ترثى أخاها فى أبيات أنشدها ابن الأنبارى فى أماليه

كنا كانجم ليل بينها قمر ... يجلو الدجى فهوى من بينها البدر

أخد أبو تمام اللفظ والمعنى فقال

كأن بنى نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

أو أخذه من قول جرير يرثى الوليد بن عبد الملك

أمسى بنوه وقد جلت مصيبتهم ... مثل النجوم هوى من بينها القمر

ولست أدرى أيهما أخذ من صاحبه أمريم أخذت من جرير أم جرير أخذ منها
وروى دعبل بن على الخزاعى لابى سلمى المزنى من ولد زهير اسمه مكنف الذى يهجو بنى القعقاع آل ذفافة العنبسى فيقول

إن الضراط به تعاظم مجدكم ... فتعاظموا ضرطاً بنى القعقاع

قال دعبل فلما مات ذفافة رثاه أبو سلمى فقال

أبعد أبى العباس يستعتب الدهر ... وما بعده للدهر عتبى ولا عذر

ألا أيها الناعى ذفافة ذا الندى ... تعست وشلت من أناملك العشر

ولا مطرت أرضاً سماء ولا جرت ... نجوم ولا لذة لشاربها الخمر

كأن بنى القعقاع بعد وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

توقيت الآمال بعد ذفافة ... فأصبح فى شغل عن السفر السفر

يعزون عن ثاو تعزى به العلا ... ويبكى عليه الباس والمجد والشعر

وما كان الآمال من قل ماله ... وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر

قال أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح قال أبو محمد بن اليزيدى أنشدنى دعبل هذه القصيدة وجعل يعجبنى من الطائى فى ادعائه اياها وتغييره بعض أبياتها وقال مسا

ابن الوليد يرثى

فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة　　أثنى عليها السهل والاجبال

أخذ ابو تمام المعنى وقصر فى العبارة فقال

وقفنا فقلنا بعد ان أفرد الثرى　　به ما يقال فى السحابة تقلع

وتقصيره عن مسلم أن مسلماً قال أثنى عليها السهل والاجبال فأراد أن هذه السحابة عمت بنفعها وفى قول أبى تمام ما يقال فى السحابة تقلع ابهام لانه لم يفصح بالثناء عليها وأنها نفعت وقد يقال فى السحابة إذا أقلعت ماهو غير المدح والثناء إذا نزلت فى غير حينها وفى غير وقت الحاجة اليها وكثيراً ما يضر المطر إذا كانت هذه حاله وان كان أبو تمام لم يرد هذا القسم وإنما أراد القسم الآخر فقط فقصر فى العبارة والشرح ألا ترى إلى قول الشاعر الاول ما أحسن ماشرط وهو طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها　　صوب الربيع وديمة تهمى

قال غير مفسدها لما دعا لها بالسقيا الذى يدوم وقال البحترى

ألح جوداً فلم تضر سحائبه　　وربما ضر عند الحاجة المطر

وقول أبى تمام ما يقال فى السحابة تقلع يحتاج الى تفسير مع سرقته

وقال العباس بن الاحنف

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا　　وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

أخذه الطائى فقال

آلفة النحيب كم افتراق　　أظل فكان داعية اجتماع

وبيت الاعرابى وهو عروة بن الورد أجود من بيتهما وهو قوله

تقول سليمى لو أقمت بأرضنا　　ولم تدر أنى للمقام أطوف

وقال أبو تمام

أسر بل هجر القول من لو هجرته　　إذا لهجانى عنه معروفه عندى

أخذ المعنى من قول بعض الخوارج وسامه قطرى بن الفجاء قتال الحجاج فأبى لان الحجاج كان من عليه فقال

أأقاتل الحجاج عن سلطانه　　بيد تقر بأنها مولاته

أنى إذا لاخو الدناءة والذى غطت على إحسانه جهلاته
ماذا أقول إذا وقفت ازاءه فى الصف فاحتجت له فعلاته
القول جار على لا أنى إذا لاحق من جارت عليه ولاته
وتحدث الاقوام ان صنائعا غرست لدى فنظلت نخلاته

وقال قيس بن الحطيم

وقضى الله حين صورها الخالق أن لا يكنها سدف

أخذه أبو تمام فقال

فعجبت من شمس إذا حجبت بدت من نورها فكأنها لم تحجب

أو أخذه من قول أبو نواس

ترى ضوءها من ظاهر الكأس طاهراً عليك ولو غطيتها بغطاء

وقال مسلم بن الوليد

يصيب منك مع الآمال طالبها حلماً وعلماً ومعروفاً وإسلاما

أخذه أبو تمام فقال وبرز عليه وإن كان بيت مسلم أجمع للمعنى

ترمى بأشباحنا إلى ملك نأخذ من ماله ومن أدبه

وقال أبو نواس

تبكى البدور لضحكه والسيف يضحك إن عبس

أراد بالبدور جمع بدرة فأخذه أبو تمام فقال وقصر عنه

كل يوم له وكل أوان خلق ضاحك ومال كئيب

فبأزاء هذا البيت قول أبى نواس تبكى البدور لضحكه وقوله والسيف يضحك إن عبس فضل وقال جرير وهن أضعف خلق الله أركانا أخذه أبو تمام فجعله فى الخمر فقال

وضعيفة فاذا أصابت فرصة قتلت كذلك قدرة الضعفاء

وقال رجل من بنى أسد وكان أبو عبد الله الجرشى أحد الشعراء الشاميين أنشد فيه لبعض شعراء بنى أسد

تغيبت كى لا تحتوينى دياركم ولولم تغيب شمس النهار لملت

أخذه الطائى فقال

فانى رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

فأما قول الأيادى

فانى رأيت القطر يسأم دائبا ويسأل بالايدى اذا هو أمسكا

فمن أبى تمام أخذه لأنه متأخر بعده وقال مسلم بن الوليد

موف على نهج واليوم ذو رهج كأنه أجل يسعى الى امد

فأخذه الطائى فقال وقصر

رآه العلج مقتحماً عليه كما اقتحم الفناء على الخلود

وقال قطرى بن الفجاءة

ثم انثنيت وقد أصبت ولم أصب جذع البصيرة قارح الاقدام

أخذه أبو تمام فقال

ومجربون سقاهم من بأسه فاذا لقوا فكأنهم أغمار

وقد ذكر هذا المعنى فى بيت آخر فقال

كهل الاناة فتى الشذاة اذا غدا للحرب كان الماجد الغطريفا

وقال آخر

يبيع ويشترى لهم سواهم ولكن بالطعان هم تجار

ويروى بالرماح أخذه الطائى وقصر وغير المعنى وجاء بغرض آخر

لقط لاخلاق التجار وانهم لغدا بما ادخروا له لتجار

وقال ابو نواس يمدح الخصيب

فما جازة جود ولا حل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير

وقال جرير يهجو الأخطل

مازلت تحسب كل شىء بعدهم خيلا تكر عليكم ورجالا

أخذه أبو تمام فقال

حيران يحسب سجف النقع من دهش نقى يحاذر أن ينقض أو جرفا

وأخذ جرير المعنى من قول الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم وقال مسلم يرثى

سلكت بك العرب السبيل الى العلى حتى اذا سبق الردى بك داروا
نفضت بك الآمال احلاس المنى واسترجعت نزاعها الامصار

أخذه أبو تمام فقال

توفيت الآمال بعد محمد فأصبح مشغولا عن السفر السفر

أو أخذ ذلك من قول أبي سمي يرثى ذفافة العبسي كما حكى دعبل

وقال توبة بن الحمير

يقول أناس لا يضرك نأيها بلي كل ما شف النفوس يضيرها

أخذه أبو تمام فقال وزاد فيه

لا شيء ضائر عاشق فاذا نأى عنه الحبيب فكل شيء ضائر

وقال عنترة

فشككت بالرمح الطويل ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

أخذه أبو تمام فقال

يحملن كل مدجج سمر القنا باهابه أولى من السربال

قال ذلك لأنه ظن أن عنترة أراد الثياب نفسها وانما أراد عنترة بقوله ثيابه نفسه وقال مسلم بن الوليد

يكسو السيوف نفوس الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

أخذه أبو تمام وأساء الأخذ وتعسف اللفظ فقال

أبدلت رؤسهم يوم الكريهة من قنا الظهور قنا الخطى مدعما

وأخذ المعنى جميعا من قول جرير

كأن رؤس القوم فوق رماحنا غداة الوغى تيجان كسرى وقيصر

وقال امرؤ القيس

سموت اليها بعد ما نام أهلها سمو جباب الماء حالا على حال

أخذه أبو تمام وعدل به الى وجه المديح فقال

سما للعلا من جانبيه كليهما سمو حباب الماء جاشت غواربه

وما قيل فى اخفاء الحركة والدبيت أبلغ ولا أبرع من بيت امرء القيس هذا

وقال الفرزدق يهجو جريرا

أنتم قرارة كل مدفع سوءة ولكل سائلة تسيل قرار

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى جميعا فقال

وكانت لوعة ثم اطمأنت كذاك لكل سائلة قرار

وقال محمد بن بشير الخارجى من خارجة عدوان

واذا رأيت صديقه وشقيقه لم تدر أيهما أخو الارحام

أخذه أبو تمام فقال

فلو أبصرتهم والزائر بهم لما مزت الحميم من البعيد

فقصر عن الاول وقال بعض الأعراب يصف المصلوب أنشده ثعاب

قام ولما يستعن بساقه * الف متواه على فراقه * كأنما يضحك فى اشراقه *

أخذ أبو تمام قوله الف متواه على فراقه فقال

لا يبرحون ومن وراهم خالهم أبدا على سفر من الاسفار

وقال مسلم بن الوليد وهو معنى سبق اليه

لا يستطيع يزيد من طبيعته عن المروءة والمعروف احجاما

أخذ أبو تمام المعنى فكشفه وأحسن اللفظ وأجاده فقال

تعود بسط الكف حتى لو انه دعاها لقبض لم تجبه أنامله

وقال ذو الرمة

وليل كجلباب العروس اذرعته باربعة والشخص فى العين واحد

احم علافى وابيض صارم واعيس مهرى واروع ماجد

أخذه أبو تمام فقصر وليس هو المعنى بعينه فقال

البيد والعيس والليل التمام معا ثلاثة ابدا يقرن فى قرن

والذى اتبع ذا الرمة فأحسن الاتباع البحترى فى قوله

يا خليلى بالسواحر من ادن معن وبحتر بن عتود

اطلبا ثالثا الى فانى رابع العيس والدجى والبيد

وقال النابغة الذبيانى وكان الأصمعى يتعجب من جودته

وعيرتنى بنو ذبيان خشيته وهل على بان اخشاك من عار

أخذه أبو تمام فقال وزاد ذكر الموت

خضعوا لصولتك التى هى عندهم كالموت يأتى ليس فيه عار

وقال كعب بن زهير يمدح قريشا

لا يقع الطعن الا فى نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

أخذه أبو تمام كما قال لى بعض الرواة فقال يرثى جيداً

لو خر سيف من العيوق منصلتا ما كان الا على هاماتهم يقع

روى الشاميون أن أبا تمام سئل عن هذا المعنى فقال أخذته من قول نادبة لو سقط حجر من السماء على رأس يتيم ما أخطأ فأما قول كعب لا يقع الطعن الا فى نحورهم فانما أراد أنهم لا يولون الدبر وليس معنى أبى تمام فى شىء وقال يصف الراية

تخفق اثناؤها على ملك يرى طراد الابطال من طرده

أخذه من قول أبى نواس تعد عين الوحش من أقواتها وأخذه أبو نواس من قول أبى النجم تعد عانات اللوى من ماهاوقال أبو تمام يستهدى نبيذاً

ومى نزر لو أنها من دموع الصب لم يشف منه حر الغليل

أخذه من قول الآخر أو أخذه الآخر منه والمعنيان متشابهان

لو كان ما أهديته أثمدا لم يكف الا مقلة واحده

وقال يصف مغنية تغنى بالفارسية

ولم أفهم معانيها ولكن شجت كبدى فلم أجهل شجاها

أخذه من قول الحسين بن الضحاك على ما فى قول الخليع من المناقضة

ولم أفهم ما يعنى مغنينا اذا غنى

سوى أني من حبي له استحسن المعنى

لأنه قال ما أفهم ما يعني ثم قال استحسن المعنى وإنما أراد بالمعنى اللحن ومعنى القول وأجود من ذلك كله قول حميد بن ثور يصف الحمامة

ولم أر مثلي شاقه صوت مثلها ولا عربيا شاقه صوت اعجما

وقال الفرزدق يرثي امرأة له ماتت حاملا

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح عليه ولم أبعث عليه البواكيا

وفي بطنه من دارم ذو حفيظة لو أن المنايا أمهلته لياليا

فقال أبو تمام وأجاد اللفظ واحسن الأخذ وأصاب التمثيل فقال يرثي ابنين صغيرين ماتا لعبد الله بن طاهر

لهفي على تلك المخايل فيهما لو أمهلت حتى يكون شمائلا

ان الهلال اذا رأيت نموه ايقنت أن سيكون بدرا كاملا

وقال أبو تمام

صلتان اعداؤه حيث كانوا في حديث ذكره مستفاض

فاخطأ في قوله مستفاض وانما هو مستفيض وقد احتج له محتج بأن قال أراد مستفاض فيه وانما جعلهم يفيضون في ذكره لانهم أبدا على حال وجل واحتراس من ايقاعه بهم فهم لا يقطعون ذكره من شدة الخوف منه ألا تراه قال حيث حلوا أي هم بهذه الحال قريبا كانت دراهم منه أو بعيداً وأخذ هذا المعنى من قول أعشى باهله يرثي أخاه لأمه المنتشر

لا يامن القوم ممساه ومصبحه في كل فج وان لم يغز ينتظر

أو من قول عروة الصعاليك

وان بعدوا لا يأمنون اقترابه تشوف أهل الغائب المنتظر

وهذان البيتان جميعا أوضح وأشرح وأجود من بيت أبي تمام وقد قيل أنه أراد أن أعداءه يقرون بفضله ويفيضون في ذكر مناقبه وذلك محتمل والمعنى الأول أقوى وأفشى في كلامهم

وقال بشار بن برد

شربنا من فؤاد الدن حتى تركنا الدن ليس له فؤاد

أخذه أبو تمام فقصر عنه فقال

غدت وهى أولى من فوادى بعزمتى ورحت بما فى الدن أولى من الدن

وقال الأخطل

تدب دبيبا فى العظام كأنها دبيب نمال فى نقا يتهيل

أخذه أبو تمام فافسد المعنى فقال

اذا الروح دبت فيه تحسب جسمه لما دب فيه قرية من قوى النمل

وقال أبو داود الأيادى

لا أعد الاقلال عدما ولكن فقد من قد فقدته الاعدام

أخذ أبو تمام صدر البيت فقال

لا يحسب الاقلال عدما بل يرى أن المقل من المروءة معدم

وقال أبو الهندى

وترى سهيلا فى السماء كأنه ثور يعارضه هجان الربوب

أخذ أبو تمام فقال

أراعى من كواكبه هجانا سواما لاترتع الى المسيم

وقال أبو نواس

شققت من الصبا واشتق منى كما اشتقت من الكرم الكروم

أخذه أبو تمام فقال

الذ مصفاة من الظل فى الضحى وأكرم فى اللأواء عودا من الكرم

وقال مسلم بن الوليد

تمضى المنايا كما تمضى أسنته كأن فى سرجه بدرا وضرغاما

أخذه أبو تمام فقال

غنى من يديه الباس يضحك والندى وفى سرجه بدر وليث غضنفر

وقال ابن هرمة

استبق عينك لا يودى البكا بهما واكفف بوادر من عينيك تستبق

أخذه أبو تمام فقال

ليس الشئون وان جادت بباقية ... ولا الجفون على هذا ولا الحدق

وقال أيضا

ولا يبقى على أدمان هذا ... ولا هذا العيون ولا القلوب

وقال أبو تمام يهجو السراج

يا ابن الخبيثة لم تعرض صخرة ... صماء من مجدى بعرض زجاج

أخذه من قول الآخر واظنه بشاراً

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته ... فانه عربي من قوارير

وقال الشاعر

مهامه أشباه كأن سرابها ... ملآ بأيدى الغاسلات رحيض

أخذه أبو تمام فقال

وبساط كأنما الآل فيه ... وعليه سحق الملا الرحيض

وقال أبو تمام

فاشمالوا يلجلجون دؤوبا ... مضغا للكلال فيها أنيض

أخذه من قول زهير

تلجلج مضغة فيها أنيض ... اصلت فهى تحت الكشح داء

وقال أبو نواس

سن للناس الندى فندوا ... فكأن البخل لم يكن

أخذه أبو تمام فقال

مضوا وكأن المكرمات لديهم ... لكثرة ما أوصوا بهن شرائع

وقال فى الغزل

مستحيل أن تحتويك الظنون ... كيف يحوى ما لا تراه العيون

غير أنا نقول أنك خلق　　حركات مفعوله وسكون

أخذه من قول أبي نواس و قصر

سبحان من خلق الخلق من ضعيف مهين

يسوقه من قرار　　الى قرار مكين

حتى بدت حركات　　مخلوقة من سكون

وقال أبو العتاهية

كم نعمة لا يستقل بشكرها　　لله فى طي المكاره كامنه

أخذه الطائى فقال واحسن لأنه جاء بالزيادة التي هي عكس الشيء الأول

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت　　ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

وقال آخر واست أدري اهو قبل الطائى أو فى أيامه

ما كنت أحسب ان بحراً زاخرا　　عم البرية كلها أرواء

أضحى دفينا فى ذراع واحد　　من بعد ما ملك الفضاء فضاء

فقال الطائى وأبر عليه وعلى كل من ذكر هذا المعنى

وكيف احتمالى للسحاب صنيعة　　باسقائها قبرا وفى لحده قبر (لعله بحر

وقال آخر

نوى كما نقض الهلال محافة　　أو مثل ما فصم السوار المعصم

أخذه أبو تمام فقال ونوى مثلما انفصم السوار وقال آخر فى السحاب

كان عينين باتا طول ليلهما　　يستمرطان على غمدرانه المقلا

فقال الطائى وحول المعنى وأجاد

كان الغمام الغر غيبن تحتها　　حبيبها فما ترقى لهن مدافع

وقال الطائى

وليست بالعوان العنس عندى　　ولا هي منك بالبكر الكعاب

أخذه من قول الفرزدق

وعنـد زياد لو يريد عطاءهم رجال كثير قد ترى بهم فقرا
قعود لدى الأبواب طالب حاجة عوان من الحاجات أو حاجة بكرا

وقال الآخر وهو معبد الهزلى

أى عيش عيشى اذا كنت منه بين حل وبين وقت الرحيـل
كل فـج من البـلاد كأنى طالب بعض أهله بذهول

فقال الطائى

كأن له دينـا على كل مشرق من الارض أو ثاراً لدى كل مغرب

وقال آخر وأنشده ابن أبى طاهر والأخفش للارقط بن دعبل

نهنه دموعك من سح رتسجام البين اكثر من شوقى وأسقامى
وما أظن دموع العين راضية حتى تسح دما هطلا بتسجام

أخذ الطائى معنى البيتين ولفظهما فقال

ما اليـوم أو توديعى ولا الثانى البين اكثر من شوقى وأحزانى
وما أظن النوى ترضى بما صنعت حتى تبلغنى أقصى خراسـان

وأنشدنى ابن طاهر لدعبل

ان جاءه مرتغبـاً سـائل آلت عليه رغبـة السـائل

أخذه أبو تمام فقال

وانى لأرجو عاجلا ان تردنى مواهبه بحرا ترجى مواهبي

وقال ابن دعبل على

واسمر فى راسـه ازرق مثل لسان الحيـة الصادى

أخذه الطائى فقال

مثقفـات سلبن الروم زرقتهـا والعرب ادمتها والعاشق القضفا

فزاد المعنى بان شبه زرقتها بزرقة الروم وسمرتها بسمرة العرب ولكن قول دعبل

مثل لسان الحية الصادى ليس لحسنه نهاية وقال قال أبو نواس

واطعم حتى ما بمكة آكل   واعطى عطاه لم يكن بضمان

أخذ الطائى معنى صدر البيت فقال

فنول حتى لم يجد من ينيله   وحارب حتى لم يجد من يحاربه

وقال أبو نواس فى أرجوزة يصف فيها الحمام ويمدح فيها قوما

يسكرهم قبل النوال اللاحق   كالبرق يبدو قبل جود دافق

والغيث يخفى وقعه للرامق   ان لم يجده بدليل البارق

أخذ المعنى أبو تمام فقال

يستنزل الأمل البعيد ببشره   بشر الخيلة بالربيع المغدق

وكذا السحائب قلما تدعو الى   معروفها الرواد ما لم تبرق

وقال ابو العتاهية

وانا اذا ما تركنا السؤال   منه فلم نبغه يبتدينا

وان نحن لم نبغ معروفه   فمعروفه ابدا يبتغينا

وقال مسلم بن الوليد فى معنى بيت أبو العتاهية الأول

اخ لى يعطينى اذا ما سألته   ولو لم أعرض بالسؤال ابتدانيا

أخذه ابو تمام معنى البيت ومعنى بيت أبى العتاهية الاول فقال

ورايتنى فسألت نفسك سيبها   لى ثم جدت وما انتظرت سؤالى

أو لعله أخذه من قول منصور النمرى

رأيت المصطفى هارون يعطى   عطاء ليس ينتظر السؤالا

وأجود من هذا كله قول سلم الخاسر

أعطاك قبل سؤاله   فكفاك مكروه السؤال

وأخذ أبو تمام معنى بيت أبى العتاهية الثانى فقال

كالغيث ان جئته وافاك ريقه　　وأن تحملت عنه كان فى الطلب

وقال مسلم

وما كان مثلى يعتريك رجاؤه　　ولكن اساءت شيمتى من فتى محض

أخذه أبو تمام وزاد زيادة حسنة فقال

فان كان ذنبى ان احسن مطلبى　　اساءة فى سوء القضا لى العذر

وأنشد أبو تمام فى الحماسة

ترد السباع معى فالقى كالمدل من السباع

أخذ المعنى من فيه فقال

ابن مع السباع الماء حتى　　لخالته السباع من السباع

وقال النظار بن هاشم الازدى

يعف المرؤ ما استحيا ويبقى　　نبات العود مابقى اللحاء

وما فى أن يعيش المرء خير　　اذا ما المرء زايله الحياء

أخذ ابو تمام معنى البيتين وأكثر لفظهما فقال

يعيش المرء مااستحيا بخير　　ويبقى العود مابقى اللحاء

فلا والله ما فى العيش خير　　ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

وقال أبو نواس

ابن لى كيف صرت الى حريمى　　ونجم الليل مكتحل بقار

أخذه الطائى فقال

اليك هتكنا جنح ليل كانه　　قد اكتحلت منه البلاد باثمد

وسمع أبو نواس يقول

تبكى فتذرى الدر من نرجس　　وتلطم الورد بعناب

فقال واساء كل الأساءة وقبح صدر البيت

ملطومة بالورد أطلق طرفها　　فى الخلق فهو مع المنون محكم

وقال أبو تمام

وممـا كانت الحكماء قالت   لسان المرء من خدم الفؤاد

أخذه من الجعد بن صمام أحد بنى عامر بن سنان ذكره أبو تمام فى اختيارات القبائل

ان البيان مع الفؤاد وانما   جعل اللسان بما يقول رسولا

وقال طريح الثقفى يرثى قوماً

فلله عينـا من رأى قـط حادثا   كفرس الكلاب الأسد يوم المشلل

أخذه أبو تمام فأجاد الاخذ فقال

من لم يعاين أبا نصر وقاتـله   فما رأى ضبعاً فى شدقها سبع

وهذا معنى متداول وقد يجوز أن يكون أخذه الطائى من غير هذا الموضع وقال مروان ابن ابى حفصة

ما ضرنى حسـد اللئام ولم يزل   ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

أخذه أبو تمام فقال   وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع

وقال أبو ذهيل الجمحى

ما زلت فى العفو للذنوب واطلاق لعان بجرمه غاق

حتى تمنى البراة انهم عندك أمسوا فى القد والحاق

أخذه أبو تمام فقال

وتـكفل الايتام عن آبائهم   حـتى وددنا أننـا أيتـام

وقال زيد الخيل الطائى

واسمر مربوع يرى ما رأيته   بصـير اذا صوبتـه بالمقاتل

أخذه أبو تمام فقال

من كل اسمر نظار بلا نظر   الى المقاتل ما فى متنـه أود

وقال أبو نخيلة فى مسلمة بن عبد الملك

ونوهت من ذكرى وما كان خاملا   ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

أخذه أبو تمام فقال

لقد زدت أوضاحي امتداداً ولم أكن　　بهيما ولا أرضى من الارض مجهلا
ولكن إياد صادفتني جسامها　　أغر فوافت بي أغر محجلا

وقال المسيب بن علس

هم الربيع على من كان حلهم　　وفى العدو منا كيد مشائيم

وقال غلاقة بن عركى التميمى يرثى قوما

وكنتم قديماً فى الحروب وغيرها　　ميامين للادنى لاعدائكم نكدا

ومثله قول كعب بن الحزم

بنو رافع قوم مشائيم للعدى　　ميامين للمولى وللمحترم

أخذ الطائى هذا المعنى فقال فى مدح أبى سعيد

اذا ما دعوناه بأجلح أيمن　　دعاه ولم يظلم بأصلع أنكد

وقال دكين الراجز عارى الحصى يدرس مالم يلبس فقال ابو تمام

تجدد كلما لبست وتبقى　　اذا ابتذلت وتخلق فى الحجاب

أو أخذه من قول الراجز

عودعلى عودمن القدم الاول　　يميته الترك ويحييه العمل

يعنى طريقا وقال تميم بن أبى بن مقبل

قدكنت راعى أبكارمنعمة　　فاليوم أصبحت أرعى جلة شرفا

يريد عجائز أخذه الطائى فقال وعد بشطر البيت الى وجه آخر فاحسن

كنت أرعى الخدود حتى اذا ما　　فارقونى بقيت أرعى النجوما

وقال حسان بن ثابت الانصارى

والمال يغشى رجالا لا طباخ لهم　　كالسيل يغشى أصول الدندن البالى

أخذه الطائى فقال

لاتنكرى عطل الكريم من الغنى　　فالسيل حرب للمكان العالى

وقال أبو تمام فى وصف الشعر

ولكنه صوب العقول اذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب

أخذه من قول أوس

أقـــول بما صبت علي غمامتي ودهري وفى حبل العشيرة أحطب

وقال أمية بن أبى الصلت

عطاؤك زين لامرء ان حبوته بخير وما كل العطاء يزين

أخذه الطائى فقال

ما زلت منتظراً أعجوبة زمنا حتى رأيت سؤالا يجتني شرفا

وقال كثير

ونازعني الى مدح ابن ليلى قوافيها منازعـة الغراب

أخذه الطائى فقال

تغاير الشعر فيه إذ سهرت له حتى ظننت قوافيـه ستقتتل

وقالت محياه بنت طليق من بنى تيم الله بن ثعلبة

نعى ابني محل صوت ناع أصمنى فـلا أب محمـودا يريد نعاهما

وقال سفيان بن عبد يغوث البصرى

صمت له اذناى حين تعبته ووجدت حزنا دائما لم يذهب

أخذه الطائى فقال

اصم بك الناعى وان كان اسمعا واصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

ونحوه قول الحارث بن نهيك الدارمى

ففقأ عينى تبكاؤه وأورث السمع منى صمم

وقال سعران بن عرياض القسرى

فما السائل المحروم يرجع خائباً ولـكن بخيل الأغنياء نحيب

وقال آخر وهو الشجاع القائق فى خبر عن ابن الكلبي ورواه ابن دريد

لا تزهدن فى اصطناع العرف من أحد ان الذى يحرم المعروف محروم

أخذه أبو تمام فقال

وانى ما حورفت فى طلب الغنا ولكنما حورفتم فى المكارم

وقال عنترة والطعن منى سابق الآجال وانما أراد الآجال سابقة طعنى لشدة خوفه اذا سدد سنانه للطعن أخذه الطائى فغيره تغيراً حسنا فقال

يكاد حين يلاقى القرن من حنق قبل السنان على حوبائه يرد

وقال عدى ابن الرقاع يمدح بعض بنى مروان

وإذا رأيت جماعة هو فيهم نبئت سؤدده ولم تسأل

أخذه الطائى فقال

يحميه لألاوه ولو دعيته عن ان يذال بمن أو ممن الرجل

فقصر عدى بالممدوح إذ جعله إذا كان فى جماعة لم يعرف حتى تنبىء عنه شمائله وتبعه أبو تمام فى التقصير وقال

طلب المجد يورث المرء خبلا وهموما تقضقض الحيزوما

فتراه وهو الخلى شجيا وتراه وهو الصحيح سقيما

أخذ قوله وهموما تقضقض الحيزوما من قول لقيط الأيادى

لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه هم يكاد حشاه يحطم الضلعا

وأخذ معنى قوله

ولهته العلى فليس بعد البؤس بؤسا ولا النعيم نعيما

من قول لقيط أيضا

لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعا

وقال أبو العارم الطائى

غبي العين أو فهم تغابى عن الشدات والفكر القوامى

أخذه أبو تمام فقال وزاد عليه وأحسن

ليس الغبي بسيد في قومه   لكن سيد قومه المتغابي

أو أخذه من قول دعبل • تخال أحيانا به غفلة • من كرم النفس وما أعلمه وتمثلت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته عليه السلام فيما روى عنها ولا أعلم صحته • صبت على مصائب لو أنها • صبت على الأيام عدن لياليا

ومثله قول الطائي

عادت له أيامه مسودة   حتى توهم أنهن ليالي

وقال أبو أذينه

أسعى له فيعيني مطلبه   ولو قعدت أتاني لا يعنيني

أخذه الطائي فقال

لرزق لا تتكمد عليه فانه   يأتي ولم تبعث إليه رسولا

وقال الطائي

وجه العيس وهي عيس إلى الله فاضت من الهواجر شما

أخذه من قول ابن هرمه

بدأت عليها وهي عيس فاصبحت   من السير جونا لاحقات الغوارب

وأنشد الاشناندانى في المعاني بذكر الابل

ردت عوارى غيطان الفلا ونجت   بمثل أمثاله من حائل العشر

أخذه أبو تمام فقال

فكم جذع وادجب ذروة غارت   وبالأمس كانت أنهكته مذانبه

وقال أبو تمام

لو أصخنا من بعده لسمعنا   لقلوب الأيام منك وجيبا

أخذه من قول أبي نواس

حتى الذى في الرحم لم يك نطفة   لعواده من خوفه خفقان

وقال آخر

يا حبذا ريح الجنوب إذا غدت   بالفجر وهي ضعيفة الأنفاس

قد حملت برد الثرى وتحملت　　عبقاً من الجثجاث والبسباس

أخذه الطائى فقال

اربى بناديك الندى وتنفست　　نفساً بعقوتك الرياح ضعيفا

وقال نصيب

وقد عاد ماء الأرض ملحاً فزادنى　　على ظمأى أن ابحر المشرب العذب

أخذه أبو تمام فقال

كانت مجاورة الطلول وأهلها　　زمناً عذاب الورد فهى بحار

وقال غيلان بن سلمة الثقفى يصف فرساً

نهد كتيس اقب معتدل　　كأنما فى صهيله جرس

أخذه أبو تمام فقال

صهصلق فى الصهيل تحسبه　　أشرج حلقومه على جرس

وقال الفرزدق

قيام ينظرون الى سعيد　　كأنهم يرون به هلالا

أخذه أبو تمام فقال

رمقوا أعالى جذعه فكأنما　　رمقوا الهلال عشية الافطار

وقال ابن مناذر فى البرامكة

إذا وردوا بطحاء مكة أشرقت　　بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر

لهم رحلة فى كل يوم إلى العدى　　وأخرى إلى البيت العتيق المستر

أخذه أبو تمام فقال

حين عفى مقام ابليس سامى　　بالمطايا مقام ابراهيما

وقال أبو تمام

فحيوا بالأسنة ثم ثنوا　　مصافحة بأطراف الرماح

أخذ قوله تحيوا بالأسنة من قول مسلم

تحيوا بأطراف القنا وتعانقوا معانقة البغضاء غير التودد

وأخذ قوله مصافحة بأطراف من قول أبى اسحاق الثعلبي

دنوت له بأبيض مشرفي كما يدنو المصافح للسلام

وقال جرير فى يزيد بن معاوية

الحزم والجود والايمان قد نزلوا على يزيد أمين الله فاختلفوا

ألم به أبو تمام فقال

من البأس والمعروف والجود والتقى عيال عليه رزقهن شمائله

فقال عيال عليه وهو نحو قول جرير نزلوا على يزيد ولعل أبا تمام أخذه من قول دعبل

تنافس فيه الحزم والبأس والتقى وبذل اللهى حتى اصطبحن ضرائرا

وقال الكميت يصف الخيل

يفقهن عنهم إذا قالوا ويفقههم مستطعم صاهل منهم ومتحم

أخذه أبو تمام فقال

وهو إذا ما ناجاه فارسه يفهم عنه ما تفهم الانس

وقال الكميت أيضا

والقين البرود على خدود يزين الفداغم بالاسيل

يريد بالفداغم الرخوة اللحمية فقال أبو تمام

ونموا على وشي الخدود صيانة وشي البرود بمسجف وممهد

وقال الأبيرد الرياحي

وكنت أرى هجراً فراقك ساعة الا لا بل الموت التفرق والهجر

أخذه أبو تمام فقال

الموت عندى والفراق كلاهما ما لا يطاق

وأنشد أبو العباس المبرد العتبي

أضحت بخدى للدموع رسوم   أسفاً عليك وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحسن فى المواطن كلها   إلا عليك فإنه مذموم

قال وأخذه الطائى فقال فى ادريس بن بدر الشامى

دموع أجابت داعى الحزن همع   توصل منا عن قلوب تقطع
وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً   فاصبح يدعى حازماً حين يجزع

قال وجاء به الطائى فى موضع آخر فقال

الصبر أجمل غير أن تلذذى   فى الحب أحرى أن يكون جميلا

وقال الراجز أنشده يعقوب بن الكميت

قد أضحت العقدة صلعاء اللحم   وأصبح الأسود مخضوباً بدم

العقدة موضع ذو شجرة لا يفنى فيذهب وصلعاء اللحم الجماجم رهو جمع لمة فجعله مثلا لرؤوس النبت اكلته الابل فصارت لممه صلعا والأسود الحية تطأه الابل فتقتله فظفر بهذا أبو تمام فقال • حتى تعمم صلع هامات الربى • من نوره وتأزر الأهضام والأهضام ما انخفض من الأرض ووجدت ابن أبى طاهر خرج سرقات أبى تمام فأصاب فى بعضها وأخطأ فى البعض لأنه خلط الخاص من المعانى بالمشترك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقا فمن السرق قول أبى تمام

كما كاد ينسى عهد ظمياء باللوى   لديه ولكن أملته عليه الحمائم

أخذه من قول العتابى

بكى واستمل الشوق من فى حمامة   ابت فى غصون الايك إلا الترنما

أظن قوله فى حمامة أراد من صوت حمامة دعته اليه الضرورة وليس هذا موضع فى وقوله أملته من قول العتابى واستعمل وقد جاء مثله فى أشعارهم وقال أحذقوله

لا تنشجن لها فان بكاءها   ضحك وان بكاءك استغرام

من قول الآخر

فانى ان بكيت بكيت حقاً   وانك فى بكائك تكذبينا

وقال فنول حتى لم يجد من ينيله أخذه من قول على بن حبلة

أعطيت حتى لم تجد لك سائلا وبدأت إذا قطع العفاة سؤالها

وقد ذكرت أخذه هذا المعنى فيما تقدم من غير ابن جبلة وقال

انى لأعجب ممن فى حقيبته من المنى بحور كيف لا يلد

أخذه من مروان فى قوله

لو كان يحمل من هذا الورى ذكر لـكنت أول خلق الله بالولد

ومن قوله أيضا

لو كان يخلق فى بطن إمرىء ولد لأصبح البطن منه ضامنا ولدا

وقال

يحميه لألاؤه ولوذعيته عن أن يذال بمن أو ممن الرجل

أخذه من حسان

إذا ما ترعرع فينا الغلام فما ان يقال له من هوه

وقد ذكرت أخذه هذا المعنى فيما تقدم من غير حسان (قال)

فلا تطلبوا أسيافهم فى جنونها فقد أسكنت بين الطلى والجماجم

أخذه من قول عنترة

ولم يعلم جزية أن تلى يكون جفيرها البطل النجيد

وقال

يتجنب الأيام ثم يخافها فكأنما حسناته آثام

أخذه من قول أبو العتاهية . لم تنتقصنى اذا أساءت وزدتنى حتى كان أساءتى إحسان

وقال الطائى

أجل أيها الربع الذى بان آهله لقد أدركت فيك النوى ما تحاول

وقال

لا تذيلن مصون همك وانظر كم بذى الأيك دوحة من قضيب

أخذه من قول الأشهب

علی بني يشد الله أزرهم	والدوح ينبت عيدانا فيكتهل

وقال

أظله البين حتى انه رجل	لو مات من شغله بالبين ماعلما

أخذه من قول أبي الشيص

وكم من ميتة قدمت فيه	ولكن كان ذاك وما شعرت

وقال في وصف الرماح

كانما وهي في الاكباد والية	وفي الكلى تجد الغيظ الذى تجد

أخذه من قول النمري

ومصلتات كأن حقداً	منها على الهام والرقاب

وقال

إذاماغاروافاحتووامال معشر	أغار عليهم فاحتوته الصنائع

أخذه من قول الآخر

إذا أسلفتهن الملاحم مغنما	دعاهن من كسب المكارم مغرم

وقال

وركب كأطراف الأسنة عرسوا	على مثلها والليل تسطو غياهبه

وقد ذكرت أخذت هذا المعنى فيما تقدم من كثير «قال»

توفيت الآمال بعد محمد	فأصبح مشغولا عن السفر السفر

أخذه من قول عصام الجرجاني

ألا في سبيل الله آمالك التي	توفين لما اغتالك الحدثان

وقد تقدم ذكرهذا وأنه أخذه من موضع آخر وقال تعليفها الاسراج والألجام

جراجيج يطفن الذميل كأنها	معاطف ظبي أوحني الشراجع

وقال

ذاك الذى كان لو أن الأنام له … نسل لما عليهم جبن ولا بخل

أخذه من قول أبى الشميط

لو كان جدكم شريك والداً … للناس لم تلد النساء بخيلا

وقال حمراء من حلب العصير كسرتها … بيضاء من حلب الغمام الرفرق

أخذه من قول مسلم

صفراء من حلب العصير كسوتها … بيضاء من حلب الغيوم البجس

وقال أخذ قوله بياض العطايا فى سواد المطالب من قول الأخطل

رأين بياضاً فى سواد كأنه … بياض العطايا فى سواد المطالب

وأخذ قوله

ناجيت ذكرك والظلماء عاكفة … فكان يا سيدى أحلى من الشهد

من قول ابن أمية

كم ليلة نادمنى ذكره … يسعدنى المثلث والزير

وأخذ قوله

والعيش غض والزمان غمام … من قول الأخطل

سعيت شباب الدهر لم تستطعهم … أفالآن لما أصبح الدهر فانيا

وأخذ قوله

ذاك الذى أحصى الشهور وعدها … طمعاً لينتج سقبة من حائل

من قول اعرابى

إنا وجدنا طرد الهوامل … خيراً من التاقان والمسائل

وعدة العام وعام قابل … ملقوحة فى ناب بطن حائل

وأخذ قوله

يعلون حتى مايشك عدوهم … ان المطايا الجمر حى منهم

من قول مسلم بن الوليد

لو أن قوما يخلقون منية		من بأسهم كانوا بنى جبريلا

وأخذ قوله

لو كان فى الدنيا قبيل آخر		بازائهم ما كان فيها معدم

من قول بشار

لو كان مثلك آخر		ما كان فى الدنيا فقير

وقال فى قوله

ذقنا الصدود فلما اقتادار سننا		حنت حنين عجول بيننا الرحم

من قول الأسود بن يعفر

سما بصرى لما عرفت مكانه		واطت الى الواشجات اطيطا

وأخذ قوله

صفر اصفرة صحة قد ركبت		جثمانه فى ثوب سقم أصفر

من قول على بن وزين الكوفى بيضا رعنوبة صفراء من غير

وقال فى قوله لم تكدى فظننت ان لم تكمدى		من قولهم

لا تنكرى جزع المحب فانه		يطوى على الزفرات غير حشاك

وقال فى قوله

سقى الغيث غيثا وارت الأرض شخصه		وإن لم يكن فيه سحاب ولا قطر

من قول عقيق بن سلك العامرى		سقاك الغيث إنك كنت غيثا

وقال فى قوله

أمن يعد طى الحادثات محمدا		يكون لأثواب العلى أبدا نشر

من قول أبى نواس

طوى الموت مابينى وبين محمد		وليس لما تطوى المنية ناشر

وقوله ايضا

ولا يعدم الغاوى على الغى لائما		وإن هو لم يشفق عليه بلوم

وأخذ قوله

من شرد الاعدام عن أوطانه   بالبذل حتى استطرف الاعدام

من قول الأعشى

هم يطردون الفقر عن جارهم   حتى يرى كالغصن الناضر

وفى قول أبى تمام زيادة حسنة وهى قوله حتى استطرف الاعدام

وأخذ قوله

حلفت ان لم تثبت ان حافره   من صخر تدمر أو من وجه عثمان

من قول الآخر

لو كان حافر برذونى كاوجهكم   بنى بديل لما انعلته ابدا

ومما نسبه فيه ابن أبى طاهر الى السرق وليس بمسروق لأنه مما يشترك فيه الناس من المعانى والجرى على السنتهم منه مانسبه الى السرق والمعنيان مختلفان قول أبى تمام

ألم تمت ياشقيق الجود من زمن   فقال لى لم يمت من لم يمت كرمه

وقال أخذه من العتابى

ردت صنائعه اليه حياته   فكأنه من نشرها منشور

ومثل هذا لايقال له مسروق لأنه قد جرى فى عادات الناس اذا مات الرجل من أهل الخير والفضل وأثنى عليه بالجميل أن يقولوا ما مات من خلف الثناء ولا من ذكر وذلك شائع فى كل أمة وفى كل لسان   وقال أبو تمام

اذا عنيت بشىء خلت انى قد   أدركته أدركتنى حرفة الأدب

وقال أخذه من الجريمى

أدركتني بذاك أول دأبى   بسبجستان حرفة الآداب

وحرفة الآداب لفظة قد اشترك الناس فيها وكثرت على الأفواه حتى قد سقط أن واحداً يستعملها من آخر هذا قول ابن أبى طاهر ولم يقل أبو تمام أدركتنى حرفة الأدب انما قال أدركتنى حرفة العرب وقد ذكر غلطه فى هذه اللفظة ذكر البيت فى الموازنة

وقال فى قوله

لو يعلم العافون كم لك فى الندى   من لذة وريحة لم تحمد

أخذه من بشار ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلذ طعم العطاء

وما أخاله احتذى فى هذا البيت على قول بشار لان بشارا قال ليس يعطيك رغبة فى جزاء يرجوه ولا خوفا من مكروه ولكن لالتذاذة العطية وأراد أبو تمام أن الطالبين لو علموا التذاذه الندى لم يحمدوه والمعنيان انما اتفقا فى طريق التذاذ الممدوح بعطائه فقط وهذا ليس من بديع المعانى التى يختص بها شاعر فيقال ان واحداً أخذه من الآخر لأن العادة جارية بأن يقال فلان لايعطى متكارها ولا متكافا بل يعطى عن نية صادقة ومحبة لبذل المعروف تامة ونحو هذا من القول وقال فى قوله لو كان ينفخ قين الحى فى فحم من قول الاغلب

قد قاتلوا لو ينفخون فى فحم ماجنبوا ولا تولوا من أمم

وهذا معنى شائع من معانى العرب وجار فى الامثال أن يقولوا قد فعلت كذا واجتهدت فى كذا لو كنت تنفخ فى فحم لان النفخ فى الفحم تحيي النار ويشعلها والنفخ فى حطب ليس بفحم اذا أخذت النار فيه لايورى نارا وقال فى قوله والموت خير من سؤال سؤول من قول محمود وأرغب الى ملك الملوك ولا تكن بادى الضراعة طالبا من طالب ومثل هذا لايكون مسروقا لانه جار على الالسن أن يقال وقع سائل على سائل ومجتهد على مجتهد ووقع البائس على الفقير وأمثال هذا وقال فى قوله

همة تنطح النجوم وجد آلف للحضيض فهو حضيض

من قول اعرابى

همته قد علت وقدرته فى اللحد بين الثرى مع الكفن

وهذا أيضا من المعانى المشتركة الجارية فى العادة أن يقولوا همته علا وجده فى سفال وهمته ناطقة وجده اخرس وهمة ذات أحراك وجد ساكن وهمة فلان ترفعه وجده يضعه وما أشبه هذا وقال فى قوله

يقبل الركن ركن البيت نافلة وظهر كفك معمور من القبل

من قول عبد الله بن طاهر

اعلمت له ذكره مكافأة بان توالى فى ظهرها القبل

وليس بين المعنين اتفاق الا بذكر قبل الكف وهذا ليس من المعانى المبتدعة لأن الناس أبدا يقولون ما خلق وجهه الا للتحية وكفه الا للقليل كما قال دعبل

فباطنها للندى وظاهرها للقبل

ومثل هذا مما نطقوا به كثيرا فلا يكون عندى مسروقا قال فى قوله

نظرت فالتفت منها الى أحلى سواد رأيته فى بياض

من قول كثيرا

وعن نجلاء تدمع فى بياض   اذا دمعت وتنظر فى سواد

وليس بين المعنيين اتفاق الا بذكر البياض والسواد والالفاظ غير محظورة وأبو تمام مما قال فالتفت منها الى أحلى سواد يعنى حدقتها فى بياض يعنى شحمة عينها وهذا هو الصحيح وقد قيل سواد عينها فى بياض وجهها وكثير أراد أن عينها تدمع فى بياض اذا دمعت يريد خدها وتنظر فى سواد يعنى حدقتها وهذا المعنى غير ذاك وقال فى قوله

كم من يدلك لولا ما أخففها به   من الشكر لم تحمل ولم تطق

بالله ادفع عنى ثقل فادحها   فاننى خائف منها الى عنق

من قول أبى نواس   والمعنيان مختلفان لأن أبا نواس قال

لاتسدين الى عارفه   حتى أقوم بشكر ماسلفا

أنت امرء جللتنى نعما   أوهت قوى شكرى فقد ضعفا

فذكر أن نعم الممدوح قد غلبت الشكر فاستعفاه من نعمة أخرى حتى يقوم بشكر نعمته السالفة وأبو تمام قال لولا ما أخففها به من الشكر لم أطق حملها ثم أحسن والطف فى قوله فاننى خائف منها على عنقى ومعنى أبى نواس أجود وأبرع   وقال فى قوله

أعملى المنتف واطلى وقديما   كان صعبا أن تشعب القارورة

من قول الاعشى

كصدع الزجاجة ماتستطيع   كف الصناع لها تحيرا

قلت   ووقع فى شعر الاعشى أيضا قوله

فبانت وفى الصدر صدع لها   كصدع الزجاجة لا يلتئم

وهذا معنى متداول مشهور مبذول من معانيهم فى الزجاج قد نطق به الناس وأكثروا فيه حتى سقط أن يقال أن أبا تمام أخذه من الاعشى وقد تقدم فيه المسيب بن علس فقال

بانت وصدع القلب كان لها صدع الزجاجة ليس يتفق

وقال آخر

وتفرقت نياتهم فتصدعوا صدع الزجاجة مالها تيفاق

ومثله كثير وقال فى قوله

اذا سيفه أضحى على الهام حاكما غدا العفو منه وهو فى السيف حاكم

من قول مسلم بن الوليد

يعدو عدوك خائفا فاذا رأى ان قد قدرت علي العقاب رجا كما

والمعنيان مختلفان لان ابا تمام قال اذا حكم سيف الممدوح على الهام حكم عفوه على السيف ومسلم قال ان عدو الممدوح يخافه فاذا رأى ان قد قدر على العقاب رجاه فليس هذا المعنى من ذلك فى شىء وقال فى قوله

فان هز ثم سللناها وقد غنيت دهرا وهما بنى بكر لها غمد

من قول سعيد بن ناشب

فان اسيافنا بيض مهندة عتق واثارها فى هامهم جدد

والمعنيان مختلفان لان ابا تمام قال وهام بنى بكر لها غمدا وهذا قال واثارها فى هامهم جدد فهذا غير ذلك وقال فى قوله

فلو كانت الارزاق تجرى على الحجى هلكن اذا من جهلهن البهائم

من قول أبى العتاهية

انما الناس كالبهائم فى الرزق سواء جهو لهم والحليم

وبين المعنيين خلاف لان ابا العتاهية أراد ان رزق كل نفس يأتيها جاهلة كانت أو عالمة كما يأتى البهائم وهذا تام فى الفطرة والعقول فتتفق الخواطر فى مثله وابو تمام قال ان الرزق لو جرى على قدر العقل لهلكت البهائم وهذا زيادة فى المعنى حسنة وان كان إلى مذهب أبى العتاهية يؤول وقال فى قوله

وأشجيت أيامى بصبر حلون لى عواقبه والصبر عند اسمه صبر

من قول أبى الشيص

يصبرنى قوم بر آ من الهواء   وللصبر تارات أمر من الصبر

فقول الناس الصبر مر والصبر كاسمه صبر وقولهم الصبر محمود العاقبة وان كان مرا لايكون مسروقا فيقال ان واحداً أخذه من آخر وقول أبى الشيص ان للصبر تارات يكون فيها أمر من الصبر أى له تارات يكون فيها شديد المرارة وقول أبى تمام اشجيت أيامى بصبر حلت لى عواقبه ثم قال والصبر مر عواقبه يريد فى الحلق لو جرعته لكان مقطعه شديد المرارة وانما قال هذا ليجتمع له فى البيت حلاوة عواقبه ومرارة عواقبه هذا تفسير على ما رواه ابن أبى طاهر ولم يقل أبو تمام والصبر مر عواقبه وانما قال والصبر عند اسمه صبر وقال فى قوله

لئن ذمت الاعداء سوء صباحها   فليس يودى شكرها الذئب والنسر

من قول مسلم   لوحا كمتك فطالبتك بذحلها   شهدت عليك ثعالب ونسور

وذكر وقوع الذئاب وغيرها والنسور وما سواها من الطير على القتلى معنى متداول ومعروف وهو فى بيت أبى تمام غيره فى بيت مسلم لان مسلما قال لممدوحه ان حاكمتك يريد الفرقة والعصب التى لقيتك فى مطالبتك من قتلت منها لشهدت الثعالب والنسور وأبو تمام قال على سبيل الاستهزاء لئن ذمت الاعداء سوء صباحها فليس يودى الذئب والنسر شكرها لكثرة ما أكلا منها وهذا المعنى غير ذاك والله أعلم

تم الجزء الاول من الموازنة على ما جزاه مؤلفه والحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى عفا الله عنه قد ذكرت فى الجزء الاول احتجاج كل فرقة من اصحاب أبى تمام حبيب بن أوس الطائى وأبى عبادة الوليد بن عبد الله البحترى على الاخرى فى تفضيل احدهما على الآخر وقلت انى ابتدى بعد هذا الباب بذكر معايبهما الاختم الكتاب بوصف محاسنهما فاتبعت ذلك بما اخرجته من سرقات أبى تمام وبيضت آخر الجزء لالحق به ما وجدته منها فى دواوين الشعراء فعملت عليه وما اجده بعد ذلك فانه كثير السرقة وقد سمعت أبا على محمد بن العلا السجستانى يقول انه ليس له معنى انفرد به فاخترعه الاثلاثة معان وهى قوله

تابى على التصريد الانائلا   الا يكن ماء قراحا يمزق

نزرا كما استكرهت عاير نفحة   من فارة المسك التى لم تفتق

وقوله

بنى مالك قد نبهت خامل الثرى ... قبور لكم مستشرفات المعالم

روافد قيس الكف من متناول ... وفيها على لا ترتقى بالسلالم

وقوله

واذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

ولست أرى الأمر على ماذكره أبو على بل أرى أن له على كثرة ما أخذه من أشعار الناس ومعانيهم مخترعات كثيرة وبدائع مشهورة وأنا أذكرها عند ذكر محاسنه ان شاء الله تعالى ومع هذا فلم أرى المنحرفين عن هذا الرجل يجعلون السرقات من كبير عيوبه لأنه باب ما يعرف منه أحد من الشعراء الا القليل بل الذى وجدتهم ينعونه عليه كثرة غلطه واحالته وأغاليطه فى المعانى والألفاظ وتأملت الأسباب التى أدته الى ذلك فاذا هى ما رواه أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتاب الورقه عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن احمد ان أبا تمام يريد البديع فيخرج الى المحال وهذا نحو ما قاله ابو العباس عبد الله بن المعتز بالله فى كتابه الذى ذكر فيه البديع وكذلك ما رواه محمد بن داود عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن أبيه أن أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد وأن أبا تمام تبعه فسلك فى البديع مذهبه فتحير فيه كانهم يريدون اسرافه فى طلب الطباق والتجنيس والاستعارات واسرافه فى التماس هذه الأبواب وتوشيح شعره بها حتى صار كثير مما أتى من المعانى لا يعرف ولا يعلم غرضه فيها الا مع الكد والفكر وطول التأمل ومنه ما لا يعرف معناه الا بالظن والحدس ولو كان أخذ عفو هذه الأشياء ولم يوغل فيها ولم يجاذب الألفاظ والمعانى مجاذبة ويقتسرها مكارهة وتناول ما يسمح به خاطره وهو بجمامه غير متعب ولا مكدود وأورد من الاستعارات ما قرب فى حسن ولم يفحش واقتصر من القول على ما كان محذواً حذو الشعراء المحسنين ليسلم من هذه الأشياء التى تهجن الشعر وتذهب ماءه ورونقه ولعل ذلك أن يكون ثلث شعره أو أكثر منه لظننته كان يتقدم عند أهل العلم بالشعر اكثر الشعراء المتأخرين وكان قليله حينئذ يقوم مقام كثير غيره لما فيه من لطيف المعانى ومستغرب الالفاظ لكن شره الى ايراد كل ما جاش به خاطره ولجاجة فكره فخلط الجيد

بالردى والعين النادر بالرذل الساقط والصواب بالخطأ وافرط المتعصبون له فى تفضيله وقدموه على من هو فوقه من أجل جيده وسامحوه فى رديئه وتجاوزوا له عن خطائه وتأولوا له التأول البعيد فيه وقابل المنحرفون عنه افراطا فبخسوه حقه وأطرحوا إحسانه ونعوا سيئاته وقدموا عليه من هو دونه وتجاوز ذلك بعضهم الى القدح فى الجيد من شعره وطعن فيما لا يطعن واحتج بما لا تقوم حجة به ولم يقنع بذلك مذاكرة ولا قوة حتى ألف فى ذلك كتابا وهو أبو العباس احمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار القطربلى المعروف بالفريد ثم ماعلمه وضع يده من غلطه وخطئه إلا على أبيات يسيرة ولم يقم على ذلك الحجة ولم يهتد لشرح العلة ولم يتجاوز فيما نعاه بعدها عليه الأبيات التى تضمن بعد الاستعارة وهجين اللفظ وقد بينت خطأه فيما انكر من الصواب فى جزء مفرد ان أحب القارىء أن يجعله من جملة هذا الكتاب ويصله باجزائه فعل ذلك إن شاء الله تعالى فالذى تضمن (أى الجزء) يدخل فى محاسن أبى تمام التى ذكرت أنى اختم كتابى هذا بها وبمحاسن البحترى وأنا الآن أذكر ماغلط فيه أبو تمام من المعانى والألفاظ مما أخذته من أفواه الرجال وأهل العلم بالشعر عند المفاوضة والمذاكرة وما استخرجته أنا من ذلك واستنبطته بعد أن اسقطت منه كل ما احتمل التأويل ودخل تحت المجاز ولاحت له ادنى علة وأنا ابتدىء بالأبيات التى ذكرت أن أبا العباس أنكرها ولم يقم الحجة على تبيين عيبها واظهار الخطأ فيها ثم استقصى الاحتجاج فى جميع ذلك لعلمى بكثرة من لا يجوزه على الشاعر ويوقع له التأويل البعيد ويورد الشبه والتمويه وبالله استعين وهو حسبي ونعم الوكيل

انكر أبو العباس احمد بن عبيد الله على أبى تمام قوله

هادية جذع من الاراك وما   تحت الصلا منه صخرة جلس

قال هذا من بعيد خطائه ان شبه عنق الفرس بالجذع ثم قال جذع من الأراك ومتى رأى عيدان الأراك تكون جذوعا وتشبه بها أعناق الخيل وأخطأ أبو العباس فى انكاره على أبى تمام ان شبه عنق الفرس بالجذع وذلك عادة العرب وهو فى أشعارها اكثر من أن يحصى وقد بينت ذلك فيما غلط فيه أبو العباس على أبى تمام وأصاب أبو العباس فى انكاره أن تكون عيدان الآراك جذوعا وأن لم يلخص المعنى لان عيدان الآراك لا تغلظ حتى تصير كالجذوع ولا تقاربها فان قيل أن الشجرة من الآراك قد تعظم حتى تصير دوحة يستظل بها الجماعة من الناس والسرب من الوحوش وذلك معروف موجود وقد قال الراعى

غذاه وحولى الثرى فوق متنه مدت الآتى والاراك الدوائح

والدوائح العظام منه جمع دوحة قيل أن الامر وان كان كذلك فى بعض شجر الاراك من علوها وتشعب أغصانها فان قوائم الشجرة وعيدانها لا تغلظ ولا تمتلى امتلاء يقارب الجذوع ولا ماهو دونها فى الغلظ ولو انتهت الى هذه الحالة وذلك غير معلوم لما قيل لها أيضا جذوع لان الجذع انما هو للنخلة فقط وقد يقال على سبيل الاستعارة لما يشبه بالنخلة قال الراجز

بكل طرف اعرجى صهال يمشى اذ ماقيد مشى المختال

تحت هواد كجذوع إلا وقال

فقال كجذوع إلا وقال جمع وقلة وهى شجرة المقل لان فيها شبها من النخل من جهة الخوص والليف فان قيل فقد قال ذو الرمة

وهاج كجذع الساج سام يقوده معرف احناء الصبيين أشدق

قيل ذو الرمة انما قال ذلك على التشبيه لان العود من الساج يشبه الجذع المنحوت فى غلظه وهيئته وعود الاراك من أبعد شىء من ذلك لانه لا يمتد ولا يستوى استواء الجذع ولا غيره من أجناس الشجر التى تمتد ابدانها علوا امتدادا مستويا وذلك لرقته وشدة التوائه وتشعبه واذكر أبو العباس قول أبى تمام

رقيق حواشى الحلم لو أن حلمه بكفيك ما ماريت فى أنه برد

وقال هذا الذى أضحك الناس منذ سمعوه الى هذا الوقت ولم يزد على هذا شيئا والخطأ فى هذا ظاهر لانى ماعلمت احدا من شعراء الجاهلية و الاسلام وصف الحلم بالرقة وانما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والثقل والرزانة ونحو ذلك كما قال النابغة

وأعظم احلاما واكبر سيدا وأفضل مشفوعا اليه وشافعا

وكما قال الاخطل

شمس العداوة حتى يستقاد لهم واعظم الناس احلاما اذا قدروا

وكما قال أبو ذويب

وصبر على حدث النائبات وحلم رزين وقلب زكى

وكما عدى الرقاع فى مثل ذلك

فى شدة العقد والحلم الرزين وفى القول الثبيت اذا استنصت الكلام وقال أيضا

ابت لكم مواطن طيبات　　　واحلام لكم تزن الجبالا

وكما قال عدى أيضا

الجامع الحلم الاصيل وسؤددا　　　غمرا يقاس به وحكمة حازم

وكما قال يضا

قرم له مع دينه وعمامه　　　حلم اذا وزن الحلوم ثقيل

وقال الفرزدق

احلامنا تزن الجبال رزانة　　　وتخالنا جنا اذا مانجهل

وقال ايضا

انا لتوزن بالجبال حلومنا　　　ويزيد جاهلنا على الجهال

وكما قال الآخر

وعظيم الحلم لو وازنته　　　بثبير او برضوى لرجح

ومثل هذا كثير فى أشعارهم الا ترى انهم إذا ذموا الحلم كيف يصفونه بالخفة فيقولون خفيف الحلم وقد خف حلمه وقال عياض بن كثير الضبى

قبائله سود خفاف حلومهم　　　ذوو انيرب فى الحى يغدو ويطرق

وقال علقمة بن هبيرة الاسدى

كأن جرادة صفرا طارت　　　بأحلام الغواضر أجمعينا

جعلها صفرا لأنها ذكر وهى أسرع من الانثى وأخف وقال ابن قيس الرقيات ووجدتهما فى ديوانه والصحيح انهما لابى العباس الاعمى

بحلوم اذا الحلوم استخفت　　　ووجوه مثل الدنانير ملس

وقال قيس بن عمر الكنانى

كمثل الحصى بكر ولكن خيانة　　　وغدر واحلام جفاف عوازب

فهذه طريقة وصفهم الحلم انما مدحوه بالثقل والرزانة وذموه بالطيش والخفة وأيضا فان البرد لا يوصف بالرقة وانما يوصف بالمتانة والصفاقة وأكثر ما يكون الوانا مختلفة كما قال يزيد بن الطثرية

اشاقتك اطلال الديار كأنما　　معارفها بالابرقين برود

والابرق والبرقاء من الارض ما كان فيها حجارة ورمل فقيل برقا لاختلاف الالوان فيها ومن ذلك الحبل الابرق الذي فتل من قوى مختلفة الالوان فلذلك شبه الشاعر معارف الديار بالبرود لاختلاف ألوان البرود ولولا أنه قال رقيق حواشى الحلم ما ظننت أنه شبهه بالبرد إلا لمتانته وهذا عندى من أفحش الخطأ ثم قوله يكفيك كلام فى غاية السخافة وأظن أبا العباس بن عمار إنما أنكر هذه اللفظة فقط وانى لأعجب من اتباع البحترى إياه فى البرد مع شدة تجنبه الاشياء المنكر عليه حيث يقول

وليال كسين من رقة الصيف فخيلن أنهن برود

وكيف لم يجد شيأ يجعله مثلا فى الرقة غير البرد ولكن الجيد فى وصف الحلم قوله متبعا للمذهب الصحيح المعروف حفت إلى السؤدد المجفو نهضته ولو يوازن رضوى حلمه رجحا قوله

فلو وزنت اركان رضوى ويذبل　　وقيس بها فى الحلم خف ثقيلها

وأبو تمام لا يجهل هذا من أمر الحلم ويعلم أن الشعراء اليه تقصد وإياه تعتمد ولعله قد أورد مثله ولكنه يريد أن يتبدع فيقع فى الخطأ وأنكر أبو العباس على أبي تمام قوله من الهيف لو أن الخلاخل صورت ٠ لها وشحا جالت عليها الخلاخل ولم يذكر موضع العيب فيه ولا أراه علمه وهذا الذى وصفه أبو تمام ضد ما نطقت به العرب وهو أقبح ما وصف به النساء لأن من شأنه الخلاخيل والبرين أن توصف بأنها تعض فى الاعضاء والسواعد وتضيق فى الأسواق فاذا جعل خلاخيلها وشحا تجول عليها فقد أخطأ الوصف لأنه لا يجوز أن يكون الخلخال الذى من شأنه أن يعض بالساق وشاحاً جائلا على جسدها لان الوشاح هو ما تقلده المرأة متشحة به فتطرحه على عاتقها فيستبطن الصدر والبطن وينصب جانبه الآخر على الظهر حتى ينتهى إلى العجب وتلتقى طرفاه على الكشح الأيسر فيكون منها فى موضع حائل السيف من الرجل واذا كانت هذا صورة الوشاح فغير جائز أن يوصف بالسعة والطول ليدل على تمام المرأة وطولها ويكون ذلك لائقا بتشبيه النساء فى البيت الثانى بقنا الخط وإنما يوصف الوشاح بالقلق والحركة ليستدل بذلك على دقة الخصر لأنه يقلق هنا اذا كان الخصر دقيقا والبطن ضامراً بل حركته تدل على ضمر البطن اكثر وليس قوله فى نفسه مما يدل على امتلاء ولا خمص واذا كان الخلخال

وهو الحلقة المستديرة المعروف قدرها وشاحالمرأة فانه يأخذ أعلى جسدها كله واذا كانت كذلك فقد مسخت الى غاية القباحة والصغر وصارت فى هيئة الجمل وقد تصف العرب الخصر بالدقة ولكن تعطى كل جزء من الجسد قسطه من الوصف كما قال امرؤ القيس

طوال المتون والعرانين والقنا لطاف الخصور فى تمام واكمال

ألا تراه لما قال لطاف الخصور قال فى تمام واكمال ولو قال هذا الشاعر او أن الخلاخيل صيرت لها حقبا لصح له المعنى كما قال منه ور النمرى

فلو قست يوماً حجلها بحقابها لكانا سواء لابل الحجل أوسع

فجعل حجلها وهو الخلخال أوسع من حقابها والحقاب ماتديره المرأة على خصرها فهو يختص بالخصر وكذلك النطاق والوشاح لايختص بالخصر وإنما يعاق حتى ينتهى اليه اذا كان الخصر دقيقاً والبطن ضامراً فاتبع أبو تمام منصوراً فى المعنى فأخطأ ومن عادة العرب أنها لاتكادتذكر الهيف وطى الكشح ودقة الخصر الا اذا ذكرت معه من الأعضاء ما يستحب فيه الامتلاء والرى والغلظ على ماعرفتك كما قال ذو الرمة

عجزاء ممكورة خمصانة قلق منها الوشاح وتم الجسم والقصب

وكما قال أيضا

اناة تلوث المرط منها بد عصة ركام وتجتاب الوشاح فيقلق

وكما قال

ترى خلفها نصفا قناة قويمة ونصفا نقا يرتج أو يتمرمر

وكما قال الشنفرى

فدقت وجلت واسبكرت واكملت فلو جن انسان من الحسن جنت

أى دق منها ما ينبغى أن يدق وجل منها ما ينبغى أن يجل فهذا هو تمام الوصف وقال تميم بن أبى بن مقبل

هيف المردى رداح فى تاودها مخطوفة منتهى الأحشاء عطبول

فقال هيف المردى ثم قال رداح والرادح العظيمة العجز وهذا كقول ذى الرمة خلفها نصفا قناة قويمة وقوله عطبول قويمة العنق وقال أيضا تميم

من الهيف ميدان ترى نطقاتها بمهلكة اخـــراصهن تذبذب

فجعلها هيفا وهى الخميصة البطن ثم قال ميدان فصار البدن لا يمنع من الهيف ولا يضاده

وقال تميم أيضا

ومن دق منها الخصر حتى وشاحها يجول وقد عم الخلاخيـــل والقلبا

وقال على بن أبى علقمة الجرى

ترى حجلها ملآن ليس بزائد يجول ولم يملك وشاحا ولا عقدا

قال ذلك من شأن الوشاح لان من سبيله أن يكون جائلا اذا انتهى الى خصرها لدقته ومن شأن العقد أن يجول أيضا على عنقها وترائبها لقلة اللحم هناك وذلك المحمود من الوصف . وقال امرؤ القيس على هضيم الكشح ريا المخلخل

وقال طرفه بن العبد

وملأى السوار مع الدملجين وأما الوشاح عليها فجـــالا

وقال علقمة بن عبدة

صفر الوشاحين ملأى القرط خرعبة كانهـــا رشـــا فى البيـــت مــلزوم

وقال المرار

بيض العـــوارض بدن أبدانها رجح الروادف ضمر الأخصار

وقال كثير أيضاً

كسون الريط ذا الهدب اليمانى خصـــوراً فـــوق أعجاز ثقال

وقال كثير أيضاً

يجـــول الوشاح بأقرابهـــا وتأبى خلاخلها أن تجولا

وقال آخر

عقبلية اما مــلاث أزارها فدعص وأما خصرها فبتيل

يريد كانه لدقته مقطوع مما يليه وهذا كله ضد ما قاله أبو تمام فان حمل بعض من يريد اقامة العذر له نفسه على أن يقول انما ذهب فى قوله جالت عليها الخلاخل الى قولهم فلان يدخل فى الخاتم لظرفه ولين أخلاقه لا لضيق مفاصله قبل هذا من كلام العامة وقول

أبي تمام من الهيف يمنع هذا التأويل ويحجز عنه لأن الهيف الخميصات البطون الواحدة هيفا والى هذا ذهب لا الى وصف الاخلاق والباع فان قال قائل انما قال لو أن الخلاخيل صيرت لها وشحا أي لو ساغ ذلك وجاز كما يقال لو دخل أحد في سم الخياط لرقته وحسن أخلاقه لدخل زيد وكما قال الشاعر لو كان ذو حافر من سرعة طارا وكما قال الآخر

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم　　قوم لسؤددهم أو مجدهم قعدوا

قيل هذا مذهب حسن معروف من مذاهبهم ولكن ليس بينه وبين قول أبي تمام شبه وانما كان يشبهه لو قال لو أن الخلاخيل تكون مكان الوشاح لجال عليها ولو قال قصر ظهرها أو بعض خلقها أو ضم بعض أعضائها الى بعض حتى يكون خلخالها وكان وشاحها لجال عليها ومثل هذا لا يقوله أحد الا الكشحي وأبو العير ولفظ بيته أقبح من هذا وأشنع لأنه انما أخرجه مخرج الحقيقة أو ما يقارب الحقيقة نحو قول القائل لو تغطت هند بشعرها لغطاها ولو سترت وجهها بذراعها لسترته ولو مستها لتاخت الاصبع فيها أولادمنها وهذا ضرب من المبالغة وهو أي الحقيقة أقرب وليس من الأبيات المذكورة في شيء ولا على سياقة ذلك اللفظ والاحالة فيما مخرجه مخرج الحقيقة أقبح من الاحالة فيما مخرجه مخرج التوسع وكان ينبغي لأبي تمام لما وصف النساء في البيت الثاني بالطول والتمام فقال • قنا الخط الا أن تلك ذوابل • أن يصف الوشح بالطول والتمام لأن الوشاح من المرأة في موضع حمائل السيف فكيف يجعلها مثل الخلاخل ويجعل الخلاخل مثلها وقد يبالغ الشاعر في أشياء حتى يخرج منها الى المحال ويخرج بعضها مخرج النادر فيستحسن ولا تستقبح نحو قول الشاعر

من رأى مثل حبتي　　تشبه البدر اذا بدا
يدخل اليوم خصرها　　ثم أردافها غـــدا

ومثل هذا كثير وقد قال النابغـــة في وصف عنق المرأة بالطـــول فقال • اذا ارتعشت خاف الجبان رعاثها • ومن يتعلق حيث علق يفرق • فجعل القرط يخلق ان يسقط من هناك فيهلك وانما اخرج هذا كالمثل أي لو كان مما يقع منه الخوف لخاف

وقال ذو الرمة

والقرط في حرة الذفرى معلقة　　تباعد الحبل منه فهو يضطرب

فدل بقوله تباعد الحبل منه على طول عنق المرأة فهذه المبالغة لائقة مستحسنة لانه دل على

بالشيء الذي يخص الموصوف لا بالشيء الذي يخص غيره ولو كان أبو تمام قال لو ن الخلاخيل صيرت لها نطقا لكان آتى بالصواب لان النطاق هو كل ما يدار على الخصر مثل المنطقة من سير كان أو ثوب أو غيرهما ولو قال حقيا لان الحقاب والنطاق وبمنزلة واحدة أظنه أراد أن يقول هذا فغلط فجعل مكانه الوشاح وقد بالغ أبو العتاهيـة فى وصف الخصور بالدقة فقال

وبمخصرات زرننا بعد الهدو من الخدور

نفج رواد فهن يلبسن الخواتم فى الخصور

لم يرد أن خواتمهن فى خصورهن لان هذا محال وإنما ذهب إلى مثل قولهم جفنة يقعد فيها خمسة أى لو قعدوا فيها لوسعتهم وقال الآخر

لها حافر مثل قعب الوليد يتخذ الفأر فيه مغارا

أى لو اتخذ فيه مغار الوسعه فـكذلك قوله يلبسن الخواتم فى الخصور أى تصلح خصورهن أن تدخل فى خواتمهن لدقتها وكل ما دنا من المعانى بالحقائق كان الوط بالنفس واحلى فى السمع فهذا ما أنكره أبو العباس مما أبو تمام فيه غالط وهو ثلاثة أبيات ومما خطأ فيه الطائى البيت الذى بعد قوله

من الهيف لو أن الخلاخل صيرت لها وشحا جالت عليها الخلاخل

وهو قوله

مها الوحش الا أن هاتا أوانس قنا الخط الا أن تلك ذوابل

وإنما قيل للقنا ذوابل للينها وتثنيها فنفى ذلك عن قدود النساء التى من أكمل صفاتها التثنى واللين وانعطاف كما قال تميم بن أبى بن مقبل

يهززن للمشى أوصالا منعمة هز الجنوب ضحى عيدان يبرينا

أو كاهتزاز رديني تداوله ابدى التجار فزادوا متنه لينا

فشبه تميم قدودهن بالردينى للينه وتثنيه لا غير وهذا أجود من كل ما قاله الناس فى مشى النسآ وحسن قدودهن وقوله مها الوحش الا أن هاتا أوانس أراد كمها الوحش فوضع المشبه به فى مكان المشبه وهذا فى كلامهم شائع مستفيض ومما أخطا فيه الطائى اقبح خطأ قوله

قسم الزمان ربوعها بين الصبا   وقبولها ودبورها اثلاثا

لان الصبا هي القبول وليس بين أهل اللغة وغيرهم في ذلك خلاف فان قيل انما سميت الصبا قبولا لانها تقابل الدبور فلعله استعار هذا الاسم للدبور فقال بين الصبا وقبولها يريد الدبور لانها تقابل الصبا ومقابلتها أى الريح المقابلة لها قيل هذا غلط من وجوه منها أنه قد ذكر الدبور في البيت مرة فلا يجوز أن يأتي بها مرة ثانية ومنها أى ما سمع من العرب زيد قبولك أى مقابلك ولا دار زيد قبول دار عمرو بمعنى مقابلتها انما خصت الصبا وحدها بهذا الاسم لانها تأتي من الموضع الذي يقبل منه النهار وهو مطلع الشمس وقيل لها دبور لانها ضدها أخذه من اقبل وادبر ولو جاز هذا في كلامهم وساغ في لغتهم وكان مثله مسموعا منهم لساغ أن تسمى الشمال أيضا قبولا لانها تقابل الجنوب وان تسمى الجنوب قبولا لانها تقابل الشمال وما أظن أحدا يدعي هذا ولا يستجيز ان يعارض بمثل هذه المعارضة ولا أن يحدث لغة غير معروفة وينسب إلى العرب ما لم تعلمه ولم تتعلق به ومنها وهي أولاها في فساد هذا التأويل انه قال بين الصبا وقبولها ودبورها اثلاثا يدلك انه أراد ثلاث رياح وانه توهم أن القبول ريح غير الصبا وهذا واضح والجيد قول البحتري

متروكة الريح بين شمالها   وجنوبها ودبورها وقبولها

فجاء بالرياح الأربع وقال البحتري

شنئت الصبا اذ قيل وجهن قصدها   وعاديت من بين الرياح قبولها

فقوله وجهن يعني الحمول والهاء في قبولها راجعة إلى الرياح وهذا مما يوهمك أنه أراد ريحين وانما أراد ريحا واحدة وسماها باسميها شنئت الصبا وعاديت القبول أى ابغضت هذين الاسمين لان حمول الظاعنين توجهت نحوها ولم يقل ان الحمول توجهن الى وجهين مختلفين وحكى ابن الاعرابي أو حكي عنه أنه قال القبول كل ريح طيبة المس لينة لا أذى فيها سميت قبولا لان النفس تقبلها وأظن الاخطل أن كانت الرواية الصحيحة لهذا قال

فان تبخل سدوس بدرهميها   فان الريح طيبة قبول

أى طيبة لا تمنعها الانصراف والسير وهذه ليست من الريح التي ذكرها أبو تمام في شيء لان هذه على هذه الوصف قد تكون الشمال وتكون الجنوب وتكون

الصبا وذلك انما أراد ريحا بعينها لانه قال بين الصبا وقبولها فجعلها مضافة اليها كما لو قال بين الشمال وجنوبها لانهما ريحان معروفتان وهما اختان مختلفتان تعتقبان وكذلك لو قال بين الصبا ودبورها وكذلك لو قال بين القبول ودبورها أو بين القبول وشمالها فاذا ذكرت القبول مع هذه الرياح المعروفة التى هى الصبا وليس هذا موضع القبول التى هى الريح اللينة المس الطيبة على ماذكر لانه وصف مجهول ويجوز أن يكون لكل ريح ولا يقع فى هذا الموضع لانك اذا عنيتها بقولك قد نفيت الصبا وقبولها لم يدر أى ريح هى فى معنى اضافتها الى الريح المعروفة التى هى اذا لان مسها جاز أن تسمى بذلك الاسم هذا خلف من القول اذا قيل وأيضا ان اباتمام انما أراد أن هذه الرياح عفت هذه الديار وذهبت بها فما وجه ذكره ريح طيبة لينة المس مع الديون هذا محال أن يكون اراده كيف والديار يدعى لها بهبوب الرياح اللينة الضعيفة ليلا تعفوها الا يرى قول أبى تمام

ارسى بناديك الندى وتنفست نفسا بعقوتك الرياح ضعيفا

وقال البحترى

واذا هبت الرياح نسيما فعلى ربع دارها والجناب

فشرط أن تكون الرياح مريضة ليلا تعفوها وتمحوها فان قيل فلعله أراد بين الصبا وقبولها أى بين الصبا وسهلها ولينها ولا يكون يريد بالقبول اسمها المعروف وانما يريد الاسم الذى يقع للريح اللينة المس فكأنه قال بين القبول وقبولها يقال جاءنا عباس وعباسه أى ووجه العباس وأتانا الضحاك وضاحكه أى ووجه الضحاك لان التعبيس والضحك فى الوجه وقد فتنتنا حوراء بحورائها أى بعينها الحوراء قيل هذا كله لفظ سائغ مستقيم غير انا ماسمعنا مثل هذا فى الريح ولا علمناه فى اللغة ولا وجدنا فى الشعراء أحدا قال الصبا وقبولها ولا الجنوب وقبولها ولا الشمال وقبولها أى سهلها ولينها ولو أراد الطائى ذلك كان أيضا مخطئا لان الريح لينها وشديدها ريح واحدة وقد دل أبو تمام ائتلاثا فدل على أنه أراد ثلاث رياح وان كان أراد ريحا أخرى غير الصبا فقد قدمت القول فى أن ذلك غير سائغ ولا مستقيم وقد استقصى أصحاب الأنواء فى كتبهم ذكر الرياح وأوصافها ونعوتها واستشهدوا باكثر ما سمعوه من أشعار العرب فيها وبالغ أبو حنيفة الدينورى فى ذلك فما منهم أحد ذكر أن القبول غير الصبا وانما قال ابن الاعرابى فى نوادره أن العرب تسمى كل ريح طيبة لينة المس قبولا قال الاخطل

فان نبخلى سدوس بدرهميها فان الريح طيبة قبول

فانما أراد الصبا لانها ريح محبوبة تنسب الى الطيب وهى دائمة الهبوب لينة المس معتدلة فى أكثر أوقاتها أى فان منعت سدوس نائلها فان الريح طيبة قبول أى هى صبا ما تمنعنا من الانصراف والرحيل فان كان ما ذكره ابن الاعرابى صحيحا وهو الصحيح ان شاء الله فانهم انما قالوه لكل ريح طيبة لينة قالوا هذه الصبا وهذه القبول أى كالصبا أو كالقبول فاسقطوا حرف التشبيه وجعلوا المشبه فى مكان المشبه به كما تقول شممت رائحة طيبة العرف هذه المسك واذا رأيت وجها جميلا قلت هذا هو البدر وإن شئت كان المعنى هذه المسك حقا وهذا هو البدر يقينا ولو هبت شمال شديدة مزعجة حتى تقول هذه هى الدبور بعينها لكان هذا من أسوغ كلام وأفصحه وان كانت العرب سمت الشمال والجنوب اذا هبتا هبوبا سهلا لينا قبولا فانما شبهوها بالصبا وأعاروها اسمها وانما قيل لها قبول لانها تأتى من مطلع الشمس وهو الموضع الذى يقبل منه النهار وقيل للدبور دبورا لانها تهب من حيث يدبر وقد قيل غير ذلك وهذا هو الصحيح وقد قيل عن النضر بن شميل أنه قال القبول ريح على الصبا ما بينها وبين الجنوب وهذا غير معروف ولا معول عليه الا أن يكون قاله على هذا الذى ذكرته والله أعلم وبيت أبى تمام لا يحتمل أن يتناول فيه هذه الريح لانه أراد محو الديار ولا تذكر فى محو الديار القبول الحقيقة الهبوب الطيبة المس مع الدبور التى لا تكاد تهب فان هبت لم تأت الى شديدة مزعجة فقال آخر ممن لا تمييز له أراد بين الصبا وقبولها أى الريح التى قبلتها كأنها قابلتها فقبلتها فهل قبولها يعنى ريحا من الرياح كما تقال فاخرته ففخرته وخاصمته فخصمته قيل هذا خطأ من وجوه منها أن الريح التى تقابل الصبا مقابلة صحيحة هى الدبور وقد ذكرت فى البيت فلا يجوز ان يرددها ومنها إنك لا تقول قابلت زيدا فقبلته مثل فاخرته ففخرته لانك إذا قابلته فقد صرت قبالته وصار قبالتك فليس احدكما فى هذا بافضل من الآخر وذلك مثل قوله واجهته وآزيته وساويته وحاذيته لانك فى هذه الاحوال مثله وهو مثلك فلا يجوز أن تقول فيه فعلته أى غلبته ومنها إنك إذا قلت زيد ضارب عمرو أو ضروب عمرو وقاتل بكر أو قتول بكر لم تدل على أنه كانت مضاربة بينهما أو مقاتلة لانه يجوز أن يكون الضرب وقع من أحدهما ولم يقع من الآخر ولذلك أصل فلذلك لا يدل قولك قبولها انه كانت هناك هناك مقابلة كما لا يدل قولك زيد ضارب عمرو على أنه كانت مضاربة بينهما حتى غلب زيد عمرا بالضرب وإذا لم يكن على الشىء دليل لم تقم به حجة وسن خطائه قوله

وصنيعة لك ثيب أهديتها　　وهى الكعاب لعائذبك مصرم

حلت محل البكر من معطى وقد　　زفت من المعطى زفاف الأيم

غلطه وقع فى البيتين جميعا وقالوا أراد بقوله وصنيعة لك أى للممدوح ثيب أى قد افترعت أهديتها وهى الكعاب لعائذبك أى لعائذبك مصرم أى قليل المال وجاء بالكعاب على أنها تقوم مقام البكر ليجعلها فى البيت ضد الثيب فتصح له القسمة أى هذه الصنيعة ثيب عندك أى قد اصطنعت مثلها مرارا وهى الكعاب يريد البكر عند هذا العائذبك لأنه أول ما اصطنعه اليه أو لأنها أكبر صنيعة صنعته عنده قالوا الكعاب التى كعب ثديها وقد تكون بكرا وتكون ثيبا فليست ضدا للبكر فى البيت ولا تصح بها قسمته لأن اسم الكعاب لا يزول عنها اذا افترعت حتى ينهد ثديها ويرتفع قالوا واعتمد أن يشرح هذا البيت الثانى فقال

حلت محل البكر من معطى وقد　　زفت من المعطى زفاف الأيم

وذلك معنى قوله وهى الكعاب لعائذ بك ثم زفت من المعطى زفاف الايم وهو يريد معنى قوله وصنيعة تلك ثيب على أن الايم هى الثيب وقالوا هذا خطأ لان الايم هى التى لا زوج لها بكرا كانت أو ثيبا قال الله عز وجل وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم افتراه قال أنكحوا الثيبات من النساء دون الابكار انما أراد تبارك اسمه أنكحوا النساء اللواتى لا أزواج لهن فالثيب والبكر والصغيرة والكبيرة ممن لا زوج لها تدخل فى الآية الشماخ

يقر بعيني ان أحدث أنها　　وان لم أنلها ايم لم تزوج

وهذا هو المعروف فى كلامهم وهذا الذى ذكروه من غلطه فى الايم هو كما ذكروه فاما ما ادعوه فى البيت الاول من الغلط فى الكعاب لمن أقامها مقام البكر فليس ذلك والمعنى صحيح وقد جاء مثله فى أشعار العرب قال قدامة بن ضرار الحنفى

غداة خطبنا البيض بالبيض عنوة　　وابن الينا ثيبات وكعبا

أراد بالكعب الابكار وقال جرير يهجو امرأة

وقد حملت ثمانية وتمت　　لتاسعة وتحسبها كعابا

فاقام الكعاب مقام البكر وجعلها ضد الثيب ومثله فى كلامهم موجود وانما فعلوا

ذلك وان كان الكاعب قد تكون بكرا وتكون ثيبا لان أول أحوال الكواعب أن يكن قد ناهزن حد البلوغ وبدأت ثديهن بالتكعيب فهن فى هـذه الحال اكثر ما يكن أبكارا وغير ذات أزواج قال عمرو بن معدى كرب

تركوا السوام لنا وكل خريدة   بيضاء خرعبة وأخرى ثيب

فأقام الخريدة مقام البكر وجعلها ضد الثيب فى البيت والخريدة هى الحيية حكى الحيانى قال سمعت اعرابيا من كلب يقول الخريدة الدرة التى لم تثقب وهى من النساء البكر والخرعبة اللينة المفاصل الطويلة وهذه قد تكون ثيبا الا أنه جعلها بكرا لان الحياء اكثر ما يكون أبكار فقد صح معنى بيت أبى تمام الاول فى الكعاب وبقى الغلط فاما فى الايم وجعلها فى البيت الثانى ضد الثيب فان قيل فلم لا يكون لابى تمام أقامه الايم فى البيت الثانى مقام الثيب اذ كانت الايم قد تكون ثيبا كما أقمت الكعاب فى البيت الثانى مقام البكر اذ كانت الكعاب قد تكون بكرا وتتجاوز له هذا كما تجاوزت فى تلك قيل لفظة كعاب تدل بصيغتها على صغر السن كما عرفتك فهى فى الاكثر تكون بكرا غير مفترعة فلذلك استحسنوا ان أقاموا الكعاب مقام البكر ولفظة أيم لا تدل على حد فى السن من صغر ولا كبر ولا بكورة ولا افتراع فلا يجوز اقامتها مقام الثيب بحال وقد غلط فى الايم بعض كبار الفقهاء فجعلها مكان الثيب وذلك لحديث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم على أنه لحقه السهو فى تأويله فحمله على غير معناه فلعل أبا تمام من هذا الوجه قد لحقه الغلط وقد ذكر أبو تمام معنى هذين البيتين فى موضع آخر وقد ذكر صنيعه أيضا

وليست بالعوان العنس عندى   ولا هى منك بالبكر الكعاب

والعوان هى التى بين المسنة والصغير السن وهى التى قد عرفت الامور وجرت عليها التجربة فلذلك قيل العوان لا تعلم الخمرة ومنه قيل حرب عوان وهى التى قوتل فيها مرة وانما هى مرة بعد مرة وانما استعير لها اسم المرة فى هذه الحال كما قال الشاعر الحرب أول ما تكون فتية . فاستعار لها أول ما تبدأ و تنشأ اسم الفتاة وأراد أبو تمام أن هذه الصنيعة ليست بالعوان عندى أى ليست صنيعة قد تقدمتها لك لدى صنائع تشبهها العظمها وجلالها ولا هى بالبكر التى ليست مع ذلك لكبر صنائعك بل أسديت كثيرا مثلها الى غيرى وهذا هو المعنى الذى قصده فى البيتين المتقدمين الا أنه جعل العنس هنا فى موضع

العانس فغلط فقال العنس والعانس هي التي حبسها أهلها عن التزويج حتى تجاوزت حد القناة والعنس اسم من أسماء الناقة وهي التي قد انتهت في شدتها وقوتها فأين وصف الناقة من وصف المرأة فان قيل أن أبا تمام لم يرد غير العنس ولم يرد العانس لانه لو أراد العانس لكان مخطئا من وجه غير الذي ذكرته وهو أن العوان فيما ذكر بعض أهل اللغة الثيب وقيل انها التي كان لها زوج وجرير قد أفصح انها ذات الزوج في قوله

وأعطوا كما أعطت عوان حليها أقرت لبعل بعد بعل تراسله

فكيف يكون العانس وصفا للعوان والعانس هي التي حبست عن التزويج قال عامر ابن جوين الطائي ووالله ما أحببت حبك عانسا ، ولا ثيبا لو أن ذاك أتاني فجعلها ضد الثيب والعنس أولى بان تكون وصفا للعوان من العانس ويكونان جميعا من أوصاف الناقة وهي دون المسنة وفوق الفتية فهي حينئذ الكاملة والعنس الناقة التي قد انتهت في قوتها فهما صفتان متفقتان استعارهما الشاعر للصنيعة من أوصاف النوق كما استعار البكر الكعاب من أوصاف النساء قيل هذا غلط من الاحتجاج وتعسف من التاول وانما يستدل ببعض الالفاظ على بعض كما يستدل على المعنى بما يقترن ويتصل به فيكون في ذلك بيان وايضاح أما العوان والبكر وان كان قد وصف بهما غير المرأة من البهائم وغير البهائم فان البكر في البيت لا تكون مستعارة الا من أوصاف النساء من أجل ما اقترن بها من لفظ الكعاب التي هي مخصوصة بوصف الجارية التي كعب ثديها فلا تكون العوان في صدر البيت من أوصاف النوق والبكر في آخره من أوصاف النساء فعلمنا أنه لم يرد بالعنس الا العانس فغلط كانه أراد هذه الصنيعة ليست في حال ما هي عندي بالعوان العانس ولا في حال ماهي عندك بالبكر الكعاب لان المرأة تكون كاعبا وبكرا في حال وعوانا عانسا في حال أخرى فتنتقل في هذه الاوصاف والعنس لا موضع لها ههنا وأما قوله أنه لو أراد العانس كان مخطئا لان العانس هي التي حبست عن التزويج حتى جازت حد القناة فلا يكون وصفا للعوان لان العوان عند أهل اللغة الثيب فيقال انما أنه كان يسوغ لك هذا التأويل لو زال اسم العنوس عن المرأة اذا تزوجت فأما وهو باق عليها بعد التزويج للتي صارت به ثيبا فلم لا يكون وصفا للعوان التي هي أيضا ثيب عندك الاترى الى قول كثير

فان طلابي عانسا أم ولدة لمما تمنيني النفوس الكواذب

فقال عانسا وجعلها أم ولدة فان قال فلعل أبا تمام لم يرد هذا وانما أراد بالعنس مصدر

عنست المرأة تعنس عنسا وعنوسا فجعل المصدر وهو عنس وصفا للعوان مكان العانس والمصادر قد تجعل أوصافا فى مكان أسماء الفاعلين قيل له المصدر المعروف فى مصدر عنست المرأة هى العنوس ولم يسمع لعنس زعم أن الاصمعى قد انكر عنست مخففا وقال انما هو عنست تعنس تعنيسا حكى لك عنه يعقوب بن السكيت وهب قد جاء العنس مصدر عنست فيس فى كل موضع يسوغ أن تكون المصادر أوصافا وانما تكون أوصافا على وجه من الوجود وطريقة من اللفظ وهى قولهم انما زيد دهره أكل ونوم وانما عمرو ابدا قيام وقعود فتقيم المضاف اليه مقام المضاف لان يدل عليه أو تجعل زيدا نفسه الاكل والنوم وعمرا القيام والقعود على المبالغة لانه ذلك كثير منهما كما قالت الخنساء

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هى اقبال وادبار

فجعلت الناقه هى الادبار والاقبال لان ذلك كثر منها وان شئت كان المعنى ذات اقبال وادبار فاقمت المضاف اليه مقام المضاف فهذه طريقة الوصف بالمصادر واذا تاولت بالعنس المصدر فى قول وابيت بالعوان العنس كان ذلك كقولك لبست هند بالصبية الصغر تريد الصغيرة ولا دعد بالهرمة الكبر تريد الكبيرة فهذا لا يسوغ فى منطق ولا يعد فى لغة ولكن قد تستعمل هذه المصادر وصفا على نحو ما ذكرته فيقال هند الحسن كله ودعد الجمال أجمعه وزيد الهرم أقصاه وعبد الله البغض نفسه والتيه عينه وان شئت كان المعنى هند صاحبة الحسن كله ودعد ذات الجمال اجمعه وزيد آخو الهرم وعبد الله ذو التيه فاقمت المضاف اليه مقام المضاف كما قال الله عز وجل واسئل القرية التى كنا فيها يريد اهل القرية وان شئت جعلت هندا هى الحسن ودعدا هى الجمال على المبالغة لما كانتا متناهيتين فى هذين الوصف ولو كان أبو تمام اقتصر على ذكر العوان والبكر وهما اللفظتان اللتان استعارتهما الشعراء فى هذا المعنى ولم يخاطب بها العنس والكعاب والثيب والايم لكان قد سلك الطريق المستقيم فاتى باللفظ المألوف المستعمل وتخلص من فاحش الخطأ وانما أراد معنى قول الفرزدق

وعند زياد لو تريد عطاءه رجال كثير قد ترا بهم فقرا

قعود لدى الابواب طالب حاجة عوان من الحاجات أو حاجة بكرا

أى منهم طالب حاجة عوان أى حاجة قد عرفها وصارت عادة له وربما يتطلبه فى كل حين ومنهم طالب حاجة بكر أى أول ما يلتمسه منه ويترجاه عنده فاحب أبو تمام أن يزيد على هذا

المعنى ويغرب فاخرجه ذلك الى الخطأ وقد أحسن محمد بن حازم الباهلى فى قوله

أبا جعفر يا ابن الجحاجحة الغر بدت حاجة والحر يأوى الى الحر

وقد لبستنى منك بالامس نعمة فهل لك فى أخرى عوان الى بكر

على أنه ان أمكنت أو تعذرت فانك بين الشكر منى والعذر

فهذه طريقة الشعراء فى العوان والبكر ومن خطائه قوله

الود للقربى ولكن عرفه للابعد الاوطان دون الاقرب

لانه نقص الممدوح مرتبة من الفضل وجعل وده لذوى قرابته ومنعهم عرفه وجعله فى الابعدين دونهم ولا أعرف له فى هذا عذرا يتوجه وقد عارضنى فى هذا البيت غير واحد ممن ينتحل بصره أبى تمام فقال بعضهم ان العرف ما يتبرع به الانسان فلذلك جعله فى الاباعد فاما فى الاقارب فان برهم وصلتهم من الحقوق الواجبة اللازمة قلت ان كنت تريد الحقوق التى يلزم فان ذلك انما هو للاباء والاجداد والامهات والاولاد والاعمام والاخوال والاخوة والاخوات اذا كانوا فقراء محتاجين فيجب أنهم من الانفاق عليهم بقدر القوت والكفاية وهذا لا يخرج أن يسمى معروفا والاثر انهم يقولون انل أباك من معروفك أو انل أمك من معروفك فلا يكون هذا قبيحا بل حقا وقال الله عز وجل فيما فرض على النساء وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف فقد صار الغرض هنا معروفا لان المعروف هو الحسن الجميل من القول والعقل الذى قد عرفت المصلحة فيه فصار معهودا اذا أورد لم تنفر النفوس منه فتنكره وهذا لا يكون الانسان محمودا به إذ أعطاه هذه الطبقة من أجله حتى يمدح به ويفخر له به بل يكون مذموما إذا اقتصر عليه ولم يتجاوزه من الاقارب ممن ليس له حق من طريق الحكم وهم بنو الاعمام الذين هم الاعضاد والعدة وبهم تكون النصرة وكذلك بنو الاخوات وبنو الاخوال لم يجعل المعروف الذى هو يتبرع به فى الاباعد دونهم ويخرجون منه وإن أردت الحقوق التى يلزمها الانسان نفسه تكرما وتفضلا فذلك حقيقة العرف الذى يتبرع المرء به ويحمد عليه ويمدح بفعله اياه واعطائه له ويذم اذا منعه والاقارب على الاختلاف فى طبقاتهم وأنسابهم أولى به من الاباعد فمن جعله فى الاباعد دونهم فذلك منه غاية اللؤم ونهاية العقوق وعين الحمق وان وصفه واصف فقد بالغ فى ذمه وتناهى فى هجائه فقال قوله الود للقربى قد جمع لهم الود والعرف وغيره لان المودة تشتمل على ذلك كله والعرف الذى اخص به الابعدين لا يجمع الوداد اذ ليس كل من أسديت

اليه معروفا وقد وددته فقد أعطى ذوى القربى أكثر مما أعطى الابعدين فقلت له وليس كل من وددته يضا فقد اسديت اليه نائلا ولا معروفا ولا يتضمن لفظ الود غير المحبة فقط وعلى أن قوله دون الاقرب توكيد يوجب اخراج الاقارب عن العرف وتخليصه للابعدين فما معنى هذا التأويل الذى تاولته فاقام على أن الود يجمع العرف والصلة وهذا غير معروف ولا موجود فى كلام الناس وقال المقنع الكندى

فان الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمى لمختلف جدا

اذا جمعوا اصرمي معا وقطيعتى جمعت لهم منى مع الصلة الودا

فافصح هذا بأنه يجمع لهم بين الصلة والود وقال البحترى

مودة وعطاء منك نلتهما ورب معطى نوال غير مودود

يقال مودة وعطاء منك نلتهما فلو كانت المودة لا تكون الا ومعها عطاء لم يكن لهذا القول معنى وكذلك البيت قبله وقال رب معطى غير مودود ورب مودود غير معطى نوال ألا ترى الى قول الاعشى

بانت وقد أسأرت فى النفس حاجتها بعد ائتلاف وخير الود ما نفعا

فاراد أن الود قد يكون ولا نفع معه وقال أبو تمام

فرانى اللهى والود حتى كأنما افاد الغنى من نائل وفوائدى

وعارض آخر بمثل هذه المعارضة سواء فأجبته بمثل هذا الجواب وقلت له ان كان الامر على ما تزعم وتركناك على شهوتك فى أن الود يجمع المحبة والصلة فقد ناقض اذا هذا الشاعر نفسه فى البيت فانه ان كان أراد بقوله الود للقربى المحبة والمعروف جميعا فقد قال فى عجز البيت ولكن عرفه فى الابعد دون الاقرب فاخرج الاقرب بقوله دون فلو كنت تركته على ما يقتضيه ظاهر لفظه من حرمان الاقرب قال ذلك أقل قبحا من المناقضة فقال انما أراد بقوله ولكن عرفه فى الابعد الاوطان دون الاقرب أفراد العرف للابعد والا فجمعه له مع الود كما جمعهما للاقرب فقلت قوله دون يفسد عليك هذا التأول وما أراك الا قد أوضحت فيه الاحالة والمناقضة وبينتهما لانك فى هذا كقائل قال الود والمال جميعا لزيد والمال لعمرو ومفردا دون زيد فكيف يجمع المال لزيد أولا ويفرد عمراً به دون زيد آخرا وهذا أقبح ما يكون من المناقضة وانما كان يصلح هذا الكلام بان لو قال الود والمال لزيد والمال لعمرو ودون الود فيكون قد أخرج

عمراً من الود فيكون قد أخرج عمراً من الود اخراجا وكذا يقوله دون الود فاما الكلام الاول فمتناقض كما عرفتك وكذلك بيت أبي تمام كان يتأول على هذا أن لو قال دون الود لا دون الاقرب وما ظننت أن أحدا يدعى مثل هذه الدعوى ولا أن حاجة تدعو الى مثل هذا الاحتجاج ويجب أن يقال لهذا المعارض هل يجب عندك أن تكون مودة لا معروف معها اذ ليس كل من وددته فقد أنلته معروفا فاذا قال لا كابر وسقط كلامه وان قال نعم قيل قد أخرجت لفظة الود عن أن تدل بمجراها على المعروف الا بشيء يقترن بها وقال آخر انما أخرج أقاربي من المعروف لانهم في غنى وسعة لغناه وسعة حاله فلذلك أفردهم بالود قلت له فان كانوا أغنياء بغناه فقد أوسعهم من معروفه فما كان ينبغي للشاعر أن يشرط للاباعد دونهم وقلت له وكيف يعلم أنهم أغنياء وليس فى داخل البيت دليل عليه قال كذا نوى وأراد قلت ليس العمل على نية المتكلم وانما العمل على توجيه معانى الفاظه ولو حملت قول كل قائل وفعل كل فاعل على نيته لما نسب أحد الى خطأ فى قول ولا فعل ولكان من سدد سهما وهو يريد غرضا فأصاب به عين رجل فذهبت غير مخطىء لانه ما اعتمد الا الغرض ولا نوى غير القرطاس وقال آخر أراد بقوله ولكن عرفه فى الابعد الاوطان دون الاقرب أى بعد الاقرب تقول جاءنى الامير فمن دونه أى فمن بعده قلت فانما معنى فمن دونه أى فمن هو أدون منه فى الرتبة بعده كان مجيئه أو قبله وقال آخر انما أراد أبو تمام بقوله دون الاقرب أى فضلا من الاقرب أى فكيف الاقرب وان كان هذا مذهبا للناس أن يضعوا دون فى هذا الموضع فيقولوا أنا أرضى بالقليل دون الكثير أى فضلا عن الكثير وأنا أقنع بقرص من شعير دون ما سواه أى فضلا عما سواه وهذا مذهب صحيح معروف قلت له هذا توهم منك فاسد وتأول لهذا الكلام على غير وجه المقصود لان معنى دون عند أهل اللغة التقصير عن الغاية فمعنى قوله أنا أرضى بالقليل دون الكثير أى أرضى بالقليل ولا أنتهى الى الكثير أى لا أطمع اليه وأرضى بقرص من شعير ولا انتهى الى ما سواه فهذه حقيقة معنى اللفظ واما ما تأولته فانما هو بمعنى بله التى تأتى فى الكلام وموضعها دع كقول كثير

بسطت لباغى العرف كفا بسيطة   تنال العدى بله الصديق فضولها

أى تنال العدى فدع الصديق أى لا تصل الى العدى الا بعد أن اتصل الى الصديق ودون لا تتضمن هذا المعنى ولا تؤديه قال فقد تأتى دون بمعنى فوق كما تأتى فوق بمعنى دون فى قول الله عز وجل إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ذكر ان معناه فما

دونها لانها فوق قد تكون دون عند ماهو فوقها ودون قد تكون فوق عند ما هو تحتها فيجوز أن يكون أراد الشاعر بقوله دون الاقرب أى فوق الاقرب بمعنى زيادة على ما أعطاه الاقرب أو تكون دون ههنا بمعنى الامام لان بعض أهل اللغة جعلها من الاضداد وانها تأتى بمعنى خلف وبمعنى امام مثل وراء فيكون معنى قوله دون الاقرب أى أمام عرفه فى لاقرب أى قبله قلت له اما ماقيل فى قوله عز وجل فما فوقها معناه فما دونها فان أهل العربية على خلاف ذلك وليس لهذه اللغة عندهم الا وجهان أحدهما أن يكون فما فوقها فما هو أكبر منها لان البعوضة غاية فى الصغر فيكون المعنى انه عز وجل لا يستحى ان يضرب مثلا ما بين الشيء الذى هو نهاية الصغر الى ماهو فوقه أى ماز اد عليه وتجاوز والوجه الآخر فما فوقها فى الصغر وهذا قول أبى العباس محمد بن يزيد المبرد وأبى اسحاق الزجاج والكسائى من قبلهما وأبى عبيدة وما أظن غير هؤلاء يقول الا مثل ذلك واما ما ذكرت من أن دون تأتى بمعنى خلف وامام فانها عند أهل العربية من الاضداد نحو وراء فقد أخبرتك ان معناها عند أهل العربية التقصير عن الغاية واذا كان الشيء وراء الشيء أو أمامه أو يمنة أو شأمة صلح فى ذلك كله أن تقول هو دونه الا ترى انك اذا قلت بيوت بنى فلان دون الحرة صلح أن تكون دونها الى مهب الشمال أو الى مهب الجنوب أو الى غيرها من الجهات فلا يعلم المخاطب أى الجهات التى تعنى فليس هذا من الاضداد فى شيء وانما جعلها قوم من الاضداد لما رواها تستعمل فى هذه الوجوه لما فيها من الابهام وكذلك وراء انما هى من المواراة والاستتار فما استترعنك فهو وراءه خلفك كان أو قدامك هذا اذا لم تره ولم تشاهده فاما اذا رأيته فلا يكون امامك ووراءك وانما قال لبيد

أليس ورائى من تراخت منيتى لزوم العصى تحنى عليها الاصابع

بمعنى أليس أمامى لانه قال ذلك قبل أن يرى ويشاهد نفسه وقد لزم الغلط وقد قال الله عز وجل وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا قالوا أنه كان امامهم واصلح ذلك لانهم لم يعاينوه ولم يشاهدوه فقد وضح لك الان معنى دونها لا تخرج عن بابها التى وضعت له الا ترى انك تقول نزلت فى القرية دون النخل فيجوز أن تكون القرية أمام النخل وخلفه ويكون المعنى انك أفردت القرية بنزولك ولم تعرج على النخل وكذلك لقيت زيدا دون عمرو وأكلت السمك دون اللبن أخرجت عمرا من لقائك واللبن من أكلك وكذلك قول الطائى دون الاقرب قد أخرجهم من الغرف وهذا الاشيء أوضح منه وقد

حمل بعضهم نفسه على أن قال أراد الطائى لكن عرفه فى الا بعد الاوطان دون عرفه فى الاقرب وهذا من أفحش الخطأ لان قوله دون الاقرب مثل قولك ودى لزيد دون عمرو فليس معناه كمعنى قوله ودى لزيد دون لعمرو لانك فى الاول قد أخرجت عمرا من الود وأفردت زيدا به وفى الثانى جعلت الود لزيد دون الود لعمر أى أقل منه فهذا معنى وذاك معنى آخر وأيضا فلو اعتمد أبو تمام هذا المعنى لكان قد أخرج لكن التى تدخل للاستدراك من أن يكون استدرك بها شيئا فلا يكون لها فى البيت معنى ألبتة وقال آخر ممن يلتمس العذر لابى تمام انما هذا على طريق الايثار كما يؤثر الانسان على نفسه فكذلك يؤثر على أقاربه قيل له الايثار على النفس حسن جدا وصاحبه ممدوح كما قال الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكما قال أبو خراش

أرد شجاع الجوع قد تعلمينه ... وأوثر غيرى من عيالك بالطعم

وكما قال عروة بن الورد

أقسم جسمى فى جسوم كثيرة ... وأحسو قراح الماء والماء بارد

والايثار انما يكون ايثارا ويقع الحمد به اذا آثر الانسان غيره على نفسه أو على ولده وفى بعض الاحوال فاما اذا آثر بعض الطالبين على بعض بغير سبب يعلم فهو بذلك مذموم غير ممدوح فكيف اذا آثر البعيد على القريب وقد جاء فى أشعار العرب من الحث على بر الاقارب ومن حمد من وصلهم وذم من حرمهم ما هو أشهر وأكثر من أن يخفى قال زهير

وليس مانع ذى قربى وذى رحم ... يوما ولا معدما من خابط ورقا

وقال أبو داود الايادى

اذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم ... فرش واصطنع عند الذين بهم ترمى

وقال حاتم الطائى

لا تعذلينى على مال وصلت به ... رحما قريبا فخير المال ما وصلا

وقال أوس بن حجر

أليس بوهاب مفيد ومتلف   وصول لذى قربى هضيم لمهتضم

وقال زهير

وذى نسب ناء بعيد وصلته   بمال وما يدرى بانك واصله

وقال كثير

بسطت لباغى العرف كفا بسيطة   تنال العدى بله الصديق فضولها

هذا المعنى أولى بالصواب من قول الطائى لانه أراد أن عرفه ينال العدى فضلا عن الصديق لان قوله بله الصديق اى فدع الصديق لانه لا يصل الى العدى الا بعد أن يصل الى الصديق وقال كثير أيضا

لاهل الود والقربى عليه   صنائع بثها بر وصول

وللفقراء عائدة ورحم   فلا يقصى الفقير ولا يعيل

ألا تراه بدأ بأهل وده وقرابته فجعل منافعه فيهم ثم ثنى بالفقراء فجعل لهم عائدة ورحما أى رحمة وقال كثير أيضا

ولم يبلغ الساعون فى المجد سعيه   ولم يفضلوا أفضاله فى الاقارب

جزيل الجوازى عن صديقك نصره   وقربت من مارى طريد وراغب

وصاحب قوم معدم بك حقه   وجار ابن ذى قربى وآخر جانب

رأيتك والمعروف منك سجية   تعم بخير كل جاد وغائب

جاد يقال يجدو ويجتدى أى تعم بالمعروف من هو بحضرتك ومن هو غائب عنك فجعل كثير كما ترى معروفه عموما فى الاقارب وفى الاباعد الى الحاضر والغائب

وقال ابن هرمه

كم نايل وصلات قد نفحت بها   ونعمة منك لا تحصى أياديها

عند الاقارب والاقصين نفعهما   بيض روائحها تجدوا غواديها

وقال كنانة ابن عبد ياليل الثقفى

صلاة وتسبيح واعطاء نائل   وذو رحم تناله منك أصبع

يريد بقوله أصبع ذو رحم ونائل وقال اسماعيل ابن يسار النسائى

وإذا أصبت من النوافل رغبة فامنح عشيرتك الادانى فضلها

وقال المسيب بن عاس فى منع الاقارب

من الناس من يصل الابعدين ويشقى به الاقرب الاقرب

وقال الحارس بن كلدة الثقفى يذم فاعل ذلك

من الناس من يغشى الاباعد نفعه ويشقى به حتى الممات أقاربه

فان يك خير فالبعيد يناله وان يك شر فابن عمك صاحبه

فقد تراه كيف ذم على حرمان القريب وقال مسافر بن أبى عمرو بن أمية فى ذلك

تمد الى الاقصى بثديك كله وأنت على الادنى صرور مجدد

وأنك لو أصلحت من أنت مفسد تودَّدك الاقصى الذى تتودد

الصرور الضيق حلمة الثدى والمجدد الذى قد انقطع لبنه وهذه طريقة القوم فى هذا وهو مذهب سائر الامم وأما قول أبى تمام

وربما عدلت كف الكريم عن القوم الحضور ونالت معشرا غيبا

فليس هو من بيته الاول فى شىء وقد أدرك فيه الغرض كأنه يعذر من فعل هذا أى ربما اتفق أن يفعله من غير قصد وليس هذا بمحمود وقد ذهب البحترى الى نحو ما ذهب اليه أبو تمام فقال

بل كان أقربهم من سيبه نسبا من كان أبعدهم من جذمه رحما

الا انه لم يخرجهم من معروفه وان كان أيضا قد دخل تحت الاساءة ونحو هذا قول البحترى أيضا

غدا قسمه عدلا ففيكم نواله وفى سر نبهان بن عمرو ما آثره

وما عجب أن يشهد الطعن دونه وما عشرتكم فى نداه عشائره

فاى قسمة عدل ههنا أن يجعل نداه فى غير قومه ويقتصر بهم على أن يحرزوا الفخر لمآثره وان كان قد دل بقوله وما عشرتكم فى نداه عشائره على أنه لم يحرمهم نواله ألبتة والاحسن فى هذا قوله

فان ينفرد عنا يسير بمجده فلم ينفرد عنا بنائله الجزل

فاعطاهم المجد والنائل جميعا وشبيه بهذ أو قريب منه قوله

عطاؤك ذا القربى جزيل وفوقه عطاؤك فى أهل الشناءة والبعد

فقال عطاؤك ذا القربى جزيل ثم قال وفوقه عطاؤك فى أهل الشناءة والبعد فقوله وفوقه أى أجزل منه وقد يكون فوقه بمعنى زيادة عليه والمعنى الاول بالبيت اليق والجيد فى هذا البعيد من العيب قوله

ظل فيها البعيد مثل القريب المجتبى والعدو مثل الصديق

ولا أعرف لابى تمام فيما قال عذرا يتوجه ولا وجدت فيما تصفحته من الاشعار العرب ما يجانسه الاقول عامر بن صعصعة بن ثور الفقعسى

لمن يزورك من أشرافنا لطف وذى القرابة ادناء وتقريب

وأظن أبا تمام عثر به واستغر به فاخذ المعنى وزاد عليه زيادة أخرجته الى ذم الممدوح لان هذا الشاعر قال لمن يزورك من أشرافنا لطف أى بر ولذى القرابة ادناء وتقريب ولم يقل أدناء وتقريب دون البر كما قال أبو تمام لان البر واللطف اذا كانا للغريب الزائر وكان الادناء والتقريب فى تلك الحال لذى القرابة فقد يجوز أن يهيجه البر اليه فى وقت ايصاله الى الغريب هذا ان كان يقع فى الاكثر فلا عيب على هذا الشاعر فيما قال ولله در ابى عبادة الوليد بن عبيد البحترى اذ يقول

فان ذاك الندى يدنى اليه يدا ممتاحة من بعيد الدار والرحم وقوله

وما أضعت الحق اجنب فى فكيف تنسى واجبا فى شقيق

ومن خطائه قوله

يدى لمن شا رهن لم يذق جرعا من راحتيك درى ما الصاب والعسل

لفظ هذا البيت مبنى على فساد لكثرة ما فيه من الحذف لانه أراد بقوله يدى لمن شاء رهن أى أسابقه وأبايعه معاقدة أو مراهنة ان كان من لم يذق جرعا من راحتيك درى ما الصاب والعسل ومثل هذا لا يسوغ لانه حذف أن التى تدخل للشرط ولا يجوز حذفها لانها اذا حذفت سقط معنى الشرط وحذف من وهى الذى صلته لم يذق فاختل البيت وأشكل معناه والحذف لعمرى كثير فى كلام العرب اذ كان المحذوف ما تدل عليه جملة الكلام قال الله عز وجل أولم يتذكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى أراد عز وجل أولم يتذكروا فيعلموا وأشباه هذا كثير ومن باب الحذف والاختصار

قوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم قال أبو عبيدة العرب تختصر الكلام فعلم لمخاطب بما أريد كأنه أراد فيقال لهم أكفرتم بعد ايمانكم وقوله عز وجل اذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات يفسر ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات وفى الشعر مثل هذا موجود قال الشاعر

لو قلت مافى قومها لم تأثم يفضلها فى حسب وميسم

يريد أحد يفضلها فحذف أحد لان الكلام يدل عليه ذكر ذلك سيبويه وانشد فى باب الحذف

وما الدهر الا تارتان فمنهما أموت وأخرى ابتغى العيش اكدح

يريد فمنها تارة أموت فان تأول متأول هذا البيت على الفاظ أخر محذوفة غير اللفظ الذى ذكرته فالاختلال بعد قائم لكثرة ما حذف منه وسقوط الدليل عليه ومن خطائه قوله

شهدت لقد اقوت معانيكم بعدى ومحت كما محت وشائع من برد

جعل الوشائع حواشى البرد أوشيئاً منها وليس الامر كذلك انما الوشائع غزل من اللحمة ملفوف يجره الناسج بين طاقات السدى عند النساجة قال ذو الرمة

به ملعب من معصفات نسجه كنسج اليمانى برده الوشائع

فأما قول كثير

ديار عفت من عزة الصيف بعد ما تجد عليهن الوشيع المنمنما

انما أراد بالوشيع هنا ما سد به الخصاصة بين الشيئين وهذه وشائع الغزل مأخوذ من المنمنم من النمام أى بعد ما كانت هذه الديار تجد بالوشيع أى يخصص جنابها ومثل أبى تمام لا يسوغ الغلط فى مثل هذا لأنه حضرى وانما يسامح فى ذلك البدوى الذى يريد الشىء ولم يعانيه فيذكر غير دلالة خبره بالأشياء التى تكون بالامصار وأما أبو تمام فليست هذه حاله بل ما جهل هذا ولكنه سامح نفسه فيه ألا ترى الى قوله فى موضع آخر يصف قصيدة

الجد والهزل فى توشيع لحمتها والنبل والسخف والاشجان والطرب

فقال فى توشيع لحمتها ومن خطائه قوله

لو كان فى عاجل من آجل بدل ‏ لكان فى وعده من رفده بدل

ولم لا يكون فى عاجل من آجل بدل والناس كلهم على اختيار العاجل وايثاره وتقديمه على الآجل ألا ترى قول القائل الذى قد صار مثلا والنفس مولعة بحب العاجل والعاجل أبداً هو المطلوب المرغوب فيه حتى أن قليله يؤثر على كثير الآجل كما قال الآخر

أعاذل عاجل ما اشتهى ‏ أحب من الاكثر الرائث

كأنه يريد عاجل ما اشتهى مع القلة أحب الى من الاكثر المبطى فمن شأن الوجل أبداً أن يكون أفضل الاعواض والابدال من كل آجل اذا كان فى الخير فعاجل الخير خير من آجله كما أن عاجل الشر شر من آجله لان العاجل شىء قد وقع ان كان خيرا فقد حصل نفعه أو شراً فقد تعجل شره وآجل الخير يخشى فوته وربما وقع الاخفاق منه كما أن آجل الشر يرجى زواله وربما لم يقع فكيف لا يكون العاجل بدلا أو خلفا من الآجل فان قال قائل ان الذى أراده أبو تمام وقاله صحيح ومذهبه فيه مستقيم لان العاجل لا يكون أبداً بدلا ولا خلفا من الآجل لان المبدل لا يكون قبل المبدل منه ولا الخلف يتقدم على ما هو خلف له لانه انما قيل له خلف لاتيانه خلف الذى هو قدامه فأبو تمام انما أنكر أن يكون العاجل بدلا أو خلفا من الآجل على هذه السبيل قيل هذا غلط من التأويل أو مغالطة لانه ليس على هذا الوجه منع أبو تمام من أن يكون العاجل بدلا من الآجل فيحتج بأن هذا أولى بالتقديم وهذا أولى بالتأخير من طريق الترتيب وانما أراد أنه لا يقوم مقامه فى الحاجة اليه فكيف يكون الاول يقوم مقام الثانى والمتقدم مقام المتأخر وكان وجه الكلام الذى يصح به المعنى ويستقيم أن يقول لو كان فى عاجل قول بدل من آجل فعل لكان فى وعده من رفده بدل فان قال فهذا الذى أراد أبو تمام قيل ليس الامر كذلك لان طريقة لفظه فى البيت أن يكون معناه لو كان فى شىء عاجل من شىء آجل بدل وبعد فلو أراد ما ظننته وذهبت اليه وذلك ليس بمعلوم ولا فى البيت عليه دليل لم يلتفت الى ارادته لانك إذا فصلت الاضافة من عاجل قول أو آجل فعل ففرقت بين المضاف والمضاف اليه لم يدل أحدهما على الآخر لان لفظة عاجل لا تدل غير مضافة على ما تدل عليه لفظة عاجل قول كما أن لفظة آجل لا تدل على آجل فعل ولا يدلان على شىء مضمر كما أن قولك زيد أول ناطق وآخر ساكت وعمرو أول خارج وآخر قادم وبكر أول آخذ وآخر تارك اذا فردت أول وآخر لم

يدلا على شيء مما أضيف اليه ألا ترى ان الاصمعى أنكر على ذى الرمة قوله يصف الوتر كانه فى نياط القوس حلقوم فقال حلقوم ماذا إذا كان يجب أن يقول حلقوم طائر أو حلقوم قطاة أو غيرهما مما يشبه الوتر فى الرقة وإلا فقد يكون الحلقوم حلقوم فيل أو حلقوم بعير وهذا من الأصمعى انكار صحيح وان كان لا يلزم ذا الرمة فيه ما يلزم أبا تمام لان العرب لا تشبه الوتر إلا بحلقوم الطائر وذلك قول الراجز لام بمر مثل حلقوم الوتر أخذه أبو تمام فقال لام كحلقوم القطاة تغترف وأبو تمام انما أراد هذا الممدوح يقيم وعدة لصحته مقام عطيته وأحب الاغراق على رسمه فاخطأ فى تمثيل ما ذكر بذكر العاجل والآجل لأنه أطلق القول عموما فلا يدل على خصوص والجيد النادر فى هذا قول البحترى

لو قيل كفى امرأ من كثير   لا كتفينا بقوله من فعاله

وأحسن الراعى فى قوله

ضافى العطية راجية وسائله   سيان أفلح من يعطى ومن يعد

ومن خطائه قوله

بيوم كطول الدهر فى عرض مثله   ووجدى من هذا وهذاك أطول

فجعل للدهر وهو الزمان عرضا وذلك محض المحال وعلى أنه ما كانت اليه حاجة لانه قد استوفى المعنى بقوله كطول الدهر فاتى على العرض فى المبالغة فان قيل فلم لا يكون سعة ومجازا قيل هذه الفاظ صنعتها صنعة الحقيقة وهى بعيدة من المجاز لان المجاز فى هذا له صورة معروفة والفاظ مألوفة معتادة لا يتجاوز فى النظر بها الى ما سواها وهى قول الناس عشنا فى خفض ودعة زمانا طويلا عريضا ومازلنا فى رخاء ونعمة الدهر الطويل العريض وانما أرادوا تمامه وكماله وسعته نحو قولهم ثوب طويل عريض أى تام واسع وأرض طويلة عريضة أى تامة فى الطول والسعة وكذلك اذا وصفوا ماليس له طول ولا عرض على الحقيقة فانما يريدون التمام والكمال ألا ترى الى قول الراعى

انت ابن فدعى قريش لو تقاسها   فى المجد صار اليك العرض والطول

أى لها سعة وتمام وكمال الفضائل المحاسن وكذلك قوله

اذا ابتدر الناس المكارم بزهم عراضة أخلاق ابن ليلى وطولها

أي برهم منه أخلاقه وتمامها وكمالها فى الفضيل لان الاخلاق تمدح بالسعة وتذم بالضيق الا أن أكثر مايأتى فى كلامهم العرض المراد به السعة اذا جاء مفردا عن الطول نحو قولهم فلان فى نعمة عريضة وله جاه عريض وكما قال الله جل وعز وجنة عرضها السموات والارض أى سعتها وكما قال الله عز وجل فى موضع آخر واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وكما قال الله عز وجل فى موضع آخر واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وكما قال تميم بن أبى بن مقبل

يقطعن عرض الارض غير لواغب وكأن بحريها لهن صحار

أى يقطعن سعة الأرض وكما قال الآخر

سأجعل عرض الارض بينى وبينهم واجعل بيتى فى غنى وأعصر

وكما قال العجاج

اذا تغشوا بعد أرض رضا حسبتهم زادوا عليها عرضا

أى سعة وكثرة وكما قال تميم أيضاً

حتى اذا الريح خبث بالسفا خبباً عرض البلاد أشت الامر واختلفا

اى سعة البلاد فهذا اذا جرى على هذا اللفظ المستعمل حسن ولم يقبح واذ عدل به عن هذه الطريقة وهذه الالفاظ المألوفة الى ما يشبه الحقائق أويقاربها كنت مخطئاً لانك اذا قلت مضى لنا فى الخفض والدعة دهر طويل كان طوله كعرضه لم يجز ذلك لان هذا الترتيب كان وصفاً لاشياء مجسمة كما قال الطائى • بيوم كطول الدهر فى عرض مثله • فكان هذا اللفظ كأنه تدرع ثوباً أوتمسح أرضاً أويصف بالاجتماع والتزوير رجلا كما قال تميم بن أبى مقبل

وكل يمان طوله مثل عرضه فليس له أصل ولا طرفان

فان قيل فاذا جعلت للزمان العرض الذى هو سعة على المجاز لم لا تجعل له العرض الذي هو خلاف الطول على المجاز قيل له العرض الذى هو خلاف الطول حقيقة والزمان لا عرض له على الحقيقة فكيف تكون الحقيقة مجازاً فان قيل فان الزمان لا يوصف بالسعة كما لا يوصف بالعرض فلم استعرت له العرض الذى هو السعة قيل العرض وان جاء وصفاً وحلية للزمان فى قولهم عاش فلان فى نعمته زمنا طويلا عريضاً فانما صلح لانك وصلته بالطول وقرنته به فكان المعنى عاش فى زمن تم له

وكل واتسع كما أخبرتك والزمان قد يوصف بالسعة فيقال قد اتسع لك الوقت والزمان فى مثل كذا ويقال عرض لك والعرض ههنا هو السعة ولكن أجرى هذا على حسب ما استعملوه واتفاق الوقت فسحة لك وامتداد يراد به معنى الوقت وقال ضرار بن الخطاب • وما لاقيت فى الزمن العريض • وذكر العرض مفرداً عن الطول أى الزمن الذى اتسع لك وقد يجوز ان فات عاش فى الخير دهراً عريضا ان تريد بالعرض سعة الخير فيه لا سعته فى نفسه كما قالوا ليل نائم أى ينام فيه ولمح باصر أى يبصر فيه وانما تستعار اللفظة لغير ما هى له اذا احتملت معنى يصلح لذلك الشيء الذى استعيرت له ويليق به لان الكلام انما هو مبنى على الفائدة فى حقيقته ومجازه واذا لم تتعلق اللفظة بالعرض على الحقيقة وهذا محال لما كان فى بيت أبى تمام معنى لانه انما أراد أن يبالغ فى طول وجده اذ كل الوجد يوصف بالطول كما يوصف به الشوق والغرام ونحوهما فيقال طال وجدى وطال شوقى وطال غرامى وكذلك الزمان انما يوصف بالطول فيقال طال ليلى وطال نهارى فما كانت حاجة الى العرض وانما فضل وجده على الدهر وعلى اليوم الذى جعله كالدهر من جهة الطول لا من جهة العرض ألا تراه قال • ووجدى من هذا هذاك الطول • وقد ذكر أبو تمام العرض فى بيت آخر فقال

ان الثناء يصير عرضا فى الورى ومحله فى الطول فوق الانجم

كيف جعل سير الثناء عرضا فى الورى وهو لم يحدد موضعا بعينه فيحسن فيه ذكر الطول والعرض فيكون كما قال الراعى

وجرى على حرب الصوى فطردته طرد الوسيقة فى السماوة طولا

فحسن أن يقول طولا لانه ذكر السماوة كما قال النابغة ويقال أنه محمول عليه

جنبين مع الغطاط يقدن حتى قطعن الحزن عرضا والرمالا

فصلح لانه ذكر انهن قطعن أرض الحزن والرمال ومثل قول أبى تمام قول المرار

فلو كانت تجوب الارض عرضا ولكن جوبهن الارض طولا

وله ولبيت أبى تمام معنى غامض يصحان به وأنا ذاكره مع شرح المعانى الغامضة من شعر أبى تمام ومما يشبه قول أبى تمام • بيوم كطول الدهر فى عرض مثله • أو يقاربه قول الكميت يصف عدة قوم بالكثرة • كالليل لا بل يضعفو • من عايه من باد وحاضر •

وكيف يتحصل مقدار الليل حتى يتحصل ضعفه وهذا أيضا يصح على التمييز والتفتيش اذا حصل معناه وذلك أن الليل لا يغشى الارض كلها بظلمته وانما يغشى بعضها فلعل الكميت أراد أنهم يأخذون من الأرض ضعف ما أخذه الليل منها غشيها على سبيل المبالغة كما قال الاحمر بن شجاع الكلبي

بحارا تغشى الناظرين كأنها ... دجى الليل بل هي من دجى الليل أكثر

وقال أبو تمام

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة ... كوسعه لم يضق عن أهله بلد

وهذا أيضاً غلط من أجل أن كل بلد يضيق بأهله وليس ضيقه من جهة ضيق الارض لأن الأرض لو كانت عشرة أضعافها فى المقدار أو الف ضعف مثلها ما كان ذلك بموجب أن يكون الحزن والعمان أو نجداً أو المدينة أو مكة أو الكوفة أو البصرة فى قدر مساحة كل ناحية منها أوسع وأزيد مما هى عليه الآن اذ لم يختط البصرة والكوفة من اختطهما ولا أسس مكة والمدينة من أسسهما على قدر سعة الارض وضيقها ولا صار قدر الحزن والعمان هذا القدر فى ذرعهما ومساحتهما على قدر مساحة الأرض وذرعها بقسط أخذاه منها وانما ذلك على حسب الأخلاق فى كل سعة وعلى حسب ما أدى اليه الاجتهاد والاختيار ممن أسس كل بلدة ومصر كل مصر وكان ينبغى ان يقول ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعه لم يسعها الفلك وضاقت عنها السماء أو أن يقول لو أن سعة كل بلد كسعة صدره لم يضق عن أهله بلد وكان حينئذ يكون المعنى لائقاً مستقيماً والجيد الصحيح فى هذا المعنى قول البحترى • مفازة صدر لم تطرق ولم يكن • ليسلكها بالداسايك المقانب أى لم يكن ليسلكه الا بدليل لسعته وأيضاً فان الجزء من الارض هو ما يكون فيه من الحيوان والنبات وانما مقداره على ما يقوله أهل الهندسة الربع من الأرض وأقل من الربع والمسكون من جملة ذلك لعله لا يكون جزءاً من الف جزء من ذلك فما معنى جعله ضيق البلدان الضيقة انما هو من أجل ضيق الأرض فان قيل لا يدل قوله الارض وهو لفظ عموم على البلدان التى هى مخصوصة ولا يكون اللفظ الا هكذا أن يريد القائل لفظة تدل على معنى فيأتى بأخرى ليست فيها على ذلك المعنى دلالة

ومن خطائه قوله

وكلما أمست الأخطار بينهم ... هلكى تبين من أمسى له خطر

لو لم تصادف شياة البهم أكثر ما　　فى الخيل لم تحمد الاوضاح والغرر

فالاوضاح هى البياض فى الاطراف وقد يكون أيضا فى البهم وكذلك أيضا الغرر قد توجد فى البهم كثيرة وهذا فساد فى ترتيب البيت لانه ليس اذا وجدت شياة البهم وهى صغار الغنم أكثر ما فى الخيل أو وجدت شياة الخيل أكثر ما فى البهم كان ذلك موجبا لحمد الاوضاح والغرر وانما كان يصح نظم الكلام لولم توجد الاوضاح والغرر فى البهم حتى تكون مخصوصة بالخيل فيقول لولم تعدم الاوضاح والغرر فى البهم لما حمدت فى الخيل فاما أن توجد شياة البهم فى الخيل كثيراً أو شياة الخيل فى البهم دائما فليس هذا بموجب حمد الاوضاح والغرر فى الخيل لان الاوضاح والغرر موجودة فى الغنم وقال طارق بن شهاب

وراحت أصيلانا كأن ضروعها　　دلاء وفيها واتد القرن لبلب

له رعثات كالشنوف وغرة　　شديخ ولون كالوذيلة مذهب

فذكر ان له غرة وقال آخر فى وصف عنز

سوداء الا وضحا فى الشورى　　كأنما الجوزاء فى الاكرع

فذكر بياض أكرعها وذلك موضع التحجيل بل لو قال لولم تقل الاوضاح والغرر فى البهم لما حمدت فى الخيل لكان أقرب الى الصواب لانى أظنها فى البهم أقل وفى الخيل أكثر وليس فى هذا البيت دليل على هذا ولا ذاك

ومن خطأ المدح قوله

سأحمد نصرا ما حييت واننى　　لأعلم ان قد جل نصر عن الحمد

فانه رفع الممدوح عن الحمد الذى ندب الله عباده اليه بان يذكروه به وينسبوه اليه وافتتح فرقانه فى أول سورة بذكره وحث عليه وللعرب فى ذكر الحمد ماهو كثير فى كلامها وأشعارها مافيهم من رفع أحداً عن أن يحمد ولا من استقل الحمد للممدوح قال زهير بن أبى سلمى

منصرف المجد معترف　　للرزء نهاض الى الذكر

أى حيث ما رأى خلة تكسبه الحمد التمسها وطلبها وقال زهير أيضا

أليس بفياض يداه غمامة　　ثمال اليتامى فى السنين محمد

فقوله محمد أى يحمد كثيراً وقال الاعشى

ولـكن على الحمد انفاقه ... وقد يشتريه باغلى ثمـن

وقال أيضا

اليك ابيت اللعن كان كلالها ... الى الماجد الفرع الجـواد محمد

فوصفه بان جعله محمداً اى يحمد كثيرا وقال الآخر

ومن يعط أثمان المحامد يحمد ٠ فهذه هى الطريقة المعروفة فى كلام العرب ولو قال الطائى لو جل أحد عن المدح لجللت عنه كان أعذر كما قال البحترى

لو جل خلق قط عن أكرومة ... تبنى جللت عن النـدى والبـاس

أى كنت تجل لعلو شأنك عن أن يقال سخي أو شجاع اذ كان هذان الوصفان قد يوصف بهما من هو دونك وقال البحترى أيضاً

والحمد أنفس ماتعوضه امرو ... رزىء التلاد ان المرز أعوضا

فاما قول البحترى

كيف تثنى على ابن يوسف لا كيف سرى مجده فعاب الثناء

فعيبه الثناء انما معناه عظم أن يدركه ويبلغ حده الا تراه قال كيف تثنى على ابن يوسف لا كيف أى لا طريق الى كيف الثناء الذى يستحقه ويليق به ثم قال سرى مجده فعاب الثناء قطعاً من الـكلام الاول ٠ ومن خطائه قوله

ظعنوا فـكان بكاى حولا بعدهم ... ثم ارعويت وذاك حـكم لبيـد

أجدر بجمرة لوعة اطفاؤها ... بالدمع ان تزداد طول وقـود

وهذا خلاف ما عليه العرب وضد ما يعرف من معانيها لان من شأن الدمع ان يطفى الغليل ويبرد حرارة الحزن ويزيل شدة الوجد ويعقب الراحة وهو فى أشعارهم كثير موجود ينحى به هذا النحو من المعنى فمن ذلك أقول أمرؤ القيس

وان شفـاءى عـبرة مهراقة ... فهل عند رسم دارس من معول

وقول ذى الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة ... من الوجد أو يشفى نجى البلابل

وقال الفرزدق

فقلت لها إن البكاء لراحة ... به يشتفى من ظن أن لا تلاقيا

وهو كثير فى أشعارهم ما عدل به أحد منهم عن هذا المعنى وكذلك المتأخرون هذا السبيل سلكوه وأبو تمام من بينهم ركب هذا المعنى وكرره فى شعره متعبا لمذاهب الناس فمن ذلك قوله

نثرت فريد مدامع لم تنظم ... والدمع يحمل بعض ثقل المغرم

وقال فى موضع آخر

واقعاً بالخدود والبرد منه ... واقع بالقلوب والاكباد

وقال أيضاً

فلعل عينك أن تجود بمائها ... والدمع منه خاذل ومواسى

وقال أيضاً

فلعل عبرة ساعة أذريتها ... تشفيك من أرباب وجد محول

فلو كان اقتصر على هذا المعنى الذى جرت به العادة فى وصف الدمع لكان المذهب المستقيم ولكنه أحب الأغراب تخرج الى ما لا يعرف فى كلام العرب ولا مذاهب سائر الأمم وقد تبعه على الخطأ البحترى فقال

فعلام فيض مدامع تدق الجوى ... وعذاب قلب فى اجتناب معذب

قوله تدق الجوى من قولهم لم يدق الأرض منه شىء أى لم يصل وفى شعر امرىء القيس ما فيه مواقي أى على أثر وصله من الدنو فكأنه لم تدق الجوى تدنى الجوى يقال أتان وديق أى تدنو من الفحل ومنه الودبقة الهاجرة لدنو الحر وقيل لقطر المطر ومق لانحلابه من السحاب ودنوه من الأرض . ومن خطائه قوله

رضيت وهل أرضى اذا كان مسخطى ... من الامر ما فيه رضى من له الأمر

فمعنى هذا البيت التقرير والتقرير على ضربين تقرير للمخاطب على فعل قد مضى ووقع أو على فعل هو فى الحال ليوجب المقرر بذلك ويحققه ويقتضى من المخاطب فى الجواب الاعتراف به نحو قوله هل اكرمتك هل أحسنت اليك هل أودك وأوثرك وأقضى حاجتك وتقرير على فعل يدفعه المقرر وينبغى أو يكون قد وقع نحو قوله هل كان قط اليك شىء

كرهته هل عرفت مني غير الجميل فقوله في البيت وهل أرضى تقرير لفعل ينفيه عن نفسه وهو الرضى كما يقول القائل وهل يمكنني المقام على هذه الحال أى لا يمكنني وهل يصير الحر على الذل وهل يروى زيد ويشبع عمرو وهذه أفعال معناها النفي فقوله وهل أرضى انما هو نفي للرضى فصار المعنى ولست أرضى اذا كان الذى يسخطني ما فيه رضى من له الأمر أى رضى الله تعالى وهذا خطأ منه فاحش فان قال قائل فلم لا يكون قوله وهل أرضى تقريراً على فعل هو في الحال ليؤكده من نفسه نحو قول الشاعر

هل أكرم مثوى الضيف ان جاء طارقا وأبذل معروفي له دون منكري

قيل له ليس قول القائل لمن يخاطبه هل أودك هل أو ثرك وقول سل عني هل أصلح للخير أو هل كتم السر أو هل أقنع بالميسور مثل قول أبي تمام رضيت وهل أرضى فان صيغة الكلام دالة على أنه نفي الرضى هذا عن نفسه بادخال الواو على هل وانما يشبه هذا قول القائل وهل أودك اذا كانت أفعالك كذا وهل أصلح للخير عندك اذا كانت تعتقد غير ذلك وهل ينفع في زيد المعتاب كقول الشاعر

وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

وقول ذى الرمة

وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى ثلاث الاثافي والرسوم البلاقع

لأن الواو ههنا كأنها عطفت جواباً على قول قائل إن فلاناً سيصلح ويرجع الى الجميل . فقال آخر وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر وكقول ذى الرمة

امنزلتي مي سلام عليكما هل الازمن اللاى مضين رواجع

لما علم أن التسليم غير نافع عاد على نفسه فقال وهل يرجع التسليم و كما قال امرؤ القيس، وأن شفاى عبرة مهراقة ثم قال وهل عند ربع دارس من معول وكذلك قول أبي تمام رضيت ثم قال وهل أرضى اذا كان مسخطي انما معناه ولست أرضى فكان وجه الكلام أن يقول رضيت وكيف لا أرضى اذا كان مسخطي ما فيه رضى الله تعالى وكذا أراد فأخطأ في اللفظ وأحال المعنى عن وجهته الى ضده فان قيل أن هل ههنا بمعنى قد وانما أراد الطائى رضيت وقد أرضى كما قال الله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر أى قد أتى قيل هذا انما قاله قوم من أهل التفسير وتبعهم قوم من النحويين وأهل اللغة جميعاً على خلاف ذلك اذ لم يأت في كلام العرب وأشعارها هل قام زيد بمعنى قد قام زيد واذا

كان ذلك معدوما فى كلام العرب ولغاتها فكيف يجوز أن يوحد به أو يعول عليه وقد قال أبو اسحق الزجاج وجماعة من أهل العربية فى قوله عز وجل هل أتى على الانسان معناه المريأت على سبيل التقرير وهب الامر فى هذا كما ذكروا والخلاف ساقط فيه فان بيت أبى تمام لا يحتمل من التأويل ما احتملته الآية لان هل انما شبهها من شبهها بقد اذا وليت لفظ الماضى خاصة وأبو تمام انما أوقعها على الفعل المستقبل فسقط عنها أن تضارع قد لان قد حينئذ قد تكون بمعنى فان كان الرجل انما أراد بهل معنى قد فلم لم يقل رضيت أرضى فيأتى باللفظ قد نفسها اذا انما يريد الخبر ولا يأتى بهل فيلتبس الخبر الذى اياه قصد بالاستفهام فان البيت كان يستقيم بهل ويغنينا عن الاحتجاج الطويل وقد استقصيت القول فى هذا البيت وما ذكره النحويون وسيبويه وغيره فى معنى قد وهل ولخصته فى جزء مفرد وانما فعلت ذلك لكثرة من عارضنى فيه وداعى الدعاوى الباطلة فى الاحتجاج لصحته » ومن خطائه قوله فى البكا على الدار

دار أجل الهوى عن أن ألم بها ... فى الركب الا وعينى من منائحها

وهذا اللفظ محال عن وجهه لان الا ههنا تحقيق وايجاب فكيف يجوز أن تكون عينه من منائحها اذا لم يلم بها وانما وجه الكلام دار أجل الهوى عن أن لم بها وليس عينى من منائحها وقد كنت أظن أن أبا تمام على هذا نظم الشعر أو ان غلطا وقع عليه فى نقل البيت حتى رجعت الى النسخة العتيقة التى لم تقع فى يد الصولى واضرابه فوجدت البيت فى غير نسخة مثبتا على هذا الخطأ

(ومن خطائه أيضا فى وصف الربع وساكنه قوله)

قد كنت معهودا بأحسن ساكن ... ثاو وأحسن دمنة ورسوم

والربع لا يكون رسما الا اذا فارقه ساكنوه لان الرسم هو الاثر الباقى بعد سكانه والصواب قول البحترى

يا مغانى الاحباب صرت رسوما ... وغدا الدهر فيك عندى ملوما

وقال امرؤ القيس وهل عند رسم دارس من معول فقال ذلك لان الرسم يكون دارسا وغير دارس وقال

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ... ورسم عفت آياته منذ أزمان

(ومن خطائه قوله)

طال الجميع لقد عفوت حميدا   وكفى على رزئى بذاك شهيدا

أراد وكفى بأنه مضى حميدا شاهدا على أنى رزئت وكان وجه الكلام أن يقول وكفى برزئى شاهدا على أن مضى حميدا لان حمدا أمر الطلال قد مضى وليس بشاهد ولا معلوم ورزؤه بما ظهره من تفجعه شاهد معلوم فلان يكون الحاضر شاهدا على الغائب أولى من أن يكون الغائب شاهدا على الحاضر فان قيل انما أراد أن يستشهد على عظيم رزئه عند من لم يعلمه قيل فمن لا يعلم قدر مرزئته التى بعضها ظاهر عليه كيف يعلم ما مضى من حميد أمر الطلل حتى يكون ذلك شاهدا على هذا فان قال هذا انما جاء به على القلب قيل له المتأخر لا يرخص له فى القلب لان القلب انما جاء فى كلام العرب على السهو والمتأخر انما يحتذى على أمثلتهم ويقتدى بهم وليس ينبغى له أن يتبعهم فيما سهوا فيه فان قيل فقد جاء القلب فى القرآن ولا يجوز أن يكون ذلك على سبيل السهو والضرورة لان كلام الله عز وجل يتعالى عن ذلك وهو قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة وانما العصبة تنوء بالمفاتيح أى تنهض بثقلها وقال عز وجل ثم دنا فتدلى وانما هو تدلى فدنا وقال وإنه لحب الخير لشديد أى وان حبه للخير لشديد ولهذا أشياء كثيرة فى القرآن قيل هذا ليس بقلب وانما هو صحيح مستقيم انما أراد الله تعالى اسمه ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أى تميلها من ثقلها ذكر ذلك القرآن وغيره وقالوا انما المعنى لتنىء بالعصبة وقوله إنه لحب الخير لشديد قيل المعنى أنه لحب المال لشديد والشدة البخل يقال رجل شديد أى بخيل يريد أنه لحب المال لبخيل متشدد يريد أنه لحب المال أى لاجل حبه المال يبخل وقالوا فى قوله عز وجل ثم دنا فتدلى انما كان تدليه عند دنوه اقترابه وكما قال أبو النجم قبل دنو الافق من جوزائه والجوزاء اذا دنت من الافق فقد دنا الافق منها وليس هذا من القلب المستكره ومثله فى الشعر كثير قال الشاعر

ومهمه مغبرة ارجاؤه   كأن لون ارضه سماؤه

قوله كأن لون أرضه أى كأن لون سمائه من غبرتها لون أرضه وليس الامر فى ذلك بواجب لان أرضه وسماؤه مضافان جميعا الى الهاء وهى كناية عن المهمه فايهما يشبه بصاحبه كان فيه سواء وانما تغير آفاق السماء من الجدب واحتباس القطر قال الحطيئة «فلما خشيت الهون والعير ممسك» على رغمه ما أمسك الحبل حافره» قال وكان الوجه ان يقول ما أمسك الحافر حبله وكلاهما متقاربان لان الحبل اذا أمسك الحافر فان الحافر أيضا قد شغل

الجبل فهذا كله سائغ حسن ولكن القلب القبيح لا يجوز فى الشعر ولا فى القرآن وهو ما جاء فى كلامهم على سبيل الغلط نحو قول خداش بن زهير

وتركب خيلا لا هوادة بينها ... وتعصى الرماح بالضياطرة الحمر

وإنما الضياطرة هى التى تعصى بالرماح وكقول الآخر

كانت فريضة ما تقول كما ... كان الزناء فريضة الرجم

وإنما الرجم فريضة الزناء وكقول الفرزدق يصف ذئباً

واطلس عسال وما كان صاحبا ... رفعت لنارى موهنا فاتانى

وإنما أراد رفعها للذئب وأنشده المبرد وقال القلب جائز للاختصار اذا لم يدخل الكلام لبس كأنه يجيز ذلك للمتقدمين دون المتأخرين وما علمت أحداً قال للاختصار غيره فلو قال لاصلاح الوزن أو للضرورة كما قال غيره كان ذلك أشبه ويجوز أن يكون الفرزدق فى البيت سها أو اضطر لاصلاح الوزن وأبو تمام وغيره من المتأخرين لا يسوغون مثل هذا لأنه القلب المستكره فان قيل إنه لم يرد القلب وانما اراد وكفى على رزئى بمحمود أمر الطائل شهيداً قيل وأى شىء استشهد وأين شهيده (ومن خطائه قوله فى باب الفراق)

دعا شوقه يا ناصر الشوق دعوة ... فاباه طل الدمع يجرى ووابله

أراد أن الشوق دعا ناصراً ينصره فلباه الدمع بمعنى أنه يخفف لاعج الشوق ويطفى حرارته وهذا إنما هو نصرة المشتاق على الشوق والدمع إنما هو حرب للشوق لانه يثلمه ويتخوفه ويكسر منه حده كما قال البحترى

وبكاء الديار مما يرد الشوق ذكراً والحب نضواً ضئيلا

قوله يرد الشوق ذكراً أى يخففه ويثلمه حتى يصير ذكراً لا يقلق ولا يزعج كاقلاق الشوق وقوله والحب نضواً أى يصغره ويمحقه كما قال جرير

فلما التقى الحبان القيت العصى ... ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

فلو كان الدمع ناصراً للشوق لكان يقويه ويزيد فيه ألا ترى إنك تقول قد ذبحنى الشوق اليك فالشوق عدو المشتاق وحربه والدمع سلم لتخفيفه عنه وهو حرب للشوق وليس بهذا الخطأ خفاء وقد تبعه البحترى فى هذا الخطأ فقال يعنى الديار التى وقف عليها

امر التجلد بالتلدد حرقة امرت بجمود دموعه بسجوم

(ومن خطائه فى معنى الشوق قوله)

نصرت لها الشوق اللجوج بادمع فلا حقن فى اعقاب وصل تصرما

فقوله شوق يطيل ظماءه غلط لأن الشوق هو الظمأ نفسه ألا ترى انك تقول أنا عطشان الى رؤيتك وظمآن ومشتاق بمعنى واحد فكيف يكون الشوق وهو المطيل للظمأ وكيف يكون هو الساقى والمحبوب هو الذى يظمىء ويسقى أو البعد أو الهجر لا الشوق فكيف يكون الشوق يطيل شوقه (ومن خطائه قوله)

يكفيك شوق قد يطيل ظماءه فاذا سقاه سقاه سم الاسود

جعل الحرقة آمرة التجلد بالتلدد والحرقة التى يكون معناها التلدد تسقط التجلد البتة وتذهب به فأما أن يجعله متلدداً فان هذا من أحق المعانى وأولاها بالاستحالة وأيضاً فأى لفظ أسخف من أن يجعل الحرقة آمرة وانما العادة فى مثل هذا أن تكون باعثة أو جالبة أو نحو هذا وأما الأمر فليس هذا موضعه ولو قال بعثت أو جلبت لكان له وجه (ومن خطائه قوله)

من حرقة اطلقتها فرقة اسرت قلبا ومن عذل فى نحره غزل

قوله أطلقتها فرقة أى ثورتها وأظهرتها وانما قال أطلقتها من أجل قوله أسرت ليطابق بين الاطلاق والاسر وقوله أسرت قلباً يعنى الفرقة وهو معنى ردى لأن القلب انما يأسره ويملكه شدة الحب لا الفراق فان لم يكن مأسوراً قبل الفراق فما كان هناك حب فلم حضر للتوديع وما كان وجه البكاء والاستهلاك والوجل الذى ذكره قبل البيت والقصة الفظيعة التى وصف الحال فيها عند مفارقتهم وما علم أن للفراق لوعة صعبة عند وروده وفجأة فلا يسمى ذلك أسراً ولا علاقة وانما يسمى محنة نظر على أسير الحب وربما قتلته كما يقتل الأسير والفراق انما له لوعة ثم تبرد ناره وتخمد وقتاً وقتاً حتى يدرس الحب فالفراق يفك أسر الحب وينسى الخليل خليله اذا امتد به زمان ألا ترى الى قول زهير الكابى

اذا ماشئت ان تسلى حبيبا فاكثر دونه عد الليالى

فما انسى خليلك مثل نأبى وما أبلى جديدك بابتذال

وقول الآخر

ينسى الخليلين طول النأى بينهما ويلتقى طرق شتى فيأتلف

هذا هو المعنى الصحيح المعروف وان كان قد تقدم أبا تمام فى هذا المعنى من تبعه وحذا على حذوه والردى لا يؤتم به ولعله سمع معنى سائغا حسنا فأفسده لسوء عبارته وكثيرا ما يفعل هذا وكان ينبغى أن يقول من حرقة بعثتها فرقة أو أظهرتها فرقة جرحت قلبا حتى يكون أسير الهوى قتيل الفراق فان قيل فلم لا يكون أسرت قلبه الحرقة للفراق قيل لا يكون ذلك لان الاسر اذا قبح أن يكون فعلا للفرقة قبح أيضا أن يكون فعلا للحرقة لان الفرقة هى التى جلبت الحرقة فشأنها كشأنها (ومن خطائه قوله)

مالامرىء خاض فى بحر الهوى عمر الا وللبين فيه السهر للجلد

وهذا عندى خطأ ان كان أراد بالعمر مدة الحياة لانه اسم واحد للمدة بأسرها فهو لا يتبعض فيقال لكل جزء منه عمر كما لا يقال ما لزيد رأس الا وفيه شجة أو ضربة وما له لسان الا وهو ذرب أو فصيح وكذلك لا يقال ما له عمر الا وهو قصير وانما يسوغ هذا فيما فوق الواحد مثل أن تقول ما له ضلع الا مكسورة وما له يدا الا وفيها أثر ولا رجل الا وفيها حنف وليس قولهم ما له عيش الا متنغص ولا حيوة الا كدرة مثل قولك ما له عمر الا قصير ولو قلته لان عيش الانس ليس له مدة حياته باسرها لانك قد تقول كان عيشى بالعراق طيبا وكانت حياتى بمكة لذيذة وكان عيشى بالحجاز أطيب من عيشى باليمن ولا تقول كان عمرى لان العمر هو المدة باسرها والعيش والحياة ليسا كذلك لانهما يتبعضان فان قيل فانت تقول ما لزيد رأس حسن ولا أنف أشم ولا لسان ذرب قيل يصلح هذا من أجل النفى لانك انما تريد ليس له رأس من الرؤوس الحسنة ولا لسان من الالسن الذرية واذا دخلت الا هنا فقد جعلت المنفى موجبا وحقيقة واذا قلت ليس لزيد رأس الا حسن فقد أوجبت له عدة رؤوس وهذا خطأ وكذلك سبيل العمر وإن كان أراد بالعمر منزله الذى يوطنه ويعمره فذلك هو المعمر وما علمت أن أحد أسماء عمر الا أن يكون دير النصارى فانهم يسمونه عمرا وما كان يمنعه أن يقول وطن مكان عمر لان لفظها ومعناها واحد وقد يكون للانسان عدة أوطان توطنها وقد ذكر العمر فى موضع آخر من شعره وهو يريد مدة الحيوة فقال

اذا مارق بالغدر جاور عمره فذاك حرى ان تتم حلائله

أراد أنه ان جاوز عمره أى قاربه بالغدر فقد عرضه للزوال والنفاد وهذا من عويص ألفاظه وما أراد بالبيت الاول الا مدة الحيوة لان ما قبل البيت وما بعده عليه يدل وقال فى على ابن الجهم

هي فرقة من صاحب لك ماجد　　فغدا اذابه كل دمع جامد

فافزع الى ذخر الشؤون وغربه　　فالدمع يذهب بعض جهد الجاهد

واذا فقدت أخا فلم تفقد له　　دمعا ولا صبرا فلست بفاقد

قوله يذهب بعض جهد الجاهد أي بعض جهد الحزن الجاهد أي الحزن الذي جهدك فهو الجاهد لك ولو كان استقام له بعض جهد المجهود لكان أحسن وأليق وهذا أغرب وأظرف وقد جاء أيضا فاعل بمعنى مفعول قالوا عيشة راضية بمعنى مرضية ولمح باصر وإنما هو مبصر فيه وأشباه هذا كثيرة معروفة ولكن ليس في كل حال يقال وانما ينبغي أن ينتهي في اللغة الى حيث انتهوا ولا يتعدى الى غيره فان اللغة لا يقاس عليها وقوله فلم تفقد له دمعا ولا صبرا من أفحش الخطأ لان الصابر لا يكون باكيا والباكي لا يكون صابرا فقد نسق بلفظة على لفظة وهما نعتان متضادان ولا يجوز أن يكونا مجتمعين ومعناه أنك اذا فقدت أخا فادام البكا عليك فلست بفاقده ولا اخوته وهو محصل لك غير مفقود وإن كان غائبا عنك والى هذا ذهب الا أنه أفسد بذكر الصبر مع البكاء وذلك خطأ ظاهر ولو كان قال فلم تفقد له دمعا ولا جزعا أو دمعا ولا شوقا ولا قلقا لكان المعنى مستقيما وظننته قال غير هذا وان غلطا وقع في كتابة البيت عند النقل حتى رجعت الى أصل أبي سعيد السكري وغيره من الاصول القديمة فلم أجد إلا دمعا ولا صبرا وذلك غفلة منه عجيبة وقد لاح لي معنى أظنه والله أعلم اليه قصد وهو ان يكون اراد اذا فقدت أخا فلم تفقد له دمعا أي يواصل البكا عليك فلست بفاقده على ما ذكره أي فقد حصل لك وصار ذخرا من ذخائرك وان غاب عنك وغبت عنه وإن لم تفقد له صبرا أي وان صبر عنك فلست بفاقد لانه أن صبر وسلاك فليس ذاك بأخ يعول عليه فلست أيضا بفاقده لانك لا تعتد به موجودا ولا مفقودا ولكن ذهب على أبي تمام أن هذا غير جائز لانه وصف رجلا واحداً بالوصفين جميعا وهما متضادان ولو كان جعلهما وصفين لرجلين فقال

وان فقدت أخا لفقدت باكيا　　أو صابرا جلدا فلست بفاقد

أي لست بفاقد هذا لانه محصل لك أو لست بفاقد هذا لانه غير ناس مودتك لكان المعنى سائغا حسنا واضحا أو لو جعله شخصا واحدا وجعل له أحد الوصفين فقال

واذا فقدت أخا فاسبل دمعه　　أو ظل مصطبرا فلست بفاقد

لكان أيضا سائغا على هذا المذهب أو كان استوى له في ذلك اللفظ بعينه أن يقول

ولم تفقد له دمعاً ولا صبراً حتى لا يجعل له الا أحدهما لساغ ذلك لكنه ادق بالصبر على الدمع فجعلهما جميعاً له ففسد المعنى فهذا وأشباهه الذي قاله الشيوخ فيه انه يريد البديع فيخرج الى المحال وقال أبو تمام

لما استحر الوداع المحض وانصرمت أواخر السير الا كاظماً وجما

رأيت أحسن مرئي واقبحه مستجمعين لى التوديع والعنما

العنم شجر له أغصان لطيفة غضة كأنها بنان جارية الواحدة عنمة كأنه استحسن أصبعها واستقبح إشارتها اليه بالوداع وهذا خطأ فى المعنى أراه ماسمع قول جرير . أتنسى اذ تودعنا سليمى . بفرع بشامة سقى البشام . فدعا للبشام بالسقيا لأنها ودعته به فسر بتوديعها وابو تمام استحسن أصبعها واستقبح اشارتها ولعمرى أن منظر الفراق منظر قبيح ولكن اشارة المحبوبة بالوداع لا يستقبحه لا أجهل الناس بالحب وأقلهم معرفة بالغزل وأغلظهم طبعاً وأبعدهم فهماً وقال

فلويت بالمعروف اعناق الورى وحطمت بالانجاز ظهر الموعد

حطم ظهر الوعد بالانجاز استعارة قبيحة جداً والمعنى أيضاً فى غاية الرداءة لان انجاز الموعد هو تصحيحه وتحقيقه وبذلك أجرت العادة أن يقال قد صح وعد فلان وتحقق ما قال وذلك اذا انجز فجعل أبو تمام فى موضع صحة الوعد حطم ظهره وهذا انما يكون اذا أخلف الوعد وكذب ألا تراهم يقولون قد مرض فلان وعده وعلله ووعد وعداً مريضاً واذا أخلف وعده فقد أماته فالأخلاف هو الذى يحطم ظهر الموعد لا الانجاز ولا خفا بفساد ماذهب اليه وكان ينبغى أن يقول وحطمت بالانجاز ظهر المال لا الموعد وحينئذ فالموعد كان يصح ويسلم ويتلف المال وقال

اذا وعد انهلت يداه فاهدتا لك النجح محمولا على كاهل الوعد

وكاهل الوعد اذا حل النجح من سبيله أن يكون صحيحاً سالماً لا أن يكون محطوما كما قال فى البيت الاول فهذه استعارة صحيحة على هذا البيت وان كان كاهل الوعد قبيحاً ومثل هذا البيت الاول فى الفساد أو قريب منه قوله

اذا ما رمى دارت أدرت سماحة رحى كل انجاز على كل موعد

وهذا اتلاف الموعد وابطاله لأنه جعله مطحوناً بالرحى وانما ذهب الى الانجاز اذا وقع بطل الوعد وليس الأمر كذلك لأن الموعد ليس بضد للانجاز فاذا صح هذا بطل ذلك بل الوعد الصادق طرف من الانجاز وسبب من أسبابه فاذا وقع الانجاز فهو تمام الوعد

وتصحيح له وتحقيق وتصديق فهو فى هذه الاستعارة غالط والمعنى الصحيح قوله

ابلهم ريقا وكفا لسائل   وانضرهم وعدا اذا صوح الوعد

فتصويح الوعد هو ان يخلفه الواعد فيبطل ولا يصح لأنه من صوح النبت اذا جف ومثله فى الصحة قوله * تزكو مواعده اذا وعد امرء * انساك احلام الكرى الا ضغاثا . فهذا هو المعنى الصحيح أن يكون الوعد يزكو لا أن يبطل ويذهب ولله در أبى اسحاق ابراهيم ابن هرمة اذ يقول . يسبق بالفعل ظن سائله . ويقتل الريث عنده العجل . فهذه الاستعارة الصحيحة أن يقتل العجل الابطاء لا أن يقتل الانجاز الوعد أما قوله تؤم أبا الحسين وكان قدما . فتى أعمار موعده قصار . وقول البحترى . وجعلت فعلك تلو قولك ناصراً . عمر العدو به وعمر الموعد . فان عمر الموعد مدة وقته فاذا أنجز صار مالا فنفاد وقته ليس بمبطل له بل ذلك نقله من حال الى حال أخرى ألا ترى الى البحترى كيف كشف عن هذا المعنى وجاء بالأمر من فصه فقال . يوليك صدر اليوم ما فيه الغنى . بمواهب قد كن أمس مواعدا . فبطلان الموعد هو بطلان الشيء الذى الموعد واقع به وصحته هو صحة ذلك الشيء ثم اتبع البحترى هذا البيت بان قال

شيم السحائب ما بدان بوارقا   فى عارض الا انثنين رواعدا

فجعل البوارق مثالا للمواعيد وجعل الرواعد هى البوارق على الحقيقة وحالهما واحدة مثالا للغيث الذى هو العطايا فالرواعد ليست بمبطلة البوارق بل هى هى لأن تلك نور يحدثه ازدحام السحاب والرعد صوت ذلك الازدحام فالبرق يرى أولا والرعد يسمع آخراً وهو هو وذلك أن العين أسبق الى الابصار من الاذن للاستماع لان العين ترى الشيء فى موضعه والاذن لا تسمع الصوت الا اذا وصل اليها فشبهها بالمواعد التى تجر المواهب وهذا أحسن ما يكون من التمثيل واصحه وانما أقام بالرواعد مقام المواهب لانه قد يكون برق ومطر فيه ولا يكاد يكون رعد الا ومعه مطر ثم ان الشبيه صح بان صار الرعد بعد البرق وما أحسن ما قال خلف بن خليفة الاقطع . مواعدهم فعل اذا ما تكلموا . فتلك التى ان سميت وجب الفعل . يعنى قول نعم فجعل الوعد هو الفعل نفسه لصحته وصدقه وقد مثل البحترى أيضاً الموعد وكيف تحول عطاء تمثيلا آخر حسنا فقال

وشكرت منك مواهبا مشكورة   لو سرن فى ملك لكن نجوما

ومواعدا لو أن شيئا ظاهراً   تقضى اليه العين كن غيوما

وذلك لأن الغيم يصير مطراً كما أن الموعد يصير عطاء وابو تمام فيما يذهب اليه غالط لأنه وضع الاستعارات فى غير موضعها (ومن خطائه قوله)

فلو ذهبت سنات الدهر عنه ... والقى عن مناكبه الدثار
لعدل قسمه الأرزاق فينا ... ولكن دهرنا هذا حمار

قوله والقى عن مناكبه الدثار لفظ ردىء وليس من المعنى الذى قصده فى شىء وصدر البيت لائق بالمعنى فلو كان أتبعه بما يكون مثله فى معناه بان يقول فلو ذهبت سنات الدهر عنه لاستيقظ من رقدته وانتبه من نومته وانكشف الغطاء عن وجهه لكان المعنى معنى مستقيما لأن من كان فى سنة أو نوم أو مغطى على وجهه أو عينيه فانه لا يبصر الرشد ولا يكاد يهتدى لصواب وانما هذه كلها استعارات والمراد بها هداية القلب وأبصاره وفهمه وقد جرت العادة باستعارتها فى هذا المعنى فاما دثار المناكب فليس من هذا الباب فى شىء إذا قد يبصر الانسان رشده ويهتدى لصواب أمره وعلى مناكبه دثار وعلى ظهره أيضاً حمل ولا يكون ذلك مع النوم والرقاد والغطا على العين لأنه انما يراد نوم القلب والتغطيه عليه لأن الانسان انما يقال له قد عمى قلبك وقد عميت عن الصواب عينك وقد غطى على فهمك ولا يقال قد غطيت بالدثار عن الصواب مناكبه ولا ظهرك ولفظة الدثار أيضاً انما تستعمل لمنع الهوآء والبرد لا لمنع الفهم والرشد ومن خطائه قوله

وأرى الامور المشكلات تمزقت ... ظلماتها عن رأيك المتوقد
عن مثل فصل الصيف الا أنه ... مذ سل أو سلة لم يغمد
فبسطت ازهرها بوجه ازهر ... وقبضت اربدها بوجه أربد

فقال الامور المشكلات وجعل لها ظلمات فكيف يقول فبسطت ازهرها والزهر هى النيرات والمشكلات لا يكون شىء منها نيراً وكانه يريد أن الامور المشكلة منها جيد قد أشكل الطريق اليه ومنها ردىء قد جهلت أيضاً حاله فهى كلها مظلمة فيمزق ظلماتها برأيه ويكشف عن الجيد منها ويبسطه أى يستعمله ويكشف عن رديها ويقبضه أى يكفه ويطرحه ولكن ما كان ينبغى له أن يقول بوجه أزهر وبوجه أربد لأنه لا صنع ههنا للوجه ولا تأثير لأن الصنع انما هو للرأى وللعقل فاذا رأى ذو الرأى أمرا استبان منه الاشياء المظلمة وانفتحت المغلقة أو رأى أن يغلق أمراً مفتوحاً اذا كان الصواب موجبا ذاك عنده فالرأى على الاحوال كلها أزهر مسفر والوجه على الاحوال كلها ابيض وليس

يريد أبيض في لونه والعاجز اذا ورد عليه الامر يبهظه تبينت الكآبة في وجهه ولله در منصور النمري حيث يقول

ترى ساكن الاوصال باسط وجهه يريك الهوينا والامور تطير

فقال ساكن الاوصال باسط وجهه فدل على قلة اكتراثه بالامور التي ترد عليه وقول أبي تمام بوجه أربد لا معنى له لانه من صفات الغضبان أو المكتئب من أمر ورد عليه وهو عندي في ذلك غالط وفي ذلك مسيء * ومن خطائه قوله

كالارحبي المذكى سيره المرطى والوخد والملع والتقريب والخبب

فالارحبي من الابل منسوب الى أرحب حي من همدان تنسب اليهم النجائب والمذكى الذي قد انتهى في سنه وقوته والمرطى من عدو الخيل فوق التقريب ودون الاهذاب والوخد الاهتزاز في السير مثل وخد النعام والملع من سير الابل السريع والتقريب من عدو الخيل معروف والخبب دونه وليس التقريب من عدو الابل وهو في هذا الوصف مخطىء وقد يكون التقريب لاجناس من الحيوان ولا يكون للابل وانا ما رأينا بعيرا قط يقرب تقريب الفرس والمرطى أيضا من عدا الخيل لم أره في أوصاف الابل ولا سيرها *

ومن خطائه بوله

ومشهد بين حكم الذل منقطع صاليه أو بحبال الموت متصل

جليت والموت مبد حر صفحته وقد تفرعن في أفعاله الاجل

وقوله بين حكم الذل لو كان حكم الذل أشياء متفرقة لصحت فيها بين غير أن حكم الذل والذل بمنزلة واحدة وكذلك حكم العز والعز فكما لا يقال بين العز فكذلك لا يقال بين حكم العز حتى يقال وكذا الان بين اثناهي وسط بين شيئين فان قال حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب ومن يصلاها فكانه ذهب بقوله بين الى معنى وسط أي مشهد وسط حكم الذل قيل وسط لا يحل محل بين وبين لا يحل محل وسط لانك تقول البئر وسط الدار ولا تقول البئر بين الدار وتقول المال بيننا نصفين ولا تقول المال وسطنا والمعنى الذي بنى ابو تمام البيت عليه سياقه لفظه أن يقول ومشهد بين حكم الذل وحكم العز أي ومشهد بين الذل والعز محجم من يصلاه وهو الذليل أو مقدم وهو العزيز جليته وكشفته يعني الممدوح فحذف أحد القسمين الذي لا يصلح بين الا به مع القسم الآخر وجعل قوله منقطع في موضع محجم ومتصل مقدم وليس هذا من مواضع متصل ولا منقطع وقد أغراه الله

بوضع الالفاظ فى غير مواضعها من أجل الطباق والتجنيس اللذين بهما افسد شعره وشعر كل من اقتدى به وقوله وقد تفرعن فى أفعاله الاجل معنى فى غاية الركاكة والسخافة وهو من الفاظ العامة ومازال الناس يعيبونه به ويقولون اشتق للاجل الذى هو مطل على كل النفوس فعلا من اسم فرعون وقد أتى الاجل على نفس فرعون وعلى نفس كل فرعون كان فى الدنيا ومن خطائه قوله

سعي فاستنزل الشرف اقتسارا ولولا السعى لم تكن المساعى

قوله سعين فاستنزل الشرف اقتسارا ليس بالمعنى الجيد بل هو عندى هجاء مصرح لانه اذا استنزل الشرف فقد صار غير شريف وذلك أنك اذا ذممت رجلا شريفا شريف الاباء كان أبلغ ماتذمه به أن تقول قد حططت شرفك ووضعت من شرفك وقد وكده بقوله اقتسارا وقوله ولولا السعى لم تكن المساعى فبئس السعى والله سعى لان الشرف لا يحط الا بلام مايكون من الافعال وكانه انما أراد سعى فحوى الشرف نفسه فأفسد المعنى بذكر استنزاله اياه كافه لولم يستنزله ما كان يكون حاويا له فهلا قال ترقى الى الشرف الاعلى فحواه أو بلغ النجم أو علا الشمس كما قال الآخر

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بسؤددهم أو مجدهم قعدوا

ومن خطائه قوله

يقظ وهو أكثر الناس أغضا ء وعلى نايل له مسروق

قوله على نايل له مسروق خطا لان نائله هو ماينيله كيف يكون مسروقا منه وهل يكون الهجو الا هكذا أن يجعل نائله مأخوذا منه على طريق السرقة وانما اعتمد المطابقة لما وصفه بالتيقظ جعله ممن يسرق منه اذ كان من شأن المتيقظ ان لا يغفل حتى يستتم عليه السرق وقد كان يصح هذا المعنى لو قال على مال له مسروق حتى يكون يعطى ماله اختيارا بجوده ويغضى اذا سرق منه لكرمه ومن خطائه قوله

لو يعلم العافون كم لك فى الندى من لذة وقريحة لم تحمد

ويروى فى لذة أو من فرجة أى من لذة وافتراح أى ابتداع واستخراج وهذا عندى غلط لان هذا الوصف الذى وصفه داعية أن يتناهى الحامد له فى الحمد ويجتهد فى الثنا بأن يدع حمده وانما ذهب الى أن الانسان انما يحمد على الشىء الذى يتكلفه ويتجشمه ويتحمل المشقة فيه لا على الشىء الذى له بواعث شهوة من نفسه وشدة صبابة

اليه ومحبة لفعله ومن كان غرامه بالجود هذا الغرام فعلى ذلك يجب أن يحمد ويمدح فاما قول البحترى

ولقد أبدت الحمد حتى لو بنت كفاك مجدا ثانيا لم تحمد

فذهب صحيح يريد أنك قد أفنيت الاوصاف والمحامد فان جئت بنوع من المكارم تبنى به مجدا آخر لم يقدر من يحمدك ويثنى عليك على أكثر مما تقدم ومن خطائه قوله

تناول الفوت أيدى الموت قادرة اذا تناول سيفا منهم بطل

قوله تناولت الفوت أيدى الموت عويص من عويصاته وهذا أيضا محال وانما سمع قوله سعد بن مالك

هيهات حال الموت دون الفوت وانتضى السلاح

والفوت هو النجاة أى حال الموت دون النجاة وهذا صحيح مستقيم فقال هو تناول الفوت أيدى الموت وهذا محال لان النجاة لا تتناولها يد الموت ولا تصل اليها والا لم تكن نجاة وهذا من تعقده الذى يخرجه الى الخطأ وانما قصد الى ازدواج الكلام فى الفوت والموت ولم يتأمل المعنى والوجه الصحيح قول البحترى

تتدانى الآجال ضربا وطعنا حين يدنو فيشهد الهيجاء

ومن خطائه قوله

واكتسمت ضمر الجياد المذاكى من لباس الهيجا دما وحميما

فهى بكر تلوكها الحرب فيه وهى مقورة تلوك الشكيما

فهذا معنى قبيح جد ان جعل الحرب تلوك الخيل من أجل قوله تلوك الشكيما وتلوك الشكيما أيضا ههنا خطأ لان الخيل لا تلوك الشكيم فى المكر وحومة الحرب وانما تفعل ذلك واقفة لا مكر لها فان قيل انما أراد أن الحرب تلوكها كما تلوك هى الشكيم قيل هذا تشبيه وليس فى لفظ البيت عليه دليل والفاظ التشبيه معروفة وانما طرح أبا تمام فى هذا قلة خبره بأمر الخيل الا ترى الى قول النابغة

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

والصيام ههنا القيام أى خيل واقفة مستغنى عنها لكثرة خيلهم فهى واقفة وخيل

تحت العجاج فى الحرب وحيل تعلك اللجاقد اسرجت والجمت واعدت للحرب والشاعر الحصينى كان احذق من أبى تمام واعلم بامر الخيل قال

واذ احتبى قربوسه بعنانه ‌ ‌ ‌ ‌ علك الشكيم الى انصراف الزائر

الافتى رأى فرسا يجرى وهو يلوك شكيمه فاما قول انس ابن الريان

اقود الجياد الى عامر ‌ ‌ ‌ ‌ عوالك لجم تمج الدماء

فان القود قد يكون فى خلاله تلبث وتوقف تلوك فيه الخيل لجمها والمكر لا يستقيم ذلك فيه فاماقول ابى حزنة التميمى

خاض الردى فى العدى قدما عنصله ‌ ‌ ‌ ‌ والخيل تعلك ثن الموت باللجم

فانما جعل ثن الموت مثلا والثن حطام النبات اليابس ولم يرد أن الخيل تعلك اللجم على الحقيقة ومن خطائه قوله

والحرب تركب رأسها فى مشهد ‌ ‌ ‌ ‌ عدل السفيه به بالف حليم

فى ساعة لو أن لقمانا بها ‌ ‌ ‌ ‌ وهو الحكيم لكان غير حكيم

جثمت طيور الموت فى أوكارها ‌ ‌ ‌ ‌ فتركن طير العقل غير جثوم

فالبيتان الاولان جيدان وقوله جثمت طيور الموت فى أوكارها بيت ردىء فى القسمة ردىء فى المعنى لانه جعل طير الموت فى أوكارها جاثمة أى ساكنة لا ينفرها شىء وطير العقل غير جثوم يعنى أنها نفرت فطارت يريد طيران عقولهم من شدة الروع وما كان ينبغى أن يجعل طير الموت جثوما فى أوكارها وانما كان الوجه أن يجعلها جاثمة على رؤوسهم أو واقعة عليهم فاما أن تكون جاثمة فى أوكارها فانها فى السلم أو فى الامن جاثمة فى أوكارها أيضا وطير العقل ليست بضد لطير الموت وانما هى ضد لطير الجهل وطير الحيوة هى الضد لطير الموت ولو كان قال

جثمت طيور الموت فوق رؤوسهم ‌ ‌ ‌ ‌ فتركن أطيار الحيوة تحوم

لكان أشبه واليق أو لو قال

سقطت طيور الموت فوق رؤوسهم ‌ ‌ ‌ ‌ فتركن أطيار العقول تحوم

لكان أيضا قريبا من الصواب لانهم يقولون طار عقله من الروع فاذا ثاب اليه عقله وسكن قيل قد افرخ روعه وهذا مثل وذلك ان الطائر اذا افرخ لزم عشه وفراخه وقد يجوز

أن يكون فرخ روعه أى ذهب لان الطائر اذا أفرخ فطارت فراخه انتقل عن ذلك العش وقولهم جثم الطائر انما هو ان يلصق جثمانه بالارض يذهب الى ان طيور الموت ساكنة وطيور العقل منزعجة طائرة وقولهم غير جثوم لاينوب مناب طائرة ولا منزعجة لان الطائر قد يكون جاثما وقد يكون قائما على رجليه ساكنا مطمئنا وهذه حاله فى أكثر أوقاته فقد حمل المعنى على لفظ لايليق به ولا يؤدى التأدية الصحيحة عنه

ومن خطائه قوله فى وصف الفرس

مامقرب يختال فى اشطانه ملآن من صلف به وتلهوف

قوله ملآن من صلف يريد التيه والكبر وهذا مذهب العامة فى هذه اللفظة فاما العرب فانها لا تستعملها على هذا المعنى وانما تقول قد صلفت المرأة عند زوجها اذا لم تحظ عنده وصلف الرجل كذلك اذا كانت زوجته تكرهه وقال جرير

انى أواصل من أردت وصاله بحبال لا صلف ولا لوام

والصلف الذى لاخير عنده ومثل يضرب رب صلف تحت الراعدة يعنون الرعد بغير مطر فهذا معنى الصلف فى كلامهم وعلى هذا قد ذم ابو تمام الفرس من حيث أراد أن يمدحه والتلهوف هو لطف المداراة والحيلة بالقول وغيره حتى يبلغ الحاجة ومنه قول الاغلب العجلى يصف مدارة رجل له امرأة حتى نال منها

فلم يزل بالحلف النجى لها وبالتلهوف الخفى

ان قد خلونا بفضاء فى وغلب كل نفس محشى

وقد ذكر ابو عبيدة القاسم فى الغريب المصنف فى أول نوادر الاسماء التلهوف وقال وهو مثل التملاق وما أرى أبا تمام فى وضع هاتين اللفظتين الا غالطا

وقال ابو تمام

عطفوا الخدور على البدور ووكلوا ظلم الستور بنور حور خرد

وثنوا على وشى الخدود صيانة وشى البرود بمسجف وممهد

البيت الاول حسن حلو وأخذ قوله وثنوا على وشى الخدود صيانة وشى البرود من قول الكميت

وأرخين البرود على خدود يزين الفراعم بالاسيل

وقوله بمسجف وممهد فالمسجف يريد ستر باب الحجله وكل باب مشقوق فكل ستر منها

سجف و كذلك سجف الخباء و المسجف المرخى و التسجيف ارخاء السجفين وقوله بمسجف أى من مسجف وممهد فجعل الباء فى موضع من كما قال عنترة

شربت بماء الدحرضين فاصبحت زوراء تنفذ عن حياض الديلم

أى من ماء الدحرضين والممهد الوطاء الذى يوطأ تحت المرأة فكيف يكون ذلك مشرفا على السجف الذى ذكر أنهم ثنوه على وشى الخدود والممهد ليس هذه حاله فيعطفه عليه فان قيل كيف لا يكون محمولا على قول الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى متقلدا سيفا ورمحا

والرمح لا يتقلد وقول الآخر وزججن الحواجب والعيونا والعيون لا تزجج وانهما أراد ذلك متقلدا سيفا وحاملا رمحا وأراد هذا وزججن الحواجب وكحلن العيونا قيل متقلد السيف هو حامله أيضا فحسن أن يعطف على السيف لانهما جميعا محمولان وكذلك زججن وكحلن هما جميعا زينة فحسن أن يعطف احدهما على الآخر والممهد لا يشترك الستر فى شىء من تغطية الوجه ولا صيانته ولا بنيت الفاظ البيت الا على ستر الخدود بالستور ولا يتعلق الممهد بالمعنى باضمار لفظ ولا غيره ومن خطائه قوله

بقاعية تجرى علينا كؤوسها فتبدى الذى نخفى وتخفى الذى يبدى

ذهب فى هذا الى أن الخمر تخفى الذى نبديه فى حال الصحو من الحلم والوقار والكف عن الهزل واللعب وتبدى الذى نخفى أى الذى نعتقده ونكتمه من ضد ذلك كله لانه فى الطبيعة والغريزة والذى كنا نظهره انما هو تصنع وتكلف ويدخل فى هذا ما يبوح به المحب من الحب الذى كان يكتمه فى صحوه ويظهر ضده أو ما يبوح به من بغض زيد وكان يظهر فى صحوه مودته ومنافعته وكذلك ما يظهر السكر من بخل البخيل ومنع ما كان يتحمله ببذله فى الصحو أو ما يظهر من السماحة التى كان لا يسمح بمثلها فى صحوه خوف العاقبة ونحو هذا وما سقط من قول الحكماء أن الشراب يثير كل ما وجد أى يظهر كل ما فى النفس من خير وشر وحسن وقبيح فكل شىء يظهره الانسان وليس فى اعتقاده ولا نيته فان الذى يضمره ويكتمه فى نفسه فهو ضده فاذا اظهر السكر اعتقاد المعتقد الذى هو الصحيح فان ضده مما كان يتجمل باظهاره يبطل ويتلاشى لان الشراب يخفيه ويطويه فى الضمير حتى يكون مكتوما كما كانت الحقيقة مكتومة هذا محال لان القلب هو محل المعتقدات فلا يجوز أن يجتمع فيها الشىء وضده والاعتقادات لا تكون باللسان لان اللسان يكذب القلب لا يتضمن الا الحقيقة وقول أبى تمام فتبدى الذى نخفى قول صحيح وقوله وتخفى

الذى نبدى اللفظ فاسد لان تخفى معناه تكتم وتستر والذى قد أبطلته وأزلته لا يجوز أن يعبر عنه بانك أخفيته ولا كتمته فان قيل ولم لا يكون هذا توسعا ومجازا قيل المجاز فى مثل هذا لا يكون لأن الشىء الذى تكتمه وتطويه انما أنت خازن له وحافظ فهو ضد للشىء الذى تزيله وتبطله والاضداد لا يستعمل أحدهما فى موضع الآخر الا على سبيل المجاز

ومن خطائه قوله فى وصف فرس

وبشعلة نبذ كان فليلها ... فى صهوتيه بدء شيب المفرق

قوله فليلها يريد ماتفرق منه فى صهوتيه والصهوة موضع اللبد وهو مقعد الفارس من الفرس وذلك الموضع أبدا ينحت شعره لغمز السرج اياه فينبت أبيض لان الجلد ههنا يرق وأنت تراه فى الخيل كلها على اختلاف شياتها وليس بالبياض المحمود ولا الحسن ولا الجميل فهذا خطأ من هذا الوجه وهو خطأ من وجه آخر وهو أن جعله شعلة والشعلة لا تكون الا فى الناصية أو الذنب وهو أن يبيض عرضها و ناحية منها فيقال فرس أشعل وشعلا وذلك عيب من عيوب الخيل فان كان ظهر الفرس أبيض خلقة فهو أرحل ولا يقال أشعل وقد أخذ البحترى قوله بدء مشيب المفرق فجاء به حسنا جدا ثم سلم من العيب فقال

وبشعلة كالشيب مر بمفرق ... غزال لها عن شيبه بغرامه

فقال بشعلة ولم ينص على موضعها ومعلوم أنه أراد بياضا فى الناصية وقال مر بمفرق غزل فاوضح أنه ذلك الموضع أراد وقال لها عن شيبه بغرامه فاتى بشىء يفوق كل حسن الا أن البياض فى الناصية من عيوب الخيل وكذلك البياض فى الذنب ليس بين الناس فى ذلك اختلاف ويقال لبياض الناصية أيضا السعف وأيضا فان البحترى وصف فرسا أدهم فقال

جذلان تلطمه جوانب غرة ... جاءت مجىء البدر عند تمامه

فأى حسن يكون لبياض ناصية على بياض غرة ومن قبيح وصف شيات الخيل قول أبى تمام فى هذا الفرس أيضا

مسود شطر مثل ما اسود الدجى ... مبيض شطر كابيضاض المهرق

شطر الشىء جانبه وناحيته قال الله عز وجل فول وجهك شطر المسجد الحرام أى

ناحيته وقد يراد بالشطر نصف الشيء يقال قد شاطرتك مالى أى ناصفتك فهذا وهو الاكثر الاعم فيما يستعملون وذلك من أقبح شيات الابلق على ظاهر هذا المعنى ولم يرده أبو تمام وانما أراد بالشطر ههنا البعض او الجزء أى مسود جزء مبيض جزء فجاء بالشطر لانها لفظة أحسن من الجزء ومن البعض فى هذا الموضع والجيد النادر قول البحترى

اوابلق يلقى العيون اذا بدا   من كل لون معجب بنموذج

وقد جعله ابو تمام فى أول الابيات اشعل بقوله بشعلة ثم جعله هنا ابلق فهذا الفرس هو الاشعل الابلق على مذهبه فى هذا التشبيه ولا ينكر مثل هذا من ابتداعاته

قال ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى قد ذكرت فى الجزء الثانى من الموازنة بين شعر أبى تمام حبيب بن اوس الطائى وشعر أبى عبادة الوليد بن عبيد البحترى وخطا أبى تمام فى الالفاظ والمعانى وبيضت آخر الجزء لا لحق به ما يمر من ذلك فى شعره واستدركه من بعد فى قصائده وانا أذكر فى هذا الجزء الرذل من الفاظه والساقط من معانيه والقبيح من استعاراته والمستكره المتعقد من نسجه ونظمه على ما رأيت فى أشعار المتأخرين يتذاكرونه وينعونه عليه ويعيبونه وعلى انى وجدت لبعض ذلك نظائر فى أشعار المتقدمين فعلمت أنه بذلك اغتر وعليه فى العذر اعتمد طلبا منه للاغراق والابداع وميلا الى وحشى المعانى والالفاظ وانما كان يندر من هذه الانواع المستكرهة على لسان الشاعر المحسن البيت أو البيتان يتجاوز له عن ذلك لان الاعرابى لا يقول الا على قريحته ولا يعتصم الا بخاطره ولا يستقى الا من قلبه وأما المتأخر الذى يطبع على قوالب ويحذو على أمثلة ويتعلم الشعر تعلما او يأخذه تلقنا فمن شأنه أن يتجنب المذموم ولا يتبع من تقدمه الا فيما استحسن منهم واستجيد لهم واختير من كلامهم أو فى المتوسط السالم اذا لم يقدر على الجيد البارع ولا يوقع الاحتطاب والاستكثار مما جاء منهم نادرا او من معانيهم شاذا او يجعله حجة له وعذرا فان الشاعر قد يعاب أشد العيب اذا قصد بالصنعة سائر شعره وبالابداع جميع فنونه فان مجاهدة الطبع ومغالبة القريحة مخرجة سهل التأليف الى سوء التكلف وشدة التعمل كما عيب صالح بن عبد القدوس وغيره ممن سلك هذه الطريقة حتى سقط شعره لان لكل شىء حدا اذا تجاوزه المتجاوز سمى مفرطا وما وقع الافراط فى شىء الا شانه وأعاد الى الفساد صحته والى القبيح حسنه وبهاءه فكيف اذا تتبع الشاعر ما لا طائل فيه من لفظة شنيعة لمتقدم أو معنى وحشى فجعله اماما واستكثر من أشباهه ووشح شعره بنظائره ان هذا العين الخطأ وغاية فى سوء الاختيار

﴿باب مافى شعر أبى تمام من قبيح الاستعارات﴾

فمن مرذول الفاظه وقبيح استعاراته قوله

يادهر قوم من أخدعيك فقد　　اضججت هذا الانام من خرقك

وقال

سأشكر فرجة اللبب الرحى　　ولين أخادع الدهر الابى

وقال

فضربت الشتاء فى أخدعيه　　ضربة غادرته عودا ركوبا

وقال

تروح علينا كل يوم وتغدى　　خطوب كأن الدهر منهن يصرع

وقال

الا لايمد الدهر كفا لسىء　　الى مجتدى نصر فتقطع من الزند

وقال

والدهر الأم من شرقت بلؤمه　　الااذا اشرقته بكريم

وقال

تحملت مالو حمل الدهر شطره　　لفكر دهر أى عبأيه اثقل

وقوله يصف قصيدة

يحل يفاع المجد حتى كأنه　　على كل رأس من يد المجد معفر

لها بين أبواب الملوك مزامر　　من الذكر لم تنفخ ولاهى تزمر

وقوله

به أسلم المعروف بالشام بعدما　　ثوى منذ أودى خالد وهو مرقد

اما وأبى احداثه ان حادثا　　حدى بى عنك العيس للحادث الوغد

وقوله

جذبت نداه غدوة السبت جذبة　　فخر صريعا بين أيدى القصائد

وقوله

لولم تفت مسن المجد مذ زمن　　بالجود والباس كان الجود قد خرفا

وقوله

لدى ملك من ايكة الجود لم يزل　　على كبد المعروف من فعله برد

وقوله

فى علة أوقدت على كبد النا　　ئل ناراً أخنت على كبدة

وقوله

حتى اذا اسود الزمان توضحوا　　فيـه فغودر وهو فيهـم أبلق

وقوله

ايثار شزر القوى رأى جسد المعروف أولى بالطب من جسده

وقوله

وماذكر الدهر العبوس بانه　　له ابن كيوم السبت الا تبسما

وقوله

وكم احرزت منكم على قبح قدها　　صروف النوى من مرهف حسن القد

وقوله يصف الأرض

اذا الغيث غادى نسجها خلت أنه　　مضت حقبة حرس له وهو حايك

وقوله

ولا اجتذبت فرش من الارض تحتكم　　هى المثل فى لين بها والا رايك

وقوله

اذاً للبستم عار دهر كأنما　　لياليه من بين الليالى عوارك

وقوله يرثى غالباً

انزلته الايام عن ظهرها من　　بعد اثبات رجله فى الركاب

وقوله

كانـنى حـين جردت الرجاء له　　غضا صببت لهما ماء على لزمن

وقوله يصف فرساً

فكان فارسه يصرف اذ بدا ... فى متنه ابنا للصباح الابلق

وأشباه هذا مما اذا تتبعته فى شعره تجعل كاترى مع غثاثة هذه الألفاظ للدهر أخدعا ويداً تقطع من الزند وكأنه يصرع ويحل ويشرق بالكرام ويتبسم وان الايام تنزله والزمان أبلق وجعل للمدح يداً ولقصائده مزامر الا أنها لا تنفخ ولا تزمر وجعل المعروف مسلماً تارة ومرتداً أخرى والحادث وغداً وجذب ندى الممدوح بزعمه جذبة حتى خر صريعاً بين يدي قصائده وجعل المجد مما يحقد عليه الخوف وان له جسداً وكبداً وجعل لصروف النوى قداً وللامن فرشاً وظن أن الغيث كان دهراً حايكاً وجعل للايام ظهراً يركب والليالى كأنها عوارك والزمان كأنه صب عليه ماء والفرس كانه ابن الزمان الابلق وهذه استعارات فى غاية القباحة والهجانة والبعد من الصواب وانما استعارت العرب المعنى لما ليس له اذ كان يقاربه أو يدانيه أو يشبهه فى بعض أحواله أو كان سبباً من أسبابه فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذى استعيرت له وملائمة لمعناه نحو قول امرىء القيس

فقلت لها لما تمطى بجوزه ... واردف اعجازا وناء بكلكل

وقد عاب امرؤ القيس بهذا المعنى من لم يعرف موضوعات المعانى ولا المجازات وهو فى غاية الحسن والجودة والصحة وهو انما قصد وصف أجزاء الليل الطويل فذكر امتداد وسطه وتثاقل صدره للذهاب والانبعاث وترادف أعجازه وأواخره شيئاً فشيئاً وهذا عندي منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته وذلك أشد ما يكون على من يراعيه ويترقب تصرمه فلما جعل له وسطاً يمتد واعجازاً رادفة للوسط وصدراً متثاقلا فى نهوضه حسن أن يستعير للوسط اسم الصلب وجعله متمطياً من أجل امتداده لان تمطى وتمدد بمنزلة واحدة وصلح أن يستعير للصدر اسم الكلكل من أجل نهوضه وهذه أقرب الاستعارات من الحقيقة وأشد ملائمة لمعناها لما استعيرت له وكذلك قول زهير . وعرى أفراس الصبا ورواحله . لما كان من شأن ذى الصبا أن يوصف أبداً بأن يقال ركب هواه وجرى فى ميدانه وجمح فى عنانه ونحو هذا حسن أن يستعار للصبا اسم الافراس وأن يجعل النزوع عنه ان تعرى أفراسه ورواحله وكانت هذه الاستعارة أيضاً من أليق شيء بما استعيرت له ونحو ذلك قول طفيل الغنوى

وجعلت كورى فوق ناجية يقتات شحم سنامها الرحل

لما كان شحم السنام من الاشياء التى تقتات وكان الرحل ابدا يتحوفه وينتقص منه ويذيبه كان جعله اياه قوتا للرحل من أحسن الاستعارات وأليقها بالمعنى وكذلك قول عمرو بن كلثوم

الا أبلغ النعمان عنى رسالة فمجدك حولى ولؤمك قارح

لما جعل مجده حديثا غير قديم حسن أن يقول حولى لان العرب اذا نسبت الشيء الى الصغر وقصر المدة قالوا حولى لان أقل عدد الاحوال وهى السنون حول واحد ولهذا قال حسان

لو يدب الحولى من ولد الذر عليها لاندبتها الكلوم

لم يرد بالحول من ولد الذر ما أتى عليه الحول ولكنه أراد بالحولى أصغر ما يكون من الذر وانما أخذ ذلك من قول امرىء القيس

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا

ومما يدل على صحة هذا المعنى وأن الحولى انما يراد به الصغر دون معنى الحول قول الراجز واستبقت تحذب حول الحصى فاراد بحول الحصى اصغره وقول الآخر انشده ثعلب

تلقط حولى الحصى فى منازل من الحى أضحت بالحيين بلقعا

ولما جعل لؤمه قديما حسن أن يقول قارح ونحو ذلك قول أبى ذؤيب

واذا المنية انشبت أظفارها الفيت كل تميمة لا تنفع

لما كانت المنية اذا انزلت بالانسان وخالطته صح أن يقال نشبت فيه وصح أن يستعار لها اسم الاظفار لأن النشوب قد يكون بالظفر وعلى هذا جاءت الاستعارات فى كتاب الله تعالى اسمه نحو قوله عز وجل واشتعل الرأس شيبا لما كان الشيب يأخذ فى الرأس ويسعى فيه شيئا فشيئا حتى يحيله إلى غير حالة الاولى كالنار التى تشتعل فى الجسم من الاجسام فتحيله الى النقصان والاحتراق وكذلك قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار لما كان انسلاخ الشيء من الشيء وهو أن يتبرأ منه حالا فحالا كالجلد من اللحم وما شاكلها جعل انفصال النهار عن الليل شيئا فشيئا حتى يتكامل الظلام انسلاخا وكذلك قوله عز وجل فصب عليهم ربك سوط عذاب لما كان الضرب بالسوط من العذاب استعير للعذاب سوط فهذا مجرى الاستعارات فى كلام العرب وأما قول أبى تمام ولين اخادع الزمن الأبى

فای حاجة الى الاخادع حتى يستعيرها للزمن وكان يمكنه أن يقول ولين معاطف الدهر الابى اولين جوانب الدهر أو خلايق الدهر كما تقول فلان سهل الخلايق لين الجوانب وموطأ الاكناف ولان الدهر قد يكون سهلا وحزنا ولينا وصبا على قدر تصرف الاحوال فيه لان هذه ألفاظ كانت أولى بالاستعمال فى هذا الموضع وكانت تنوب عن المعنى الذى قصده ويتخلص من قبح الاخادع فان فى الكلام متسعا ألا ترى الى قوله ما أحسنه وما أوضحه

لیالی نحن فی وسنات عیش   كان الدهر عنا فی وثاق
وأيام لنا وله لدان   غنينا فی حواشيها الرقاق

فاستعار للايام الحواشى وقوله

أيامنا مصقولة أطرافها   بك والليالى كلها أسحار

وابلغ من هذا وابعد عن التكلف وأشبه بكلام العرب قوله

سكن الزمان فلا بد مذمومه   للحادثات ولا سوام تذعر

فقد تراه كيف يخلط الحسن بالقبيح والجيد بالرديء واعاقرب الاخادع لما جاء به مستعارا للدهر ولو جاء به فى غير هذا الموضع أو أتى به حقيقة ووضعه فى موضعه ماقبح نحو قول البحترى

واعتقت من ذل المطامع اخدعى

ونحو قوله

ولا مالت بأخدعك الضباع   ومايزيد على كل جيد قول الفرزدق

وكنا اذا الجبار صعر خده   ضربناه حتى تستقيم الاخادع

فأما قوله

فضربت الشتاء فى اخدعيه   فان ذكر الاخدعين على قبحهما اسوغ

لانه قال ضربة غادرية عودا ركوبا وذلك أن العود المسن من الابل ضرب على صفحتى عنقه فبذل فقربت الاستعار ههنا من الصواب قليلا ومن القبيح فى هذا قوله

يادهر قوم من اخدعيك فقد   اضججت هذا الانام من خرقك

أى ضرورة دعته لى الاخدعين وكان يمكنه أن يقول من أعوجاجك أوقوم من

تعوج صنعك أي يادهر أحسن بنا الصنيع لان الاخرق هو الذى لا يحسن العمل وضده الصنع وكذلك قوله

تحملت مالو حمل الدهر شطره ... لفكر دهر أى عبأيه أثقل

فجعل للدهر عقلا وجعله متفكراً فى أى العبأين أثقل وما معنى أبعد من الصواب من هذه الاستعارة وكان الاشبه والاليق بهذا المعنى لما قال تحملت مالو حمل الدهر شطره أن يقول لتضعضع أو لانهد أو لامن الناس صروفه ونوازله ونحو هذا مما يعتمده أهل المعانى فى البلاغة والافراط وانما رأى أبو تمام أشياء يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقة فى أشعار القدماء كما عرفتك لا تنتهى فى البعد الى هذه المنزلة فاحتذاها وأحب الابداع والاغراق فى ايراد أمثالها واحتطب واستكثر منها فمن ذلك قول ذى الرمة

تيمن يافوخ الدجا فصدعنه ... وجوز الفلا صدع السيوف القواطع

فجعل للدجى يافوخا وقول تابط شرا

نحز رقابهم حتى نزعنا ... وانف الموت منخره رثيم

فجعل للموت انفا وقول ذى الرمة

يعز ضعاف القوم عزة نفسه ... ويقطع أنف الكبرياء عن الكبر

فجعل للكبرياء انفا وقال معقل بن خويلد الهذلى أو غيره

نخاصم قوما لا نلقى جوابهم ... وقد اخذت من أنف لحيتك اليد

فجعل للحية انفا أى قبضت يدك على طرف لحيتك كما يفعل النادم أو المهموم وما أظن ذا الرمة أراد الانف الا أول الشىء والمتقدم منه كما قال يصف الحمار

اذا شم أنف الضيف الحق بطنه ... مراس الاواسى وامتحان الكرائم

قال ابو العباس عبد الله بن المعتز فى كتاب سرقات الشعراء وهذا البيت غر الطائى حتى أتى بما أتى به وانما أراد ذو الرمة بقوله أنف الضيف كقولهم أنف النهار أى أوله قال امرؤ القيس

قد عدا يحملنى فى أنفه ... لاحق الاصلين محبوك ممر

وقوله فى أنفه أى فى أول جريه واشده ويقال فى أنفه وفى أنف الغيث الذى ذكره فى أوله يقول لم يطأ هذا الغيث أحد قبلى ولم يذهب هذا الشاعر حيث ذهب ابو العباس

وكذلك قول اعرابي يصف البرق

اذا شم انف الليل أو مض وسطه　　سنا كابتسام العامرية شاغف

انما أراد اذا شتم أول الليل وقال آخر انشدباه الاخفش عن تعلب يذم رجلا

مازال مذموما على أست الدهر　　ذا حسد ينمي وعقل يجرى

فجعل للدهر استا وقول شاتم الدهر وهو أحد شعراء عبد القيس

ولما رأيت الدهر وعرا سبيله　　وابدى لنا ظهرا اجب مسلما

ومعرفة حصاء غير سغاصنة　　عليه ولونا ذا عثانين اجمعا

وحبهة فرد كالشراك ضئيلة　　صعر خديه وانفا مجدعا

فجعل للدهر ظهرا اجب ومعرفة حصاء ولونا ذا عثانين وشبه جبهته بجبهة قرد وجعل أنفه أنفا مجدعا وهذا الاعرابي انما ملح بهذه الاستعارات فى هجائه للدهر وجاربها هازيا ومثل هذا كلامهم قليل جدا ليس مما يعتمد ويجعل أصلا يحتذى عليه ويستكثر منه ومن ردىء استعاراته وقبيحها وفاسدها قوله

لم تسق بعد الهوى ماء أقل قذى　　من ماء قافية يسقيكه فهم

فجعل للقافية ماء على الاستعارة فلو أراد الرونق لصلح ولكنه قال يسقيكه فبئس معنى الرونق لانك اذا قلت هذا ثوب له ماء لم يجعل الماء مشروبا فتقول ماشربت ماء أعذب من ماء ثوب شربته عند فلان ورأيته على فلان الملك وكذلك لاتقول ماشربت ماء أعذب من ماء قفانبك أو أعذب من ماء كذا لان للاستعارة حدا تصلح فيه فاذا جاوزته فسدت وقبحت فاما قولهم فلان حلو الكلام وعذب المنطق أو كان الفاظه فتات السكر فهذا كلام الناس على هذه السياقة وليس يريدون حلاوة على اللسان ولا عذوبة فى الفم وانما يريدون عذبا فى النفوس وحلوا فى القلوب كما قال

يستنبط الروح اللطيف نسيمها　　ارجا وتوكل بالضمير وتشرب

وكذلك قولهم حلو المنظر انما يريدون حلاوه فى العين ولاتقول ماذقت احلى من كلام فلان ولا شربت أعذب من الفاظ عمرو ولان هذا القول صبغة الحقيقة لا الاستعارة ولكن يقال هذا كلام يصلح أن ينتقل به وزيد يشرب من الماء لحسن

أخلاقه وحلاوته وعمرو ويوكل ويشرب لرقة طبعه ولا تقول ما شربت أعذب من عمرو ولا ما أكلت أحلى من عبدالله فاعلم هذا فان حدود الاستعارة معلومة فاما قوله

لمكاسر الحسن بن وهب أطيب ... وأمر فى حنك الحسود وأعذب

فالمكاسر الاخلاق وانما أراد أمر فى حنك العدو اذا نطق بها أو امرفى حنكه أن يذكرها أو يخبر بها وأعذب فى حنك وليه ووديده اذا ستر ها وكما قال زهير

تلجلج مضغة فيها أنيض ... أصلت فهى تحت الكشح داء

لانه أراد كلمة فصلح أن يقول أنيض أى لم ينضج وأصلت تغيرت وانتنت وكذلك لما جعلها مضغة أى لقمة فى فيه فهذا طريق الاستعارة فيما يصلح ويفسد فتفهمه فانه واضح واما قوله

لا تسقنى ماء الملام فاننى ... صب قد استعذبت ماء بكائى

فقد عيب وليس بعيب عندى لانه لما أراد أن يقول قد استعذبت ماء بكائى جعل للملام ماء ليقابل ما أراد وان لم يكن للملام ماء على الحقيقة كما قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم أن الثانية ليست بسيئة وانما هى جزاء عن السيئة وكذلك أن تسخروا منا فانا نسخر منكم والفعل الثانى ليس بسخرية ومثل هذا فى الشعر والكلام كثير مستعمل فلما كان مجرى العادة أن يقول قائل أغلظت لفلان القول وجرعته منه كاسا مرة وسقيته منه أمر من العلقم وكان الملام مما يستعمل فيه التجرع على الاستعارة جعل له ماء على الاستعارة ومثل هذا كثير موجود وقد احتج محتج لابى تمام فى هذا بقول ذو الرمة

ادارا بحزوى هجت للعين عبرة ... فماء الهوى يرفض أو يترقرق

وقول الآخر وكاس سباها التجر من أرض بابل * كرقة ماء العين فى الاعين التجل

وهذا لا يشبه ماء الملام لان ماء الملام استعارة وماء الهوى ليس باستعارة لان الهوى يبكى فتلك الدموع هى ماء الهوى على الحقيقة وكذلك البين يبكى فتلك الدموع هى ماء البين على الحقيقة فان قيل فان أبا تمام أبكاه الملام والملام قد يبكى على الحقيقة فتلك الدموع هى ماء الملام على الحقيقة قيل لو أراد أبو تمام ذلك لما قال قد استعذبت ماء بكائى لانه لو بكى من الملام لكان ماء الملام هو ماء بكاء أيضا ولم يكن يستعفى منه ومن ردىء استعاراته وقبيحها قوله

مقصر الخطوات البث فى بدنى   علما بانى ما قصرت فى الطلب

فجعل للبث وهو أشد الحزن خطوات فى بدنه وأنه قدقصرها لانه ما قصر فى الطلب وهذامن وساوسه المحكمة وانما أراد به قدسهل أمر الحزن عليه أنه ما قصر فى الطلب لانه لوقصر كان يأسف ويشتد جزعه فجعل للحزن خطى فى بدنه قصيرة لما جعله سهلا خفيفا وهذا ضد المعنى الذى أراد لان الخطى اذا طالت يجوز أن يقع قلبه وكبده بين تلك الخطى الطويلة فلا يمسهما من البث وهو الحزن قليل ولا كثير فان قيل انما أراد أن الحزن هو فى قلبه خاصة وان قوله فى بدنى أى فى قلبى لان قلبه فى بدنه قيل الامر واحد فى أن الخطى اذا طالت على الشىء قلبه كان أو ما سواه أخذت منه أقل مما تأخذ اذا قصرت فان قيل أراد بطول الخطى الكثرة و بقصرها القلة قيل هذا غلط من التأويل وليس العمل على ارادته وانما العمل على توجيه معانى الفاظه و بعد فان من أعجب العجب خطوات البث فى البدن ومن ردىء استعاراته وقبيحها قوله

جارى اليه البين وصل خريدة   ماشت اليه المطل مشى الا كبد

الهاء فى اليه راجعة الى المحب يريد أن البين ووصل الخريدة تجاريا اليه فكانه أراد أن يقول أن البين حال بينه و بين وصلها واقتطعها عن أن تصله واشباه هذا من اللفظ المستعمل الجارى فعدل الى أن جعل البين والوصل جاريا اليه وأن الوصل فى تقديره جرى اليه يريده فجرى البين ليمنعه فجعلهما متجاريين ثم أتى بالمصراع الثانى بنحو من هذا التخليط فقال ماشت اليه المطل مشى الا كبد فالهاء هنا راجعة الى الوصل أى لما عزمت على أن تصله عزمت عزم متثاقل مماطل فجعل عزمها مشيا وجعل المطل مماشيا لها فيامعشر الشعراء والبلغاء ويا أهل اللغة العربية خبرونا كيف يجارى البين وصلها وكيف تماشى هى مطلها ألا تسمعون ألا تضحكون وانشد أبو العباس بن المعتز فى كتاب سرقات الشعراء لسلم الخاسر يعيبه بردى الاستعارة فى قوله يرثى موسى الهادى

لولا المقابر ماخط الزمان به   لا بل تولى بانف كلمه داى

وقال هذا ردىء كانه من شعر أبى تمام الطائى ولو لم يكن لابى تمام من ردىء الاستعارة الا مثل استعارة سلم هذه أو نحوها ونعوذ بالله من حرمان التوفيق

(ما جاء فى شعر أبى تمام من قبيح التجنيس)

ورأى أبو تمام أيضا المجانس من الالفاظ شرفا فى اشعار الاوائل وهو ما اشتق بعضه من بعض نحو قول امرىء القيس

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسني من دائه ما تلبسا

وقوله أيضا

ولكنني أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

وقول القطامى

ولما ردها فى الشول شالت بذيال يكون لها لفاعا

وقول ذى الرمة

كأن البرى والعاج عيجب متونه على عشر نهنى به السيل أبطح

وقول رجل من عبس

ودلكم ان ذل الجار حالفكم وان أنفكم لا يعرف الانفا

وقول مسكين الدارمى

واقطع الخرق بالخرقاء لاهية اذا الكواكب كانت فى الدجى سرجا

وقول حيان بن ربيعة الطائى

لقد علم القبائل أن قومى لهم حد اذا لبس الحديد

وقول النعمان بن بشير لمعاوية

الم تبتدركم يوم بدر سيوفنا ولبلك عما ناب قومك نايم

وقول جرير

فما زال معقولا عقال عن الندى وما زال محبوسا عن الخير حابس

وقول الفرزدق

حفاف أخف الله عنه سحابة وأوسعه من كل ساف وحاصب

وكأن هذين الشاعرين فى تجنيس ماجنسا من هذه الالفاظ وحاجهما اليه يشبه قوله النبي صلى الله عليه وسلم عصية عصت الله وغفار غفر الله لها واسلم سالمها الله ونحو هذا ما تعمد الشعراء لتجنيسه قول جندل بن الراعى

فما عمرت عمرو وقد جد سعيها وما سعدت يوم التقينا بنو سعد

ومن الطف ما جاء من التجنيس وأحسنه فى كلام العرب قول القطامى

كنية الحى من ذى الغبطة احتملوا   مستحقبين فـؤادا ماله فادى

ومثل هذا فى أشعار الاوائل موجود لكن انما يأتى منه فى القصيدة البيت الواحد والبيتان على حسب ما يتفق للشاعر ويحضره فى خاطره وفى الاكثر لا يعتده وربما غرضه وبنى اكثر شعره عليه فلو كان قلل منه واقتصر على مثل قوله

يا ربع لو ربعوا على ابن هموم

وقوله   أرامة كنت مألف كل ريم

وقوله   يا بعد غاية دمع العين ان بعدوا

وأشباه هذا من الالفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى لكان قد أتى بالغرض وتخلص من الهجنة والعيب فأما أن يقول

قرت بقران عين الدين وانشترت   بالاشترين عيون الشرك فاصطلما

فانشتار عيون الشرك فى غاية الغثاثة والقباحـة وأيضاً فان انشتار العين ليس بموجب للاصطلام وقوله

ان من عـق والديه لملعـو   ن ومن عق منزلا بالعقيق

وقوله

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت   فيه الظنون أمذهب أم مدهب

وقوله

خشنت عليه اخت بنى خشـين   فهذا كله تجنيس فى غاية الشناعه

والركاكة والهجانة ولا يزيد زيادة على قبح قوله

فاسلم سلمت من الآفات ما سلمت   سلام سلمى ومهما اورق السلم

فان هذا من كلام المبرسمين وقد عابه أبو العباس عبد الله بن المعتز ببعض هذه الابيات فى كتاب البديع جاء بها فى قبح التجنيس وفى أشعار العرب ما يستكره نحو قول امرىء القيس

وسنا كسنيق سناء وسنما

ولم يعرف الاصمعى هذا وقال ابو عمرو وهو بيت مسجدى أى من عمل أهل المسجد وقال الاصمعى السن الثور ولم يعرف سنيقا ولا سنما ويقال سنيق جبل ويقال اكمة وسنم

ههنا البقرة الوحشية سنله أى ارتفاعا ويروى سنا رأى ارتفاعاً أيضاً من سنمت الجبل علوته وقول الاعشى

شاو شلول مشل شلشل شول ... وهذا عند أهل العم من جنون

الشعر وقرأ هذه القصيدة على أبى الحسن على بن سليمان النحوى قارىء فلما بلغ الى هذا البيت قال أبو الحسن صرع والله الرجل وما زلت أراهم يستكرهون قول ذى الرمة

عصاقس قوس لينها واعتدالها ... ويروى عسطوس وقد قيل أنه الخيزران

وهذا انما جاء عن هؤلاء مقللا نادراً لانك اجتهدت أن ترى لواحد منهم حرفاً واحداً ما وجدته والطائى استفرغ وسعه فى هذا الباب وجد فى هذا الباب وجد فى طلبه واستكثر منه وجعله غرضه فكانت اساءته فيه اكثر من احسانه وصوابه أقل من خطائه (ما يستكره للطائى من المطابق ورأى الطائى الطباق فى أشعار العرب وهو اكثر وأوجد مطابق لمساواة أحد القسمين صاحبه وان تضادا أو اختلفا فى المعنى ألا ترى الى قولهم فى أحد المعنيين اذا لم يشاكل صاحبه ليس هذا طبق هذا وقولهم فى المثل وافق شن طبقه للشىء انما قيل له طبق لمساواته إياه فى المقدار اذا جعل عليه أو عطى به وان اختلف الجنسان قال الله عز وجل لتركبن طبقا عن طبق أى حالا بعد حال ولم يرد تساويهما فى تمثيل المعنى وانما أراد جل وعز وهو أعلم تساويهما فيكم وتغيرهما اياكم عز ورهما عليكم ومنه قول العباس بن عبد المطلب

اذا انقضى عالم بدا طبق ... أى جاءت حال أخرى تتلو الحال الاولى

ومنه طباق الخيل يقال طابق الفرس اذا وقعت قوائم رجليه فى موضع قوائم يديه فى المشى أو العدو وكذلك مشى الكلاب قال الجعدى

طباق الكلاب يطأن المراسا

فهذا حقيقة الطباق انما هو مقابلة الشىء لمثله الذى هو على قدره فسموا المتضادين اذا تقابلا مطابقين ومنه قوله زهير

ليث يعثر يصطاد الرجال اذا ... ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

فطابق بين قوله كذب وبين قوله صدقا وقول طفيل الغنوى يصف فرساً • يصان وهو ليوم الروع مبذول . فطابق بين قوله يصان وبين قول مبذول وقول طرفة ابن العبد بطىء عن الحلى سريع الى الخنا . فطابق بين بطىء وسريع فلو اقتصر الطائى على ما اتفق له هذا الفن من حلو الالفاظ وصحيح المعنى نحو قوله

نثرت فريد مدامع لم تنظم

ونحو قوله جفوف البلى أسرعت فى الغصن الرطب
ونحو قوله

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

وأشباه هذا من جيد أبياته وتجنب مثل قوله

قد لانا كثر ما تريد وبعضه خشن وانى بالنجاح لواثق

وقوله

لعمرى لقد حررت يوم لقيته لو أن القضاء وحده لم يبرد

وقوله

وان خفرت أموال قوم اكفهم من النيل والجدوى فكفاه مقطع

ونحو هذا مما يكثر ان ذكرته ذهب عظيم شعره وسقط اكثر ما عيب عليه منه وهذا باب أعنى المطابق لقب ابو الفرج قدامة بن جعفر فى كتابه المؤلف فى نقد الشعر المتكافى وسمى ضربا من المجانس المطابق وهو أن تأتى الكلمة مثل الكلمة سواء فى تأليفها واتفاق حروفها ويكون معناها مخالفا نحو قول الافوه الاودى

واقطع الهوجل مستأنسا بهوجل عيرانة عنتريس

والهوجل الاول الارض البعيدة والهوجل الثانى الناقة العظيمة الخلق الموثقة وقول أبى داود الايادى

عهدت لها منزلا دارسا والا على الماء يحملن الا

فالآل الاول أعمدة الخيام والآل الثانى ما يرفع الشخوص وقال زياد الاعجم

نبئتهم يستنصرون بكاهل واللؤم فيه كاهل وسنام

وما علمت أن أحدا فعل هذا غير أبى الفرج فانه وان كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات وكانت الالفاظ غير محظورة فانى لم اكن أحب له أن يخالف من تقدمه مثل أبى العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم فى هذه الانواع وألف فيها اذ قد سبقوه الى اللقب وكفوه المؤونة وقد رأيت قوما من البغداديين يسمون هذا النوع المجانس المماثل ويلحقون به الكلمة اذا تكررت وترددت نحو قول جرير

تزود مثل زاد أبيك فينا فنعم الزاد زاد أبيك زادا

وبابه قليل (وهذا باب فى سوء نظمه) وتعقيد الفاظه نسجه ووحشى الفاظه واكثر ما تراه من ذلك فى شعره وتجده أظنه سمع ماروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى زهير بن أبى سلمى لما قال كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتتبع حوشيه ولا يمدح رجلا الا بما فى الرجال فلم يرتض هذا الشعره وأحب أن يستكثر مما ذمه وعابه وقد فسر أهل العلم هذا من قول عمر وذكروا معنى المعاظلة وهى مداخلة الكلام بعضه فى بعض وركوب بعضه لبعض كقولك تعاظل الجراد وتعاظلت الكلاب ونحوها مما يتعلق بعضها ببعض عند الفساد واكثر ما يستعمل فى هذين النوعين وكذلك فسروا حوشى الكلام وهو الذى لا يتكرر فى كلام العرب كثيراً فاذا ورد ورد مستهجناً وقالوا فى معنى قوله وكان لا يمدح الرجل الا بما يكون فى الرجال أرادوا لا يمدح السوقة بما يمدح به الملوك ولا يمدح التجار وأصحاب الصناعات بما يمدح به الصعاليك والابطال وحملة السلاح فان الشاعر اذا فعل ذلك فقد وصف كل فريق بما ليس فيه فذكروا هذه الجمل ثم مثلوا لها أمثلة تزيد ماقاله عمر رضى الله عنه وضوحاً وبياناً الا أبو الفرج قدامة بن جعفر فانه ذكر ذلك فى كتابه المؤلف فى نقد الشعر ومثل له أمثلة فغلط فى امثلة المعاظلة غلطاً قبيحاً وقد ذكرت ذلك فى كتاب بينت فيه جميع ما وقفت عليه من سهوه وغلطه وأنا أذكر ههنا ما اليه قصدت من سائر ما فى شعر أبى تمام من هذه الانواع فانها كثيرة وأورد من كل نوع قليلا فيستدل به على الكثير فأقول أن من المعاظلة التى قد لحظت معنافى الكتاب على قدامة شدة تعليق الشاعر الفاظ البيت بعضها ببعض وان يداخل لفظة من أجل لفظة تشبهها أو تجانسها وان اختل المعنى بعض الاختلال وذلك كقول أبى تمام

خان الصفاء اخ خان الزمان أخا ... عنه فلم يتخون جسمه الكمد

فانظر الى اكثر الفاظ هذا البيت وهى سبع كلمات آخرها قوله عنه ما أشد تشبث بعضها ببعض وما أقبح ما أعتمده من ادخال الفاظ فى البيت من أجل ما يشبهها وهو خان وخان ويتخون وقوله أخ وأخا فاذا تأملت المعنى مع ما أفسده من اللفظ لم تجد له حلاوة ولا فيه كبير فائدة لانه يريد خان الصفاء أخ خان الزمان اخا من أجله اذ لم يتخون جسمه الكمد وكذلك قوله

يا يوم شرد يوم لهوى لهوه ... بصبابتى واذل عز تجلدى

فهذه الألفاظ فى قوله بصبابتى كأنها سلسلة فى شدة تعلق بعضها ببعض وقد كان أيضاً استغنى عن ذكر اليوم فى قوله يوم لهوى لأن التشريد انما هو واقع بلهوه فلو قال يا يوم شرد لهوى لكان أصح فى المعنى من قوله يا يوم شرد يوم لهوى وأقرب

فى اللفظ فجاء باليوم الثانى من أجل اليوم الاول وباللهو الثانى من أجل اللهو الذى قبله ولهو اليــوم أيضا بصبابته هو أيضا من وساوســه وخطائه ولا لفظ أولى بالمعاظلة من هذه الالفاظ ونحو قوله أيضا

يوم افاض جوى اغاض تعزيا خاض الهوى بحرى حجاه المزبد

فجعل اليوم أفاض جوى والجوى أفاض تعزيا والتعزى مرصولا به خاض الهوى الى آخر البيت وهذا غاية مايكون من التعقيد والاستكراه مع أن أفاض وأغاض وخاض الفاظ أوقعها فى غير موضعها وأفعال غير لائقة بفاعلها وان كانت مستعارة لان المستعمل فى هذا أن يقال قد علم ما بفلان من جوى وظهر مايكتمه من هوى وبان عنه العزاء وذهب عنه العزاء والتعزى فأما أن يقال فاض الجوى أو أفيض أو غاض أو أغيض فانه وان احتمل ذلك على سبيل الاستعارة قبيح جداً وكذلك خوض لهوى بحر التعزى معنى فى غاية البعد والهجانة ثم اضطر الى أن قال بحرى حجاه المزبد فوحد المزبد وخفضه وكان وجهه أن يقول المزبدين صفة للبحرين فجعله صفة للحجى ويقال أنه أراد بحرى حجاه المزبد قلبه ودماغه لانهما موطنان للعقل وذلك محتمل الا أنه جعل المزبد وصفا للحجى ولا يوصف العقل بالازباد وانما يوصف به البحر وهذا وان كان يتجاوز فى مثله فانه الى الوجه الاردى عدل به وجنب الطريق عن الوجه الاوضح فاذا تأملت شعره وجدت اكثره مبنيا على مثل هذا وأشباهه وقد ذكرت من هذه الامثلة من شعره مادل على سواها فان قال قائل أن هذا الذى أنكرته وذممته فى الابيات المتقدمة وفى هذا البيت من تشبث الكلام بعضه ببعض وتعلق كل لفظة بما يليها وادخال كلمة من أجل أخرى تشبهها وتجانسها هو المحمود من الكلام وليس من المعاظلة فى شىء ألا ترى أن البلغاء والفصحاء لما وصفوا ما يستجاد ويستحب من النثر والنظم قالوا هذا كلام يدل بعضه على بعض وآخذ بعضه برقاب بعض قيل هذا صحيح من قولهم ولم يريدوا هذا الجنس من النثر والنظم ولا قصدوا هذا النوع من التأليف وانما أرادوا المعانى اذا وقعت الفاظها فى مواقعها وجاءت الكلمة مع أختها المشاكلة لها التى تقتضى أن تجاورها لمعناها اما على الاتفاق أو التضاد حسبما توجبه قسمة الكلام واكثر الشعر الجيد هذه سبيله ونحو ذلك قول زهير بن أبى سلمى

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

لما قال ومن يعش ثمانين حولا وقدم فى أول البيت سئمت اقتضى أن يكون فى آخره

يسام وكذلك قوله أيضا

السترُ دون الفاحشات وما ... يلقاك دون الخير من ستر

الستر الاول اقتضى الستر الثانى وكذلك قوله

ومن لا يقدم رجله مطمئنة ... فيثبتها فى مستوى الارض تزلق

لما قال ومن لا يقدم رجله مطمئنة اقتضى أن يأتى فى آخر البيت يزلق وكذلك قول امرئ القيس

الا أن بعد العدم للمرء قنوة ... وبعد المشيب طول عمر وملبسا

اقتضى العدم فى البيت أن يأتى بعده قنوة وكذلك اقتضى قوله وبعد المشيب طول عمر وملبسا وكذلك قوله

فان تكتموا الداء لانخفه ... وان تقصدوا الدم نقصد

كل لفظة تقتضى ما بعدها فهذا هو الكلام الذى يدل بعضه على بعض ويأخذ بعضه برقاب بعض اذا أنشدت صدر البيت علمت مايأتى فى عجزه فالشعر الجيد أو أكثره على هذا مبنى وليست بنا حاجة الى الزيادة فى التمثيل على هذه الابيات وأما قول عمر رضى الله عنه فى زهير انه كان لا يتتبع حوشى الكلام فان أبا تمام كان لعمرى يتتبعه ويتطلبه ويتعمد ادخاله فى شعره فمن ذلك قوله

اهلس أليس لجا الى همم ... تغرق الغيس فى اذيها اللليسا

ويروى أهيس أليس والاهيس الجاد وهذه الرواية أجود وهى مثل
احدى ليا ليك فهيسى هيسى

والهلاس السلال من الهزلان فكان قوله أهلس يريد خفيف اللحم والاليس الشجاع البطل الغاية فى الشجاعة وهو الذى لا يكاد يبرح موضعه فى الحرب حتى يظفر أو يهلك فهاتان لفظتان مستكرهتان اذا اجتمعتا لم يقنع بأهلس أليس ثم قال فى آخر البيت الليسا يريد جمع أليس وقوله

وان بجرية نابت جارت لها ... الى ذرى جلدى فاستوهل الجلد

فقال بجرية وجارت لها وهذه الالفاظ وان كانت معروفة مستعملة فانها اذا اجتمعت استقبحت وثقلت وكذلك قوله : هن البجارى يا بجير . والبجارى جمع بجريه

وهى الداهية وقوله

بنداك يوسى كل جرح يعتلى   راب الاساة بدرديس قنطر

الدرديس والقنطر من أسماء الدواهى وقوله قدك اتئب أربيت فى الغلواء ومثل هذه الالفاظ هجنة فى ابتداء القصيدة وقوله

لقد طلعت وجه مصر بوجهه   بلا طائر سعد ولا طائر كهل

وانما سمع قول بعض الهذليين

فلو كان سلمى جاره وأجاره   رياح بن سعد رده طائر كهل

ووجدت فى تفسير أشعار هذيل ان الاصمعى لم يعرف قوله طائر كهل وقال بعضهم كهل ضخم وما أظن أحدا قال طائر كهل غير هذا الهذلى فاستغرب أبو تمام معنى الكلمة فاتى بها وأحب أن لا تفوته فمثل هذه الالفاظ لا يستعملها شاعر إلا أن يأتى فى جملة شعره منها اللفظة واللفظتان وهى فى شعر أبى تمام كثيرة فاشية وقد أنكر الرواة على زهير مع ما قاله عمر رضى الله عنه أنه كان لا يتتبع حوشى الكلام قوله

نقى تقى لم يكثر غنيمة   بنهكة ذى قربى ولا بحقلد

واستشنعوا بحقلد وهو السيء الخلق ولا يعرف فى شعره لفظه هى أنكر منها وليس هجينة بهذه اللفظة الواحدة قادحا فيما وصفه به عمر رضى الله عنه وأكثر ما ترى هذه الالفاظ الوحشية فى أراجيز الاعراب نحو قول بعضهم

فحشا جحا فله حراب هبلع أنشده أبو تمام وقول آخر

عربا حروبا وجلالا حرحر

وأنشد الاصمعى

واجد طعم للسقاء سامط   وخاثر عجالط عكالط

اذا ذهب عن اللبن حلاوة الحليب ولم يتغير فهو سامط واذا خثر اللبن جدا حتى ثخن فهو عكالط

وقال آخر أنشده الاصمعى

وزبرب حماص   يأكلن من قراص

وحميص واص • واص نبت متصل بعضه ببعض واذا كان هذا يستحسن من الاعرابى القح الذى لا يتعمل له ولا يطلبه وإنما يأتى به على عادته وطبعه فهو من المحدث الذى ليس هو من لغته ولا من ألفاظه ولا عن كلامه الذى تجرى عادته

به أخرى أن يستهجن ولهذا أنكر الناس على رؤبة استعماله الغريب الوحشي وذلك لتأخره وقرب عهده حتى زهد كثير من الرواة فى روايةشعره الا أصحاب اللغة وقد ذكر أبو العباس عبدالله بن المعتز فى كتابه المؤلف فى سرقات الشعراء ومعانيهم عن العنزى قال حدثنى محمد بن عبدالرحمن بن عبد الصمد السلمى الزارع قال حدثنى ابن أبى عائشة قال قال أبو العتاهية لابن مناذر ان كنت أردت بشعرك شعر العجاج ورؤبة فما صنعت شيئا وان كنت أردت شعر أهل زمانك فما أخذت مأخذنا أرأيت قولك . ومن دعاك يلقى المرمريسا أى شيء فى المرمريس أعجبك ووجدت أبى عبيدة ذكر فى كتاب الخيل فى باب ما يستدل به على جودة الفرس وهو يحضر وبيضة مرمريس وهى الضخمة وأراد ابن مناذر الداهية وقد جاء أبو تمام بالدرديبس وهى أخت المرمريس فقال .

بنداك يوسى كل جرح يعتلى ... راب الاساءة بدرديبس قنطر

وهى الداهية أيضا وكذا القنطر

« باب ما كثر فى شعره من الزحاف واضطراب الوزن »

وذلك هو ما قاله دعبل بن على الخزاعى وغيره من المطبوعين أن شعر أبى تمام بالخطب وبالكلام المنثور أشبه منه بالكلام المنظوم فمن ذلك قوله

وأنت بمصر غايتى وقرابتى ... بها وبنو أبيك فيها بنو أبى

وهذا من أبيات النوع الثانى من الطويل ووزنه فعولن مفاعيلن وعروضه وضربه مفاعل فحذف نون فعولن من الاجزاء الثلاثة الاول وحذف الياء من مفاعيلن التى فى المصراع الثانى وذلك كله يسمى مقبوضا لانه حذف خامسه وكذلك قوله من هذا النوع

كسلك من الانوار أبيض ناصع ... واصفر فاقع واحمر ساطع

فحذف النون من آخر فعولن كلها وهى رابعة وحذف الياء من مفاعيلن التى هى المصراع الثانى أيضا كما فعل فى البيت قبله ومن ذلك قوله من هذا النوع أيضا

يقول فيسمع ويمشى فيسرع ... ويضرب فى ذات الاله فيوجع

فحذف النون من فعولن الاول والياء من مفاعيل التى تليها ومن فعول التى هى أول

المصراع الثانى وذلك كله يسمى مقبوضا وهى من الزحاف الحسن الجائز الا أنه اذا جاء على التوالى والكثرة قبيح جدا وقال

لم تنتقض عروة منه ولاقسوة ❊ لكن أمر بنى الامال ينتقض

وهذا من النوع الاول من البسيط ووزنه مستفعلن فاعلن وعروضه وضربه فعلن فزاد فى عروضه حرفا فصار فاعلن لانه قال قوةفشدد وذلك إنما يحسب له فى أصل الدائرة لا فى هذا الموضع فان خففها حتى تصير على وزن فعلن فيتزن البيت كان مخطئامن ثم حين نقص الاول من المصراع الالف فصار فعلن وهذا يسمى مجنونا لانه حذثانيه وقال

الى المفدى أبى يزيد الذى ❊ يضل غمر الملوك فى غمرة

وهذامن النوع الاول من المنسرح ووزنه مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن فحذف السين من مستفعلن التى هى المصراع فبقى مفتعلن وهذا ينقل الى مفاعلن ويسمى مخبونا لانه حذف ثانيه وحذف الفامستفعلن لاخيرةفبقى مستفعلن فينقل الى مفتعلن ويقال لهمطوى لانه ذهب رابعه وحذف الواومن مفعولات الاولى والثانية فصار فاعلات ويقال له أيضا مطوى فأفسد البيت بكثرة الزحاف وتقطيعه

للل مفد . دا أبى . زيد للذى . يضل غم . رلملوك . فى غمره .
مفا عان . فاعـلات . مستفعلن . مفعا عان . فاعلات . متفعلن .

ثم قال فى هذه القصيدة

جلة اغماره وهمدانه ❊ والشم من ازده ومن اده

فحذف الفاء من مستفعلن الاولى فعادت الى مفتعلن وحذف الواومن مفعولات الاولى فصارت فاعلات وحذف الفاء من مستفعلن الاخيرة فصارت مفتعلن وتقطيعه

جللة ان . مارهى و . همدانهى . والشممن . ازدهى و . من اده .
مفتعـلن . فاعـلات . مستفعلن . مستفعلن . فاعـلات . مفتعلن .

وهذه الزحافات جائزة فى الشعر غيرمنكرة اذاقلت واذاجاآت فى بيت واحد فى أكثر أجزآئه فان هذا فى نهاية القبح ويكون بالكلام المنثور أشبه منه بالشعر الموزون ومن هذا النوع من المسرح قوله

ولم يغير وجهي عن الصنيعة ال أولى بمسفوع اللون ملتمعة

وتقطيعه

ولم يغي • يروجهع • نصنعتل • اولىبمس • وفعللون • متلمعة
مفاعلن • مفعولات • مستفعلن • مستفعلن • مفعولات • مفتعلن

فحذف السين من مستفعلن الاولى فصارت مفاعلن وحذف الفاء من مستفعلن الاخيرة فصارت مفتعلن ومثل هذه الابيات في شعره كثير اذا أنت تتبعته ولا تكاد ترى في أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئا

تم الشعر الثاني من الموازنة على ماجزاه مؤلفه رحمه الله تعالى والحمد لله رب العالمين

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين)

قال ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي لما كنت خرجت مساوي أبي تمام وابتدأت بسرقته وجب أن ابتدي من مساوي البحتري بسرقاته فانه أخذ من معاني من تقدم من الشعراء وممن تأخر أخذا كثيرا وحكى أبو عبدالله محمد بن داود بن الجراح في كتابه أن ابن أبي طاهر اعلمه أنه أخرج للبحتري ستمائة بيت مسروق منها ما أخذه من أبي تمام خاصة مائة بيت فكان ينبغي أن لا أذكر السرقات فيما أخرجه من مساوي هذين الشاعرين لانني قدمت القول في أن من أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوي الشعراء وخاصة المتأخرين اذ كان هذا بابا ما تعرى منه متقدم ولا متأخر ولكن أصحاب ابي تمام ادعوا أنه أول سابق وأنه أصل في الابتداع والاختراع فوجب اخراج ما استعار من معاني الناس فوجب من أجل ذلك اخراج ما أخذه البحتري أيضا من معاني الشعراء ولم استقص باب البحتري ولا قصدت الاهتمام الى تتبعه لان أصحاب البحتري ما ادعوا ما ادعاه اصحاب أبي تمام بل استقصيت ما أخذه من أبي تمام خاصة اذ كان من أقبح المساوي أن يتعمد الشاعر ديوان رجل واحد من الشعراء فيأخذ من معانيه ما أخذه البحتري من أبي تمام ولو كان عشرة ابيات فكيف والذي أخذه منه يزيد على مائة بيت فاما مساوي البحتري من غير السرقات فقد دققت واجتهدت أن أظفر له بشيء يكون بازاء ما أخرجته من مساوي أبي تمام وفي سائر الانواع التي ذكرتها فلم أجد في شعره لشدة تحرزه وجودة طبعه وتهذيبه الفاظه من ذلك الا ابياتا يسيرة انا أذكرها عند الفراغ من سرقاته فان مر بي شيء منها الحقته به ان شاء الله تعالى .

(سرقات البحتري قال)

يخفى الزجاجة لونها فكأنها ... فى الكأس قائمة بغير اناء

اخذه من قول على بن جبلة حيث يقول

كان يد النديم تدير منها ... شعاعا لا يحيط عليه كأس

وقال البحترى

كالريح فيه بضع عشرة فقرة ... منقادة تحت السنان الاصيد

اخذه من قول بشار

خلقوا قادة فكانوا سواء ... ككعوب القناة تحت السنان

اخذه ابو تمام فقال

جمعت عرى أعماله بعد فرقة ... اليك كما ضم الانابيب عامل

وقال البحترى

اعطيتني حي حسبت جزيل ما ... اعطيتنيه وديعة لم توهب

اخذه من قول الفرزدق

اعطانى المال حتى قلت يودعنى ... أوقلت أعطيت مالا قدرآه لنا

وبيت البحترى اجود وقال البحترى

ارد دونك يقظانا ويأذن لى ... عليك سكر الكرى ان جئت وسنانا

اخذه من قول قيس بن الحطيم

ما تمنعى يقظى فقد تؤتينه ... فى النوم غير مصرد محسوب

وقال البحترى

ملوك يعدون الرماح مخاصرا ... اذا زعزعوها والدروع غلائلا

وهذا مل قول محمد بن عبد الملك الفقعسى ولعله منه أخذه

ولاقيا كعب بن عمرو يقودهم ... ابو دهثم نسج الحديد ثيابا

وقال البحترى

كوعول الهضاب دحن وما يملكن الاصم الرماح قرونا. وهذا من نوادر المعانى

وما عرف مثله الا قول نصر بن حجاج بن علاط السلمى ولعله منه أخذه

ترى غابة الخطى فوق بيوتهم كما أشرفت فوق الصوار قرونها

وقال البحترى

ينال الفتى مالم يؤمل وربما أتاحت له الاقدار مالم يحاذر

أخذه من قول الآخر وأنشده ثعلب

وحذرت من أمر فمر بجانبي لم يلقني ولقيت مالم أحذر

وقال البحترى

واذا الانفس اختلفن فما يغنى اتفاق الاسماء والالقاب

أخذه من قول الفرزدق

وقد تلتقي الاسماء فى الناس والكنى كثيرا ولكن فرقوا فى الخلائق

وقال البحترى

لم تخط بات الدهليز منصرفا الا وخلخالها مع الشنف

أخذه من قول أبى نواس قد جمعوا آذانه وعقبه

وقال البحترى

ولست أعجب من عصيان قلبك لى عمرا اذا كان قلبى فيك يعصينى

أخذه من قول حسين بن الضحاك الخليع

وتطمع أن يطيعك قلب سعدى وتزعم أن قلبك قد عصاك

وبيت البحترى أجود وقال محمد بن وهب

هل الدهر الا غمرة ثم تنجلي وشيكا والا ضيقه تتفرج

أخذه البحترى فقال

هل الدهر الا غمرة وانجلاؤها وشيكا والا ضيقة وانفراجها

وقال فى وصف الذئب

فاتبعتها أخرى وأضللت نصلها بحيث يكون اللب والرعب والحقد

وقال فى هذا المعنى

قوم ترى أرحامهم يوم الوغى مشغوفة بمواطن الكتمان

أخذه من قول عمر بن معدى كرب الزبيدى

والضاربين بكل أبيض مرهف والطاعنين مجامع الاضغان

ألا أن قول عمرو والطاعنين مجامع الاضغان فى غاية الجودة والاصابة لانهم انما يطاعنون الاعداء من أجل أضغانهم فاذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب وقال البحترى

الى فتى يتبع النعمى نظائرها كالبحر يتبع أمواجا بامواج

أخذه من قول أبى ذهيل الجمحى

وليلة ذات أجراس وأروقة كالبحر يتبع أمواجا بامواج

وهذا انما أراد قول امرىء القيس

وليل كموج البحر أرخى سدووله على بأنواع الهموم ليبتلى

وقال البحترى

محركا رأسه توهمه من عطسة قائما على شرف

يشبه قول الآخر

كأن أبا الشمى اذا تغنى يحاكى عاطسا فى عين شمس

وقال البحترى

سقم دون أعين ذات سقم وعذاب دون الثنايا العذاب

أخذه من قول بشار

ذات الثنايا العذاب من دونهن عذاب

وقال البحترى

وكأن فى جسمى الذى فى ناظريك من السقم

أخذه من قول منصور

حل فى جسمى ما كان بعينيك مقيما

وقال البحترى

تجد بدر الدجى يدنو بشمس　　الى من الرحيق الخسروانى

أخذه من قول الخليع

قمراً يحمل شمساً　　من رحيق الخسروان

وقال البحترى

كأن سهيلا شخص ظمآن جانح　　مع الافق فى نهى من الارض يكرع

أخذه من قول محمد بن يزيد الحصنى السلمى يصف النجوم

حتى اذا ما الحوت فى　　حوض من الدلو كرع

وقال البحترى

قوم اذا شهدوا الكريهة صيروا　　كمم الرماح جماجم الاقران

أخذه من مسلم بن الوليد حيث يقول

يكسو السيوف رؤوس الناكثين به　　ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

وأخذه مسلم من قول جرير

كأن رؤوس القوم فوق رماحنا　　غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا

وقال البحترى

ولم لا اغالى بالضياع وقد دنا　　على مداها واستمام اعوجاجها

اذا كان لى توسيعها واغتلالها　　وكان عليكم عشرها وخراجها

أظنه والله أعلم حذا على قول شبيب بن البرصاء

ترى ابل الجار الغريب كانما　　بمكة بين الاخشبين مرادها

يكون عليه نقصها وضمانها　　وللجاران كانت تزيد ازديادها

وقال أبو صخر الهزلى

اغر اسيدى تراه كأنما　　اذا جد يعطى ماله وهو لاعب

أخذه البحترى فقال

وادع يلعب بالدهر اذا   حد فى اكرومة هزل

وقال عبد الصمد بن المعذل

ظـــبي كان يخصره   من رقة ظمأ وجوعا
انى علقت لشقوتى   ياقوم ممنوعا منيعا

أخذه البحترى فقال

من غادة منعت وتمنع نيلها   ولو أنها بذلت لنا لم تبذل

فزاد على عبد الصمد بقوله بذلت لنا لم تبذل

وقال البحترى

سلبوا وأشرقت الدماء عليهما   محمرة فكأنهـــم لم يسلبوا

وهذا مثل قول الحسف بن السجف الضبي ويجوز أن يكون أخذه منه

ففرقت بين انثى هميم بطعنـة   لهـا عاند يكسو السليب أزارا

قوله لها عاند يزيد الدم وقال عبد الملك بن عبد الرحمن الحرثى

وانى ليدعونى لان استزيدها   فؤادى وأخشى سخطها وأهابها

ونحوه قول البحترى ويجوز أن يكون أخذه منه

وعتبت من حبيك حتى أننى   أخشى ملامك أن أبثك مابى

وقال أبو نواس

بح صوت المـال مما   منك يشكو ويصيح

أخذه البحترى فقال

فكم لك فى الاموال من يوم وقعة   طويل من الاهوال فيه عويلها

وقال جابر بن السليك الهمذانى

أرمى بها الليل قدامى فيهشم بى   إذ الكوكب مثل الاعين الحول

أخذه البحترى فقال

وخدان القلاص حولا إذا قا   بلن حولا من أنجم الاسحار

وقال عروة بن الورد

مطلا على أعدائه يزجرونه بساحاتهم زجر المنيح المشهر

فان بعدوا لايامنون اقترابه تشوف أهل الغائب المنتظر

لم به البحترى فقال

فترى الاعادى ما لهم شغل الا توهم موقع يقعه

وقال البحترى

على نحت القوافى من مقاطعها وما على اذا لم تفهم البقر

ذكر على بن يحى المنجم أن البيت للمحتم الراسبي وكان شاعرا اتصل بمحمد ابن منصور بن زياد فكسب معه ألف درهم فلما مات اتصل بمحمد بن يحى بن خالد البرمكى فاساء صحبته فهجاه فقال

شتان بين محمد ومحمد حى أمات وميت أحيانى

فصحبت حيا فى عطايا ميت وبقيت مشتملا على الخسران

فهذا ما مر بى من سرقة البحترى من أشعار الناس على غير تتبع لخرجتها ولعلى لو استقصيتها لكانت نحوما خرجه من سرقات أبى تمام وتزيد عليها وعلى اننى قد بيضت فى آخر الكتب فمهما مر بى شيء ألحقته به إن شاء الله تعالى.

« وهذا ما أخذه البحترى من معانى أبى تمام خاصة »

مما نقلته من صحيح ما خرجه الضياء بشر بن تمام الكاتب لانه استقصى ذلك استقصاء بالغ فيه حتى تجاوز الى ما ليس بمسروق فكفانا مؤونة الطلب

قال أبو تمام

فسواء اجابتى غير داع ودعائى بالقفر غير مجيب

فقال البحترى

وسألت مالا يستجيب وكنت فى استخباره كمجيب من لا يسأل

وقال أبو تمام

فكان بان يرى للشرق شرقا وكان بان يرى للغرب غربا

فقال البحترى

فاكون طورا مشرقا للمشرق الاقصى وطورا مغربا للمغرب

وقال أبو تمام

واذا أراد الله نشر فضيلة   طويت أتاح لها لسان حسود

فقال البحترى

ولن تستبين نعمة الدهر موضع   اذا انت لم تدلل عليها بحاسد

وقال أبو تمام

فان تكن وقعة قاسيت سورتها   فالورد حلف لليث الغابة إلاجم

إن الرياح اذا ما أعصفت قصفت   عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم

فقال البحترى

فلست ترى شوك القتادة خائفا   سموم الرياح الآخذات من الرند

ولا الكلب محموما وان طال عمره   الا انما الحمى على الاسد الورد

وقال أبى تمام

رأيت رجائى فيك وحدك همة   ولكنه فى سائر الناس مطمع

فقال البحترى

ثنى أملى فاحتازه عن معاشر   يبيتون والاول فيهم مطامع

وقال أبى تمام

بمحمد ومسود ومحسد   ومكفر وممدح ومعذل

فقال البحترى

ذاك المحمد والمسود والمكرم والمحسد

وقال أبو تمام

وقد قرب المرمى البعيد رجاؤه   وسهلت الارض العزاز ركائبه

فقال البحترى

ادار رحاه فاغتدى جندل الفلا   ترابا وقد كن التراب جنادلا

وقال أبو تمام

رافع كفه لبرى فما   أحسبه جانى لغير اللطام

فقال البحترى

ووعدليس يعرف من عبوس   انقباضهم أو عد أم وعيد

وقال ابو تمام

ونغمة منف جدواه أحلى   على أذنيه من نغم السماع

فقال البحترى

نشوان من طرب السؤال كانما   غناء مالك طىء أو معبد

وقال أبو تمام

ومجربون سقاهم من بأسه   فاذا لقوا فكأنهم أغمار

فقال البحترى

ملك له فى كل كريهة   أقدام غر واعتزام مجرب

وقال أبو تمام

لا المنطق اللغو يزكو فى مقاومه   يوماً ولا حجة الملهوف تستلب

فقال البحترى

إن أغفلوا حجة لم يلف مسترقا   لها وإن يهموا فى القول لم يهم

وقال أبو تمام

مجد رعى تلعات الدهر وهو فتى   حتى غدا الدهر يمشى مشية الهرم

فقال البحترى

صحبوا الزمان الفرط الا أنه   هرم الزمان وعزهم لم يهرم

وقال أبو تمام

كريم متى أمدحه أمدحه والورى   معى وإذا ما لمته لمته وحدى

فقال البحترى

أشكو نداه بعد أن وسع الورى   ومن ذا يذم الغيث إلا مذمم

وقال ابو تمام

البيد والعيس والليل التمام معاً ... ثلاثة أبداً يقرن فى قرن

فقال البحترى

أطلبا ثالثاً ســوآى فانى ... رابع العيس والدجى والبيد

وقال أبو تمام

وما نفع من قدمات بالامس صاديا ... إذا ما السماء اليوم طال انهمارها

فقل البحترى

واعلم بأن الغيث ليس بنافع ... للنـاس ما لم يأت فى أبانه

وقال أبو تمام

تـكاد مغانيـه تهش عراصها ... فتركب من شوق الى كل راكب

فقال البحترى

ولو أن مشتاقاً تكلف غير ما ... فى وسعه لمشى اليك المنبر

وقال أبو تمام

وكيف احتمالى للسحاب صنيعة ... باسقائها قبراً وفى لحده البحر

فقال البحترى

ملآن من كرم فليس يضره ... مر السحاب عليه وهو جهام

وقال أبو تمام

فليشكروا جنح الظلام وزروداً ... فهم لزرود والظلام موالى

فقال البحترى

نجاوهو مولى الريح يشكر فضلها ... عليه ومن يولى الصنيعة يشكر

وقال أبو تمام

أنت المقيم فما تعدوا رواحله ... وعزمه أبداً منـه على سفر

فقال البحترى

مسافـر ومطاياه محللة ... عروضها ومقيم وهو مرتحل

وقال أبو تمام

وتشرف العليا وهل بك مذهب عنها وأنت على المكارم قيم

فقال البحترى

متقلقل العزمات فى طلب العلا حتى تكون على المكارم قيما

وقال أبو تمام

فلم يجتمع شرق وغرب لقاصد ولا المجد فى كف امرىء والدراهم

فقال البحترى

ليغمر وفرك الموفى وان أعوز أن يجمع الندى ووفوره

وقال أبو تمام

فوفرت يافوخ اعبال على الردى وزدت غداه الروع فى نجدة النجد

فقال البحترى

ويغدو ونجدته فى الوغى تدرب نجدات فرسانه

وقال أبو تمام

ما زال وسواسى لعقلى خادعا حتى رجى مطرا وليس سحاب

فقال البحترى

وعجب أن الغيوب يرجيهن من لا يرى مكان الغيوم

وقال أبو تمام

بكل صعب الذرى من مصعب بقظ أقام متئدا أم سار معتزما

فقال البحترى

لا يبرح الحزم يستوفى صريمته أقام متئدا أم صار معتزما

فقال أبو تمام

لوددت تحفته عليه وان علت عن ذاك واستهديت بعض خصاله

وقال أبو تمام أيضا

وانفخ بنار طيب خيمك نفخة ان كانت الاخلاق مما توهب

فقال البحترى

لا تسل ربك الكثير وسله ... خصلة تستفيدها من خصاله

وقال أبو تمام

غريبة تونس الاداب وحشتها ... فما تحل على قوم ترتحل

فقال البحترى

ضوارب فى الافاق ليس بنازح ... بها من محل أوطنته ارتحالها

وقال أبو تمام

كأنما خامرة أولق ... أو غازلت خاتمه الخندريس

فقال البحترى

وتخال ريعان الشباب يروعه ... من جنة أو نشوة أو أفكل

وقال أبو تمام

حمد خبيت به وأجر حلقت ... من دونه عنقاء ليل مغرب

فقال البحترى

فانت تصيب المجد حيث تلالات ... كواكبه ان أنت لم تصب الاجرا

وقال أبو تمام

تدعى عطاياه وفرا وهى ان شهرت ... كانت فخارا لمن يعفوه مؤتنفا

فقال البحترى

واذا اجتداه المجتدون فانه ... يهب العلى فى سيبه الموهوب

وقال أبو تمام

وتلبس أخلاق كراما كأنها ... على العرض من فرط الحصانة أذرع

فقال البحترى

قوم اذا لبسوا الدروع لموقف ... لبسوا من الاحسان فيه دروعا

وقال أبو تمام

لما اظلتني غمامك اصبحت تلك الشهود على وهى شهودى
فقال البحترى
ومعترضون ان حاولت امرا بهم شهدوا على وهم شهودى
وقال ابو تمام
انضرت ايكتى عطاياك حتى صار ساقا عودى وكان قضيبا
فقال البحترى
حتى يعود الذئب لثيا ضيغما والغصن ساقا والقرارة نيقا
وقال ابو تمام فما تصطاد غير الصيد
فقال البحترى وتصطاد العوارس صيدها
الان حين غرست فى كرم الندى تلك المنى وبنيت فوق أساس
فقال البحترى
غفل الرجال بنوا على جدد الثرى لما بنوا وبنيت فوق أساس
وقال ابو تمام
فعلام الصدود من غير جرم والصدود الفراق قبل الفراق
وقال البحترى
على أن هجران الحبيب هو النوى لدى وعرفان المشيب هو العذل
وقال ابو تمام
وفتى اذا جنف الزمان فما يرى الا إلى عزماته تتظلم
فقال البحترى
ولو انصفتنى سر مراء لم أكن إلى العيش من أوطانها أنظلم
وقال ابو تمام
من دوحة الكلم الذى لم ينفكك وقفا عليك رصينه محبوسا
وقال البحترى

ولك السلامة والسلام فانني غاد وهن على علاك حبائس

وقال ابو تمام

كذاك لم تفرط كآبة عاطل حتى يجاورها الزمان بحال

فقال البحترى

وقد زادها افراط حسن جوارها خلائق اصفار من المجد خلب

وقال ابو تمام

وما العرف بالتسويف الا كخلة تسليت عنها حين شط مزارها

فقال البحترى

وكنت وقد املت مر الحاجتى كطالب جدوى خلة لا تواصل

وقال ابو تمام

آساد موت مخدرات مالها الا الصوارم والقنا آجام

فقال البحترى

حشدت حولها سباع الموالى والعوالى غاب لتلك السباع

وقال ابو تمام

ولاذت بحقويه الخلافة والتقت على خدرها ارماحه ومناصله

فقال البحترى

لاذت بحقويه الخلافة انها قسم لافضل هاشم بالافضل

وقال ابو تمام

قد جاءنا الرشأ الذى أهديته خرقا ولو شئنا لقلنا المركب

فقال البحترى

جملت عليه فى سبيل فتوة هى الثغر خلف المجد بل تفضل الثرا

وقال ابو تمام

وقد تألف العين الدجى وهو قيدها ويرجى شفاء السم والسم قاتل

فقال البحترى

ويحسن دلها والموت فيه   وقد يستحسن السيف الصقيل

وقال ابو تمام

أورقت لى وعدا وثقت بنجحه   بالامس الا انه لم يثمر

فقال البحترى

والوعد كالورق الجنى تاودت   منه الغصون ونجحه أن يثمرا

وقال ابو تمام

ان الهلال اذا رأيت نموه   أيقنت أن سيكون بدر كاملا

فقال البحترى

مثل الهلال بدا فلم يبرح به   صوغ الليالى فيه حتى أقمرا

وقال ابو تمام

ترمي باشباحنا الى ملك   نأخذ من ماله ومن أدبه

فقال البحترى

نغدوا فاما اسمحنا من مواهبه   فضلا وأما استفدنا منه آدابا

وقال ابو تمام

وماخير برق لاح فى غير وقته   واد غدا ملآن قبل أوانه

فقال البحترى

واعلم بان الغيب ليس بدافع   للناس ما لم يات فى ابانه

وقال ابو تمام

لايكرم السائل المعطى وان أخذت   منه الرغائب حتى يكرم الطلب

فقال البحترى

علمتني الطلب الشريف وانما   كنت الوضيع من اتضاع مطالبى

وقال ابو تمام

ارسى بناديك الندى وتنفست   نفسا بعفوتك الرياح ضعيفا

فقال البحترى

راحت لاربعك الرياح ضعيفة　　وأصاب مغناك الغمام الصيب

وقال ابو تمام

الود للقربى ولكن رفده　　للأبعد الاوطان دون الاقرب

فقال البحترى

بل كان أقربهم من سببه سببا　　من كان ابعدهم من جذمه رحما

فقال البحترى

شرخ من الشرف المنيف يهزه　　هز الصحيفة شرخ عمر مقبل

وقال ابو تمام

أدركت مافات الكهول من الحجى　　فى عنفوان شبابك المستقبل

فقال البحترى

فبعثن الهوى فى قلب من ليس هائما　　فقل فى فواد رعنه وهو هائم

وقال ابو تمام

فبعثن وجدا للخلي وزدن فى　　برحاء وجد الهائم المستهتر

فقال البحترى

غرة مرة الا انما كنت　　اغرا أيام كنت بهيما

وقال ابو تمام

عجبت لتفويف القذال وانما　　تفويقه لو كان غير مفوف

فقال البحترى

وما زالت تجد أسى وشوقا　　له وعليه اخلاق الرسوم

وقال ابو تمام

فهيج وجدى ربعها وهو ساكن　　وجدد شوقى رسمها وهو مخلق

ذلك (أى أبو تمام) أى ممدوحه يقصف متن القرن ومتن القناة وشبه هذا انطواء الرماح واعوجاجها اذا وقعت بضلوع القوم باعوجاج ضلوعهم وهذا من التشبيهات الظريفة العجيبة وهو المعنى الذى استغربه واستحسنه أبو تمام على مايريد الشاميون ومن ذلك قوله أبو تمام

بين البين فقدها قل ما يعرف فقد الشمس حتى تغيبا

وقوله البحترى

فاضل بين الاخوان عمرى و فى ظلماء ليل تفاضلت شهبه

وليس بين المعنيين تناسب لان أبا تمام ذكر ان موضع فقدها بازوانه قلما يعرف فقد الشمس الا بعد غروبها وهذا جار فى عادات الناس واستعمالهم أن يقولوا لا يعرف فضل الانسان حتى يفقد ولا يعرف فضل العافية الا عند البلية وقدر الدراهم الا عند الحاجة والبحترى أراد أن عمره بين له عن مراتب اخوانه وفضل بعضهم على بعض وأراد بالشيب الكواكب وهذا معنى لطيف جدا ليس من معانى أبى تمام فى شىء وهذا مما أدعى أبو الضياء على البحترى فيه السرق والاتفاق فى ذلك أكثر فانما هو من الالفاظ التى ليست محظورة على أحد وقد مضى فيما قبل من هذا الباب أبيات فمن ذلك قول أبى تمام

ان الصفائح منك قد نضدت على ملقى عظام لو علمت عظام

وقول البحترى

مساع عظام ليس يبلى جديدها وان بليت منهم رمائم أعظم

فاراد أبو تمام أن عظام الرجل الذى رثاه عظيم القدر وأراد البحترى أن مساعى القوم عظام لا يبلى جديدها وان بليت عظامهم وليس ههنا اتفاق الا فى لفظ العظام لا غير ومن ذلك قول أبى تمام

لا يدهمنك من دهمائهم عدد فان أكثرهم أو جلهم البقر

وقول البحترى

على نحت القوافى من مقاطعها وما على لهم أن تفهم البقر

فاراد أبو تمام أنه لا يجب أن ينظر الى كثرة عددهم فان أكثرهم بقر وذكر البحترى أن عليه أن يجيد القول وليس عليه أن تفهمه البقر وماههنا اتفاق الا فى لفظة البقر ومن ذلك قول أبى تمام لها ان علينا أن نقول وتفعلا وقول البحترى

ان الخليفة ليس يرقب فى الذى حاولت الا أن تقول ويفعلا

قصر بذلك عمرو عدلا نحولى   شكرا بعمل عمر سبعة أنسر

فقال البحترى

وجعلت نيلك تلو وعدا قاصرا   عمر العدو به وعمر الموعد

وقال أبو تمام

دعاشوقه ياناصر الشوق عودة   فلباه طل الدمع يجرى ووابله

فقال البحترى

نصرت له الشوق اللجوح بعبرة   تواصل فى أعقاب وصل تصرما

وقال أبو تمام

من ليلة فى وبلها ليلاء   فلو عصرت الصخر صار ماء

فقال البحترى

أشرقن حتى كاد يقتبس الدجى   ورطبن حتى كاد يجرى الجندل

وقال أبو تمام

بر بدأت به ودار بابها   للخلق مفتوح ووجه مقفل

فقال البحترى

اليم بابك معقود على خلق   وراءه مثل مد النيل محلول

هذا ما أخذه البحترى من أبى تمام

ولعل قائلا يقول قد تجاوزت فى هذا الباب وقصرت ولم تستقص جميع ما خرجه أبو الضيا بشر ابن تميم من المسروق وليس الامر كذلك بل قد استوفيت جميعه فأوضحت وسامحت بان ذكرت ما لعله لا يكون مسروقا وان اتفق المعنيان أو تقاربا غير أنى اطرحت ما ثر ما ذكره أبو الضيا بعد ذلك لانه لم يقنع بالمسروق الذى يشهد التأمل الصحيح بصحته حتى تعدى ذلك الى التكثير والى أن أدخل فى الباب ما ليس منه بعد أن قدم مقدمة افتتح بها كلامه وقال ينبغى لمن نظر فى هذا الكتاب ان لا يعجل بان يقول ما هذا مأخوذ من هذا حتى يتأمل المعنى دون اللفظ ويعمل الفكر فيما خفى وانما السرق فى الشعر ما نقل معناه دون لفظه وأبعد آخذه فى أخذه قال ومن الناس من يبعد ذهنه الا عن مثل بيت امرىء القيس وطرفة حين لم يختلفا الا فى القافية فقال أحدهما وتحمل وقال الآخر وتجلد قال وفى الناس

طبقة أخرى يحتاجون الى دليل من اللفظ مع المعنى وطبقة يكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر وهم قليل فجعل هذه المقدمة توطئة لما اعتمده من الاطالة والحسد وأن يقبل منه كل ما يورده ولم يستعمل ما هو وصى به من التأمل وأعمال الفكر شيئا ولو فعل ذلك لرجوت أن يوفق لطريق الصواب فيعلم أن السرق انما هو فى البديع المخترع الذى يختص به الشاعر لا فى المعانى المشتركة بين الناس التى هى جارية فى عاداتهم ومستعملة فى أمثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذى يورده أن يقال أخذه من غيره غير أبا الضيا استكثر من هذا الباب وخلط به ما ليس من السرق فى شىء ولا بين المعنيين تناسب ولا تقارب واتى بضرب آخر ادعى فيه أيضا السرق والمعانى مختلفة وليس فيه الا اتفاق ألفاظ ليس مثلها ما يحتاج واحد أن يأخذه من آخر اذ كانت الالفاظ مباحة غير محظورة فبلغ غرضه فى توفير الورق وتعظيم حجم الكتاب وأنا أذكر من هذه الابواب أمثلة تدل على صحة ما ذكرناه ونجعلها قياسا على مالم يذكره فان فى البعض غنى عن الاطالة بذكر الكل فما أورده أبو الضياء من المعانى المستعملة الجارية مجارى الامثال وذكر أن البحترى أخذه من أبى تمام قول أبى تمام

جرى الجود مجرى النوم منه فلم يكن   بغير سماح أو طعان بحالم

وقول البحترى

ويبيت يحلم بالمكارم والعلى   حتى يكون المجد جل منامه

وهذا الكلام موجود فى عادات الناس ومعروف فى معانى كلامهم وجار كالمثل على ألسنتهم بأن يقولوا لمن أحب شيئا أو استكثر منه فلان لا يحلم الا بالطعام وفلان لا يحلم الا بفلانه من شدة وجده بها وهذا الرجل ما حلمه الا بالخمر ولا يقال الا لمن كانت هذه سبيله سرق وانما يقال له اتفاق فان كان واحد سمع هذا المعنى أو مثله من آخر فاحتذاه فانما ذكر معنى قد عرفه واستعمله لا انه أخذه أخذ سرقة وأنشد لابى تمام

اذا القصائد كانت من مدائحهم   يوما فأنت لعمرى من مدائحها

فذكر أن البحترى أخذه فقال

ومن يكن فاخرا بالشعر يذكر فى   أضعافه فبك الاشعار تفتخر

وهذا غلط على البحترى لان الناس لا يزالون يقولون فلان يزين الثياب ولا تزينه ويجمل الولاية ولا تجمله وفلانة تزيد فى حسن الحلى ولا يزيد فى حسنها وفلان تفتخر به الانساب ولا يفخر بها وهذا ليس من المعانى التى لا يجوز ان يدعى أحد من الناس أنه ابتدعها

واخترعها أو سبق اليها ولا يجوز أن يكون مثل هذا اذا اتفق فيه خطيبان أو شاعران أن يقال أحدهما أخذه من الآخر

وأنشد لابى تمام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم احلام

وذكر أن البحترى أخذه فقال

وأيامنا فيك اللواتى تصرمت مع الوصل أضغاث وأحلام نائم

وكأنه ما سمع الناس يقولون ما كان الشباب الا حلما وما كانت أيامه الا نومة نائم وأما أشبه ذلك اللفظ فكيف يجوز أن يكون ذلك مسروقا وذكر أن من ذلك قول أبى تمام قد يقدم العير من ذعر على الأسد وقول البحترى

فجاء مجىء العير قادته حيرة الى اهرت الشدقين تدمى اظافره

أو لم يسمع ما هو كالمجمع عليه من أن العير اذا رأى السبع أقبل اليه من شدة خوفه منه حتى صار مثلا يتمثل بالفراشة اذا تها فتت فى النار وفى ذلك أمثال وأشعار كثيرة فما أظن علمها سقط عن البحترى

ومن ذلك قول أبى تمام

هيهات لم يعلم بأنك لو ثوى بالصين لم تبعد عليك الصين

وقول البحترى

يضحى مطلا على الاعداء لو وقعوا فى الصين من بعدها ما استبعد الصينا

وهذا جار على أفواه العامة والخاصة والنساء والصبيان أن يضربوا المثل فى البعد بالصين وأن يوقعوا التهدد به فيقولون لو أنك بالصين لما بعدت على فكيف لا يهتدى البحترى إلى مثل هذا ومن ذلك قول أبى تمام

كأن بنى نبهان يوم وفاته نجوم سماء خر من بينها البدر

وقول البحترى

فاذا لقيتهم فموكب أنجم زهر وعبد الله بدر الموكب

وهذا معنى متقدم مبتذل جاء النابغة وغيره وكثر على الالسن حتى صار أشهر من كل مشتهر وبيت أبى تمام خاصة فانما سرقه على سياقه من مريم بنت طارق ترثى أخاها

كنا كأنجم ليل بينها قمر   يجلو الدجى فهو من بيننا القمر

ومن ذلك قول أبي تمام

همة تنطح النجوم وجد   آلف للحضيض فهو حضيض

وقول البحترى

متحير يغدو بعزم قائم   فى كل نائبة وجد قاعد

وهذان المعنيان جنسهما واحد ولفظهما مختلف وهما شائعان فى الكلام وجاريان فى الأمثال يقال فلان عالى الهمة وهمته فى الثريا وحاله فى الحضيض وفلان سلم بهمته ولكن قعد به حظه ونحو هذا من اللفظ فليس يجوز أن يعتور هذا المعنى شاعران فيقال أحدهما أخذه من الآخر

ومن ذلك قول أبي تمام

وليست فرحة الاوبات إلا   لموقوف على ترح الوداع

وقول البحترى

ما لشيء بشاشة بعد شيء   كتلاق مواشك بين بعد

وهذا معنى مستفيض معروف ومنه قول الحجاج بن يوسف لولا فرحة الاوبات لما عرفتهم الابالاسفار وغرض كل واحد من هذين البيتين مخالف لغرض صاحبه لان أبا تمام ذكر أنه لا يفرح بالقدوم الامن شجاه وأحزنه التوديع وأراد البحترى أنه ليس شيء من المسرة والجذل إذا جاء فى أثر شيء مما كالتلاق بعد التفرق فليس، وان كان جنس المعنيين واحداً وجب أن يقال ان أحدهما أخذ من الآخر لان هذا قد صار جاريا فى العادات وكثيراً على الألسن فالتهمة ترتفع عن أن يأخذ أحد عن أحد ومن ذلك قول أبي تمام

لهم نشب وليس لهم سماح   وأجسام ليس لهم قلوب

وقول البحترى

خلق ممثلة بغير خلائق   ترجى وأجسام بلا أرواح

وهذا الكلام أيضاً هو أعرف فى كلامهم وأشهر من أن يحتاج شاعر أن يأخذه من الآخر وهم دائماً يقولون إنما فلان إلا شبح من الاشباح وما هو إلا صورة فى حائط أو جسد فارغ ونحو هذا من القول الشائع المشتهر

ومن ذلك قول أبي تمام

لاتدعون نوح بن عمرو دعوة　　للخطب إلا أن يكون جليله

وقول البحتري

يا أبا جعفر وما أنت بالمد　　عـو الا لكل أمر كبار

ونسى قول الناس اختر لعظيم الحوائج العظيم من الناس ولكبير الامور كبيرهم وقال رجل لابن عباس أن لى حاجة صغيرة فقال اطلب لها رجلا صغيراً

ومن ذلك قول أبي تمام

بيض فهن إذا رمقن سوافرا　　صور وهن إذا رمقن صوار

وقول البحتري

إنى لحظت فانت جؤذر رملة　　وإذا صردت فانت ظبي كناس

وهذا التشبيه أعين النساء بأعين البقر وتمثيلهن بالصوار وبالظباء وجل كلام العرب عليه يجرى فلا تكون الشعراء فيه إلا متفقين • ومن ذلك قول أبي تمام

ولقد جهدتم ان تزيلوا عزه　　فاذا أبان قد رسا ويلملم

وقول البحتري

ولن ينقل الحساد مجدك بعد ما　　تمكن رضوى واطمأن متالع

وهذا المعنى أيضاً شائع من معانيهم وكثير فى أشعارهم ومنه قول الفرزدق

وادفع بكفك إن أردت بقاءنا　　شهلان ذا الهضبات هل يتحلحل

وقوله يخاطب جريراً أيضا . فرم حضنا فانظر متى أنت ناقله . افترى البحتري ما سمع هذا من قول الفرزدق ولا من قول غيره حتى سمعه أبو تمام فنقله

وقول البحتري

وفى شرف الحديث دليل صدق　　لمختبر على شرف القديم

وقول البحتري

على أنا نوكل بالاداني　　وتخبرنا الفروع عن الاصول

وهذا معنى شائع فى الكلام أيضا مشهور كثير على الافواه أن يقولوا إن العروق عليها

نبت الشجر ومن أشبه أباه فما ظلم والعصى من العصية والغصن من الشجرة ودلت على الام السخلة ومثل هذا لا يكون مأخوذاً مستعاراً

ومن ذلك قول أبى تمام

ولذاك قيل من الظنون جلية　　صدق وفى بعض القلوب عيون

وقول البحترى

واذا صحت الروية يوما　　فسواء ظن امرء وعيانه

وهذا أيضا من الامثال المشهورة المبذولة السائرة وهو قولهم ظن يقين ومن ذلك قول أوس بن حجر

الالمعى الذى يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا

وقول أبى تمام

لانجم من معشر الا وهمته　　عليك دائرة يا أيها القطب

بقى بيت البحترى لم يذكره وهو هذا

ودارت بنو سلمان طرا عليهم　　مدار النجوم السائرات على القطب

وكأنه ماسمع قول الناس فلان قطب هذا الامر وعلى فلان مدار القصة ونحو هذا من القول الذى يستغنى الانسان بما جرى منه فى عادته أن يستعيره من غيره ومن ذلك قول أبى تمام

وأقل الاشيا محصول نفع　　صحة القول والفعال مريض

وقول البحترى

وما لمثلى فى القول منك رضى　　والقول فى المجد غير محسوب

وأبو تمام زعم أن رونق القول بالمواعيد لا يتحصل منه نفع اذا لم يكن فعال وجعل الصحة فى القول والمرض فى الافعال مثلين فى الاستعارة والبحترى انما ذكر أنه لا يرضى بالقول لان القول لا يحتسب به للماجد بغير فعل فالغرضان مختلفان والمعنى معنى واحد شائع جار فى عادات الناس أن يقولوا انما زيد كلام وانما عمرو قول بلا فعل ومثل هذا مع كثرته على الالسن لا يقال أنه مسروق

ومن ذلك قول أبي تمام

ستر الصنيعة واستحر معلنا يدعو عليه النائل المظلوم

وقول البحترى

أكافر منك فضل نعمى وستر نعمى الكريم كفر

فذكر أبو تمام رجلا ذمه بستر الصنيعة وجعله ملعنا يدعو عليه النائل المظلوم على الاستعارة والبحترى ذكر أن ستر النعمى كفر وكلا اللفظين مستعملان شائعان على الالسن فلا يقال لمن تكلم بأحد اللفظين أنه استعارة من الآخر

ومن ذلك قول أبي تمام

شهدت جسيمات العلى وهو غائب ولو كان أيضا شاهدا كان غائبا

وقول البحترى

بشير لكم فيها نذير لغيركم له شاهد عن موضع الفهم غائب

وهذا المعنى أيضا جار على الافواه ومستعمل فى الكلام تعرفه العامة كما تعرفه الخاصة وذلك قولهم فلان شاهد كغائب وحاضر كمن لم يحضر وفلان سوآء والعدم ومن ذلك قول أبي تمام

دعينى على أخلاق الصمل التى هى الوفر أو سرب ترن نواديه

وقول البحترى

وخد القلاص يردنى لك بالغنى فى بعض ذا التطواف أو يردينى

وهذان المعنيان أصلهما واحد وهو قول امرء القيس

نحاول ملكا أو نموت فنعذر وشهرته وكثرة استعمال الناس اياه يغنى البحترى عن أن يقال أنه استعاره أو أخذه ومن ذلك قول أبي تمام

كحلت بقبيح صورته فامسى لها انسان عينى فى السياق

وقول البحترى

شكوت قذى بعينك بات يدمى كانك قد نظرت الى طماس

وهذا أيضا من المعانى التى تمنع شهرتها وابتذال العامة والخاصة لها من أن يقال أنها

مسروقة وان واحد أتم فيها بآخر ومما جاء به أبو الضيا على أنه مسروق والمعنيان مختلفان ليس بينهما اتفاق ولا تناسب قول أبى تمام

فاقسم اللحظ بيننا أن فى اللحظ لعنوان ما يجن الضمير

وقول البحترى

سلام وان كان السلام تحية　　فوجهك دون الرد يكفى المسلما

وابو تمام سأل من يخاطبه أن يقبل عليه ويجعل له قسطا من النظر فان ادامة النظر تدل على المودة كما أن الاعراض يدل على البغض والبحترى انما سلم على الهيثم الغنوى وذكر ان السلام تحية وان وجهه لجماله وطلاقته يكفى المسلم قبل رده والمعنيان مختلفان وليس لواحد منهما من الرقة والغرابة ماينسب احدهما أنه محذور على الاخر أو مسروق منه　　ومن ذلك قول أبى تمام

ورحب صدر لو ان الارض واسعة　　كوسعه لم يضق عن أهل بلد

وقول البحترى

مفازة صدر لو تطرق لم يكن　　ليسلكها فردا سليك المقانب

وابو تمام ذكر أن رحب صدر الممدوح وسعته تزيد على سعة الارض فاسرف واخطا فى المعنى بما قد ذكرته فى باب خطائه فى المعانى والبحترى ذكر سعة صدر الممدوح وجعل له مفازة على الاستعارة وذكر أنه لو تطرق لم يكن ليسلكها سليك الذى لم يكن ليكبر عليه سلوك الارض وان عرضت وطالت وانما أراد جميعا سعة صدر الممدوح كما جرت العادة بهذا الضرب من المدح فافرطا ولكن سلك كل واحد منهما معنى غير معنى صاحبه كما ترى . ومن ذلك قول ابى تمام

انما البشر روضة فاذا ما　　كان بر فروضة وغدير

وقال البحترى

فان العطاء الجزل مالم تحله　　ببشرك مثل الروض غير منور

فاراد ابو تمام البشر مع البر كالروضة والغدير واراد البحترى ان العطاء مالم يكن معه بشر كان كالروض غير منور فليس بين المعنيين اتفاق الا فى ذكر البشر والروض والالفاظ غير محظورة على واحد

ومن ذلك قول ابى تمام

واني ما حورفت في طلب الغنى ولكنما حورفتم في المكارم

وقول البحتري

اذا ابتدا بخلاء الناس عارفة يتبعها المن فالمرزوق من حرما

فاراد ابو تمام انه ليس بمجدود ولا محارف في ملتمساته ومطالبه ولكن الذين امهم وطلب ما عندهم حورفوا في مكارمهم فاحسن في المعنى واللفظ كل الاحسان واراد البحتري أن البخيل اذا امتن بمعروفه فالمرزوق من حرم ذلك المعروف فهذا المعنى غير معنى ابي تمام وليس بينهما اتفاق ولا تقارب

ومن ذلك قول ابي تمام

اذا شب نارا أقعدت كل قائم وقام لها من خوفه كل قاعد

فقال البحتري

ومبجل وسط الرحال خفوقهم لقيامه وقيومهم لقعوده

وليس أحد المعنيين من الآخر في شيء لان أبا تمام أراد أن الممدوح اذا شب نار الحرب أقعدت كل قائم لقتاله ومنابذته أي تزعج كل واحد خوفا وفرقا وذلك مأخوذ من قول الفرزدق

اتاني ورحلي بالمدينة وقعة لآل تميم اقعدت كل قائم

وقوله وقام لها من خوفه كل قاعد أي زال عن الطمأنينة والقرار فقام وانما تريد انزعاج الخائف فجعل ذلك قياما له والبحتري انما ذكر أن الرجال انما يخفون للقيام ممدوحه أي يسرعون بين يديه اذا قام فاذا قعد قاموا اجلالا وهيبة وان من شأنه ان لا يجلس أحد بجلوسه وان يكون الناس كلهم قياما اذا جلس والمعنيان مختلفان وليس بينهما اتفاق في ذكر القيام والقعود والالفاظ مباحة

ومن ذلك قول ابي تمام

ورب يوم كايام تركت به متن القناة ومتن القرن منقصفا

وقول البحتري

في معرك ضنك تخال به القنا بين الضلوع اذا انثنين ضلوعا

وليس بين المعنيين اتفاق الا في أن الشاعرين وصفا حال الطعن بالقنا كيف يقع فذكر

وقال أبو تمام

تراه يذب عن حرم المعالى فتحسبه يدافع عن حريم

فقال البحترى

حامى عن المكرمات مجتهدا ذب المحامى عن ماله ودمه

وقال أبو تمام

تنصل ربها من غير جرم اليك سوى النصيحة والوداد

فقال البحترى

أقر بما لم أجنته متنصلا اليك على أنى أخالك الوما

وقال أبو تمام

وتند عندهم العلى الا علا جعلت لها مرر القصيد قيودا

فقال البحترى

والمجد قد يابق عن أهله لولا عرى الشعر الذى قيده

وقال أبو تمام

ثك حشاها بخطبة عنز كأنها منه طعنة خلس

فقال البحترى

فرحت جوبتها بخطبة فيصل مثل لها فى الروع طعنة فيصل

وقال أبو تمام

جم التواضع والدنيا بسؤدده تكاد تهتز من أقطارها صلفا

فقال البحترى

أبدى التواضع لما نالها رعة عنها فنالته فاختالت به تيها

وقال أبو تمام

اذا أطلقوه عن جوامع عقله تيقن أن المن أيضا جوامع

فقال البحترى

وفى عفوه لم يعلمون عقوبة تقعقع فى الاعراض ان لم يعاقب

وقال أبو تمام

والاتفاق ههنا انما هو فى القول والفعل ومن ذلك قول أبى تمام

وما يوم زرت اللحد يومك وحده ... علينا ولكن يوم زيد وحاتم

وقول البحترى

يا ابيض وضاح كأن قميصه ... يزر على الشيخين زيد وحاتم

افترى البحترى ما سمع بذكر زيد الخيل ولا حاتم الطاى اللذين يفخر بهما اليمن كلهما فيشبه ممدوحه بهما الامن بيت أبى تمام ومن ذلك قول أبى تمام

لعمرك ما كانوا ثلاثة اخوة ... ولكنهم كانوا ثلاث قبائل

وقول البحترى

كانوا ثلاثة أبحر أفضى بهم ... ولسع المنون الى ثلاثة أقبر

فجعلهم أبو تمام ثلاث قبائل وجعلهم البحترى ثلاثة أبحر فليس ههنا اتفاق الا فى ذكر ثلاثة ومن ذلك قول أبى تمام

كتابا من الالوان ابيض ناصع ... واحمر قانى واصفر فاقع

وقول البحترى

من واضح يقق واصفر فاقع ... ومضرج جسد واحمر قانى

افترى البحترى لم يكن ليهتدى الى أصفر فاقع وأحمر قانى لولا بيت ابى تمام ومن ذلك قول أبى تمام

لولا مناشدة القربى لغادركم ... فريسة المرهفين السيف والقلم

وقول البحترى

زنت الخلافة اشراقا وقد حبطت ... وزدت عن حقها بالسيف والقلم

وكذلك أيضا لم يكن البحترى يهتدى الى الجمع بين السيف والقلم لو لم يجمعهما أبو تمام ومن ذلك قول أبى تمام وقول البحترى

أبى لو نجر النوث أن أرام التى ... اسب بها والنجر يشبه النجر

وقال البحترى

سيد نجر المعالى نجره ... يملك الجود عليه ما ملك

وقد كان ينبغى لابى الضيا أن لا يخرج مثل هذا السرق ولا يفضح نفسه ومن ذلك قول أبى تمام

متوطئو اعقبيك فى طلب العلا والمجد ثمة تستوى الاقدام

وقول البحترى

حزت العلا سبقا وصلى ثانيا ثم استوى من بعده الاقدام

ومثله قول أبى تمام

فى غداة مهضومة كان فيها ناضر الروض للسحاب نديما

وما يجعل مثل هذا مسروقا الا من لا معرفة له بجلى المعانى فضلا عن خفيها ومن ذلك قول أبى تمام يصف الفرس

من نجل كل تليدة اعراقه طرف معم فى السوابق مخول

وقول البحترى

وافى الضلوع يشد عقد حزامه يوم اللقاء على معم مخول

وما فى معم مخول من الغرابة حتى يتلقنه البحترى من أبى تمام على كثرته على الالسن وقول الناس فى مدح الفرس كريم الآباء والامهات وشريف الانساب ومن ذلك قول أبى تمام

فاذرت جمانا من دموع نظامها على الخد الا أن طالعها السفر

وقول البحترى

جرى فى نحرها من مقلتها جمان يستهل على جمان

فالاتفاق ههنا انما هو فى لفظ جمان وقول ذلك نظامها على الخد وقول هذا جرى فى نحرها فلا يقتضى أن يكون أحدهما مأخوذا من الآخر لان الدمع على الخد جريه والى النحر يصل وهذه حال لا يجهلها أحد مما وصف الدمع

ومن ذلك قول أبى تمام

وهل للقريض الغض أو من يحوكه على أحد الا عليك معول

وقول البحترى

وعليك سقياهم لنا اذ لم يكن فى توبة الا عليـــك معول

فخطر على البحترى لفظة معول وحرمها عليه من أجل أن أبا تمام لفظ بها ومن ذلك قول أبى تمام

واذا امرؤ أهدى اليك صنيعة   من جاهه فكأنها من ماله

وقول البحترى

خان حمدى وللرياح اللواتى   تجلب الغيث مثل جهد العيوم

فمعنى أبى تمام مشترك بين الناس وليس مخترعا لأنك أبداً تسمع قول القائل اذا بلغ حاجته بشفاعة أن يقول للشفيع ما اعتد هذه إلا من الله ومنك فليس لابى تمام فيه شيء أكثر من أن أعبر فيه بعبارة حسنة مكشوفة فالبحترى لم أخذ المعنى منه لانه فى العادات موجود ولكنه أحسن فى التمثيل وأغرب وأبدع

« وهذا الآن ما أخطأ فيه البحترى من المعانى قال البحترى »

ذنب كما سحب الرداء يذب عن   عرف وعرف كالقناع المسبل

هذا خطأ من الوصف لأن ذنب الفرس إذا مس الأرض كان عيبا فكيف إذا سحبه وإنما للممدوح من الاذناب ما قرب من الارض ولم يمسها كما قال امرؤ القيس

يضاف فريق الارض ليس باعزل   فقال فويق الارض بقليل

وقد عيب على أمرىء القيس قوله

لها ذنب مثل ذنب العروس   تسد به فرجها من دبر

ومن أدى العيب لحق امرىء القيس فى هذا الان العروس اذا كانت تسحب ذيلها وكان ذنب الفرس اذا مس الارض فهو عيب فليس ينكر ان يشبه الذنب به وان لم يبلغ أن يمس الارض لأن الشيء إنما يشبه بالشيء اذا قرب منه أو دنا من معناه فاذا أشبهه فى أكثر أحواله فقد صح التشبيه ولاق به ولأن امرىء القيس لم يقصد طول الذنب أن يشبهه بطول ذيل العروس فقط وإنما أراد السبوغ والكثرة والكثافة ألا تراه قال تسد به فرجها من دبر وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الارض ولا يكون كثيفا بل يكون رقيقا نزر الشعر خفيفا فلا يسد فرج الفرس فلما قال تسد به فرجها علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول فانما أشبه الذنب الطويل ذيل العروس من هذه الجهة وكان فى الطول قريبا منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب ولا أن يكون ذنب الفرس من أجل تشبيهه بالذيل مما يحكم على الشاعر أيضا أنه قصد إلى أن

الفرس يسحبه على الارض وانما العيب فى قول البحترى ذنب كما سحب الرداء فافصح بان الفرس يسحب ذنبه ومثل قول امرىء القيس قول خداش بن زهير

لها ذنب مثل ذيل الهدى الى جؤجؤ أيد الزافر

الهدى العروس التى تهدى الى زوجها وأيد شديد والزافر الصدر لانها تزفر منه فانما أراد بذيل العروس طوله وسبوغه فشبه الذنب السابغ به وان لم يبلغ فى الطول الى أن يمس الارض ومما يصحح ذلك قولهم فرس ذيال اذا كان طويلا طويل الذنب فاذا كان قصيرا طويل الذنب قالوا اذائل وانما قالوا ذلك تشبيها للذنب بالذيل لا غير قال النابغة

يكل مدجج كالليث يسمو الى أوصال ذيال رفن

رفن ورفل واحد وهو الطويل الذنب وقد استقصيت الاحتجاج لبيت امرىء القيس فيما بينته من سهو ابى العباس عبد الله بن المعتز فيما ادعاه على امرىء القيس من الغلط فى كتابه الذى جمع فيه سرقات الشعراء وقال البحترى

هجرتنا يقظى وكادت على عا داتها فى الصدور تهجر وسني

وهذا غلط لان خيالها يتمثل له فى كل أحوالها يقظى كانت أو وسنى والجيد قوله

اردد دونك يقظانا ويأذن لى عليك سكر الكرى ان جئت وسنانا

فصحح المعنى وآتى به على حقيقته وكذلك قوله

اذا ما تباذلنا النفائس حلتنا من الجدأ يقاظا ونحن ونيلم

وقوله نعذب ايقاظا وننعم هجدا

جيد أيضا لانه حملها على ان حالها مع خياله اذا نامت كحاله مع خيالها اذا نام وان كل واحد منهما ينعم مفردا مع خيال صاحبه لانهما ينعمان معا فى حال واحدة اذا نام احدهما الآخر وانما أخذ معنى بيته الاول وعليه بنى أكثر أوصافه للخيال من قول قيس بن الحطيم

أنى سربت وكنت غير سروب وتقرب الاحلام غير قريب

ما تمنعى يقظى فقد تؤتينه فى النوم غير مصرد محسوب

وما أظن أحدا اسبق قيسا الى هذا المعنى فى وصف الخيال وهو حسن جدا ولكن فيه

أيضامقال لمعترض وذلك هو الذى أوقع البحترى فى الغلط لان قيسا قال ماتمنعى يقظى فقد تؤتينه فى النوم فاراد أيضا أنها تؤتيه نائمة وخيال المحبوب يتمثل فى حال نوم المحب ويقظته كما ذكرت وكان الاجود لو قال ماتمنعى فى اليقظة فقد تؤتينه فى النوم أى ما تمنعينه فى يقظتى فقد تؤتينه فى حال نومى حتى يكون النوم واليقظة معا منسوبة اليه لانه يتسع من التاويل لقيس مالا يتسع للبحترى لان قيسا قال فقد تؤتينه فى النوم فقد يجوز أن يحمل على أنه أراد ما تمنعى يقظى وأنا يقظان فقد تؤتينه فى نومى ولا يسوغ مثل هذا فى بيت البحترى لان البحترى قال وسنى ولم يقل فى الوسن وقال البحترى فى مدح المعتز بالله

لا العذل يردعه ولا التعنيف عن كرم يصده

وهذا عندى من أهجن ما مدح به خليفة وأقبحه ومن ذا يعنف الخليفة أو يصده ان هذا بالهجو أولى منه بالمدح وقال البحترى

تشق عليه الريح كل عشية   جيوب الغمام بين بكر وايم

وهذا أيضا غلط لانه ظن أن الايم هى بالثيب وقد غلط فى مثله ابو تمام وذكرته فى غاليطه وسها فيه أيضا بعض كبار الفقهاء فظن البحترى أن الايم هى الثيب فجعلها فى البيت ضد البكر والايم هى التى لا زوج لها بكرا كانت أو ثيبا قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم أراد جل ثناؤه اللواتى لا أزواج لهن فالبكر والثيب جميعا داخلتان تحت الآية فتكون بكرا وتكون ثيبا وتكون بكرا ومعنساوكعابا الا أن لفظة ايم لا نزول عن شىء من هذه الاوصاف وليست عبارة الا عن التى لا زوج لها لا غير وقد شرحت هذا المعنى شرحا شافيا فى غلط ابى تمام

وقال البحترى

شرطى الانصاف أن قيل اشترط   وصديقى من اذا قال قسط

وكان يجب أن يقول أقسط اى عدل وقسط بغير الف معناه جار قال الله تبارك وتعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقال ان الله يحب المقسطين

وقال البحترى

صبغة الافق بين اخر ليل   منقض شأنه وآخر فجر

يصف فرسا أشقر أو خلوقيا والحمرة لا تكون بين آخر الليل وأول الفجر وهو عندى فى هذا غالط لان أول الفجر الزرقة ثم البياض ثم الحمرة عند بدوء قرن الشمس كما أن آخر النهار عند غيبوبة الشمس الحمرة ثم البياض ثم الزرقة وهى آخر الشفق

وقال البحترى

وازرق الفجر يبدو قبل أبيضه وأول الغيث رش ثم ينسكب

وقال آخر

وان يسجع القمرى فيها اذا غدا بركبانه قرن من الشمس أزرق

وكان البحترى أراد أن يقول بين آخر ليل منقض شأنه وأول نهار فيكون قد قابل بين الليل والنهار والحمرة قد تكون بين آخر الليل وأول النهار كما تكون بين آخر النهار وأول الليل فقال وأول فجر صفرة والجيد فى هذا قول أبى تمام يصف فرسا باشقر * كأن بل كسفت فى أديمة الشمس وقال البحترى

قف العيس قد أدنى خطاها كلالها وسل دار سعدى ان شفاك سؤالها

هذا لفظ حسن ومعنى ليس بالجيد لانه قال قد أدنى خطاها كلالها أى قارب من خطوها الكلال وهذا كانه لم يقف لسؤال الدار التى تعرض لان يشفيه سؤالها وانما وقف لاعياء المطى والجيد قول عنترة لانه لما ذكر الوقوف على الدار احتاط بان أشبه ناقته بالقصر فقال

فوقفت فيها ناقتى وكأنها فدن لاقضى حاجة المتلوم

قال ذلك ليعلم أنه لم يقف بها ليريحها وقد كشف عن هذا المعنى ذو الرمة فاحسن وأجاد فقال

أنخت بها الوجناء لا من سآمة لثنتين بين اثنين جا وذاهب

يقول أنخت بها لاصلى لا من سآمة بها وقوله لثنتين يريد اللتين يقصرهما المسافر بين اثنين جاء يريد الليل وذاهب يريد النهار فان قيل فانما قال قد أدنى خطاها كلالها ليعلم أنه قصد الدار من شقة بعيدة قيل العرب لا تقصد الدار للوقوف عليها وانما تجتاز بها فيقول الرجل لصاحبه أو صاحبيه قف وقفا وانما ذلك تعريج على الديار فى مسيرها وسأزيد فى شرح هذا المعنى فيما بعد عند ذكر الوقوف على الديار وقال البحترى

غريب السجايا ما تزال عقولنا مدلهة فى خلة من خلاله

اذا معشر صانوا السماح تعسفت به همة مجنونة فى ابتذاله

قوله اذ معشر صانوا السماح معنى ردى لان البخيل ليس من أهل السماح فيكون

له سماح يصونه وسواء عليه قال صانوا السماح أوصانوا الجود أو صانوا الكرم فان هذا كله لا يملك البخلاء منه شيئا وهو منهم بعيد فكيف يصونونه فان قيل انما قام السماح مقام الشيء الذي يسمح به وفي مجازات العرب ما هو أبعد من هذا قيل للبحتري لا يسوغ مثل هذا ولا يجوز له لانه متأخر ولا سيما ان ليست ههنا ضرورة لانه كان يمكنه أن يقول صانوا الثرى مكان صانوا السماح (وهذا ما عيب به البحتري وليس بعيب) وانما ذكرته ليلا يظن ظان أنه صحيح واني تخطيئة فمن ذلك ما نعاه عليهم أصحاب أبي تمام وهما بيتان وقد ذكرت احتجاج أصحاب البحتري فيهما في الجزء الاول من هذا الكتاب وانا أعيد ذكرهما لزيادة عندي في الاحتجاج يحتاج اليها

انكروا عليه قوله

تخفى الزجاجة لونها فكانها في الكف قائمة بغير اناء

وقالوا وملء الاناء دبسا فكانت هذه حاله والمعنى عندي صحيح لا عيب فيه ولا قدح وذلك أن الرجل قد دل بهذا الوصف على أن شعاع الشراب في غاية الرقة فاعتمد أن وصف الاناء وما فيه ووصف الهيئة على ماهي عليه وانما أخذ المعنى من قول علي بن جبلة

كأن يد النديم تدير منها شعاعا لا تحيط عليه كاس

الا ترى أن هذا أيضا قد دل على أن الكاس في غاية الرقة ومثله قول الآخر

انما نعجتنا موسومة ضمنت حمراء ترمى بالزبد

واذا ما نزلت في كاسها فهي والكأس معاشيء أحد

وقد انشد أبو العباس ثعلب بيت البحتري هذا في اماليه وقال أنه أخذ المعنى من قول الاعشى

تريك القذى من دونها وهي دونه اذا ذاقها من ذاقها يتمطق

قال أبو العباس وهذا البيت أجود ما قيل في وصف الخمرة لانه جمع بين اللون والطعم ونحوه قول الآخر وهو الاخطل

ولقد تباكرني على لذاتها صهباء عارية القذى خرطوم

يريد أنها صافية فالقذى فيها لا يستتر ولم يعب أبو العباس البحتري ولا طعن في بيته بل ذلك انشاده وذكره في موضع السرق على استجادته واستحسانه اياه وأنكروا قوله

ضحكات فى أثرهن العطايا   وبروق السحاب قبل رعوده

وقالوا أقاموا الرعود مقام العطايا وانما كان ينبغى أن يقيم الغيوث مكان العطايا وهذا جهل مما قاله بمعانى كلام العرب ومعنى التمثيل فى البيت صحيح لان الرعد مقدمة الغيث وقل رعد لا يتلوه المطر واذا كان هذا هكذا فقد صار المعنى كانه أول له وانما أخذ البحترى المعنى من قول بشار

وعد الجواد يحث نائله   كالبرق ثم الرعد فى أثره

وظنهما جميعا أخذا المعنى من قول الاعشى

والشعر يستنزل الكريم كما استنزل رعد السحابة السيلا

فاقام الرعد مكان الغيث ونحو قوله بشار

حلبت بشعرى راحتيه فدرتا   سماحا كما در السحاب على الرعد

وأنشد ابن الاعرابى فى نوادره

فان لم أصدق ظنهم بتيقنى   فلا سقت الاوصال منى الرواعد

فجعل التى تسقى هى الرواعد وقال الكميت

وأنت فى الشتوة الجماد اذا   أخلف من أنجم رواعدها

ومثل هذا كثير فى كلامهم لا ينكره منكر وقال أبو تمام

وكذا السحائب قلما تدعو الى   معروفها الرواد ما لم تبرق

فجعل البرق عند الرواد دليل الغيث وقد يكون برق لا مطر معه كثيرا وبرق الخلب هذه حاله فالبحترى فى أن أقام الرعد مقام الغيث أعذر من أبى تمام لانه قد يرتفع سحاب وبرق لا مطر فيه فاذا أرعد لا يكاد يخلف ومن ذلك قول أبى تمام

يا هلالا أوفى بأعلى قضيب   وقضيبا على كثيل مهيل

وقالوا هذا خطأ لأن الكثيب اذا كان مهيلا فانه يذهب ولا يستمسك وذلك مذموم من الوصف قالوا والجيد قوله

كالبدر غير مخيل والغصن غير مميل والدعص غير مهيل

وقالوا قد تراه هنا كيف شرط فى الدعص لما مثل العجز به أن جعله غير مهيل لأن

العرب اذا شبهت أعجاز النساء بكثبان الرمل شرطت فيها أن تكون ندية وأن تكون ممطورة كأنها الكثبان غب سارية ناوية سمان من التى وهو الشحم كقول الآخر مثل الكثيب اذا مابله المطر وكما قال مرداس بن أبى عامر السلمى

اذا هى قامت فى النساء حسبت ما   فويق تطاق العقد صعدة مأسم

وأسفل منه ظهر دعص أصابه   نجاء السماك فى الكثيب المحسم

وقال الاخضر بن جابر الفزارى

بكرت أثناء اللفاع الاتحمى   بمثل دعص الرملة المديم

أراد الذى قد بلته الديمة وهى السحابة وقال جندل بن المثنى الطهوى

لا بل كد عصاء نفاها مثرى   عقراء حفت برمال عفر

وقال امرؤ القيس

كحقف النقا يمشى الوليدان فوقه   بما احتبسا من لين مس وتسهال

والحقف المستدير من الرمل لأن الريح تنحله وتجمعه وقال يمشى الوليدان فوقه لأن الندى اصابه فهو صلب وفيه مع ذلك لين ونعمة وقد شبه امرؤ القيس أيضا كفل الفرس بالدعص الندى فقال

له كفل كالدعص لبده الندى   الى كاهل مثل الرتاج المضبب

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت

وان مال الضجيع بها فدعص   من الكثبان ملتبد مطير

قالوا هذا الوصف الجيد هو المعنى الصحيح من معانى العرب ولولا أن تشبيه أرادفه بالكثيب المنهال خطأ لماقال البحترى فى بيته الآخر والدعص غير مهيل وهذا المذهب الذى ذهبوا اليه لعمرى صحيح من مذاهبهم الا أن الشعراء اذا شبهت أعجاز النساء بكثبان الرمل ووصفتها بالانهيال فانما تقصد الى تحرك أعجازهن عند المشى كما قال رؤبة بن العجاج

اذا وصلن العوم بالهركل   رجرجن من أعجازهن الخزل

أوراك رمل والج فى رمل

فقال أوراك رمل والج فى رمل ولوجه تحركه ودخول بعضه فى بعض وكما قال الاعشى

ورادفة تثنى الرداء تساندت الى مثل دعص الرملة المتهيل

فياف كغصن البان ترتج ان مشت دبيب قطا البطحاء فى كل منهل

فدل بقوله ترتج ان مشت على أن قوله الى مثل دعص الرملة المستهيل انما أراد تحرك عجزها فى حال مشيها وكذلك قوله رؤبة

ميالة مثل الكثيب المنهال عزز منه وهو معطى الاسهال

صوب الشوارى متنه بالتهتال

التهيال والهتال واحد فقال مثل الكثيب المنهال لما قال ميالة أى أنها تتثنى فى مشيتها وتتحرك روادفها وشرط أنه عزز منه صوب السوارى أى شده ليمنع من سيلانه وذهابه وانما أراد حالا بين الحالين الاتراه قال وهو معطى الاسهال شدة صوب السوارى وهو مع ذلك يتهيل وقاو ابن أخى سفيان الغامدى

ذات شوى عبل وخصرا بتل وكفل مثل الكثيب الاهيل

فاراد بالاهيل الذى يتدحرج عند المشى وقال المقنع الكندى

اذا قامت تنوء بمرجحن كدعص الرمل ينهل انهيالا

فجاء بذكر الانهيال من أجل ذكره للقيام ولو لم يذكره لكان غرضه فيه معروفاو قال عبد الرحمن بن الحكم

كأن ما بين قصراها وخنصرها منها نقا دمث من عالج هار

فقصراها آخر الاضلاع وهى القصرى والقصيرى فدل بقوله هار على أنه أراد تحرك روادفها فكذلك قول البحترى وقضيب على كثيب مهيل انما أراد تحرك أردافه وقد دل على المشى بقوله ياهلالا أوفى باعلى قضيب فالمعنيان لا يتناقضان لان الشاعر اذ ذكر الانهيال فانه أراد الحركة عند المشى وان لم يذكر ذلك وشرط فى الكثيب الندى واصابة الغيث فانما قصد ان ينص على اجتماعه واستمساكه كما قال رؤبة ميالة مثل الكثيب المنهال ثم قال عزز منه وهو معطى الاسهال صوب السوارى متنه بالتهتال فانتظم الوجهان جميعا والذى شرح هذين المعنيين اتم الشرح وابر فى الوصف على كل محسن تميم بن أبى بن مقبل فى قوله يصف مشى النساء

يمشين هيل النقا مالت جوانبه ينهال حينا وينهاه الثرى حينا

انما أراد بقوله ينهال حينا تحرك اعجازهن اذا مشين كما يتحرك جانب الرملة للانهيال فينهاه الثرى وهو ما تحته من التراب والرمل الندى وهذا الاشىء أوضح منه ومن ذلك قوله

متى أردنا وجدنا من يقصر عن مسعاته وفقدنا من يدانيه

وقالوا اليس هذا بالجيد لانه وصف يشرك ممدوحه فيه البقال والمراق وباعة الدواء ولقاط النوى لان هؤلاء أيضا متى شيئا وجدنا سن يقصر عن مسعاتهم وهو الحجام والكناس والنباش والبيت عندى صحيح وغرض البحترى فيه معروف ومثله قول الاعشى

وأخو النسا متى يشا يصرمنه ويعدن أعداء بعيد وداد

وهو لايشاء بذلك وانما أراد أن ذلك سهل موجود فى النساء وكذلك قول البحترى متى أردنا وجدنا أى أن ذلك موجود سهل حاصل وان لم يكن هناك ارادة ولا طلب لان تلك حال قد علمت منه وقد صحح المعنى ووكد المدح بقوله وفقدنا من يدانيه والبقال والمراق وأمثالهما غير مفقود من يدانيهم فجعل البحترى أحد القسمين فى البيت معلقا بالآخر أى ذلك كله سهل موجود ولو اقتصر على النصف الاول كان لعمرى فيه متعلق ومن ذلك قوله

تهاجر أمم لاوصل يخلطه الا تزاور طيفينا اذا هجرا

قالوا والطيفان لايهجران وانما أراد اذا هجرا انا وقال اذا هجر وقد سمعت من يحتج فيه بما لا يبعد عندى من الصواب وهو ان قال انه أراد الا تزاور نفسينا اذا هجرا فاقام الطيف مقام النفس وقال هجرا ولم يقل هجر نا للفظ الطيف وهو مذكر وقال ان النفس تنام على الحقيقة كما قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فقيل له النفس لعمرى يطلق عليها النوم فاذا نامت رأت خيالات الاشياء التى ترى حقائقها فى اليقظة فالنفس غير الخيال وقد تتمثل للنفس فى حال يقظتها وان لم ترها العين فليس النفس من الخيال فى شىء قال فاذا كانت النفس والخيال يلتقيان فى النوم فلم لا اسميها خيالين وان كان أحدها خيالا والآخر نفسا على المجاز الذى تفعله العرب وهذا عندى احتجاج صحيح ويصح عليه البيت ومما نسبوا فيه البحترى الى سوء التقسيم

فكان مجلسه المحجب محفل وكان خلوته الخفية مشهد

وقالوا أنه ليس المصراع الثانى من الفائدة الا ما فى الاول لان مجلسه المحجب هى خلوته الخفية وقوله محفل كقوله مشهد والمعنى عندى صحيح لان المجلس المحجب قد يكون فيه الجماعة الذين يخصهم وفى الاكثر الاعم لا يسمى مجلسا الا وفيه قوم الا ترى الى قول مهلهل واستب بعدك يا كليب المجلس أى أهل المجلس على الاستعارة فجعل البحترى مجلسه الذى احتجب فيه مع ما يخصه كالمحفل والمحفل هو الجمع الكثير والخلوة الخفية قد يكون فيها منفردا وقد يكون معه محبوب فيها وبين المجلس والمحفل فرق فكانه اذا خلا خلوة خفية وفيها معه من يشاهده ومن يشاهده يجوز أن يكون واحدا أو اثنين والمحفل لا يكون الا عددا كثيرا فهذا أيضا فرق صحيح وانما أراد البحترى انه لا يفعل فى مجلسه المحجب الا ما يفعله فى المحفل ولا يفعل فى خلوته الخفية الا ما يفعله مع من يشاهده بنسبه الى شدة التصاون وكرم السريرة ومثله قوله

أمين الله دمت لنا سليما ... ومليت السلامة والدوايا

قالوا وقوله دمت لنا سليما هو قوله مليت السلامة والدوايا فان هذا قبيح جدا وليس الأمر عندى كذلك بل القسمة صحيحة لانه لما تقدم ذكر السلامة والدوام فى أول البيت قال فى عجزه ومليت السلامة أى ادعت لك تلك السلامة والملاوه بكسر السين وضمها وفتحها ذكر ابن السكيت لها ثلاث لغات وذلك الدوام وليس بمنكر ان يقول دام لك الدوام كما يقول طال طولك وقر قرارك وضل ضلالك وزال زوالك وذلك كلام مستعمل حسن ومعنى مليت اطيلت وادعت مثل تمليت وهو مأخوذ من الملاوة والملواة وهما الدهر والملوان الليل والنهار ومنه قولهم وقفت مليا وقال البحترى

اليوم أطلع للخلافة سعدها ... وأضاء فينا بدرها المتهلل

لبست جلالة جعفر فكأنها ... سحر تجلله النهار المقبل

وقالوا هذا معنى فاسد لان السحر طرة النهار وأوله وبدء ضيائه والشىء فى مثل هذا لا يتجلل أوله لان التجلل هو ان يشتمل عليه ويغطيه والسحر أمام النهار أبداً فلا يجوز أن يتغشاه لان المتصل بالظلمة والمختلط بها والطارد لها فهو يبدو وحول كرة الارض دائما على صورة واحدة لا يتغير وهذا عندى معارضة صحيحة الا ان هذا

معنى يتجاوز فى مثله لان البحترى انما أراد تجلله النهار فى رأى أعيننا وما نشاهده لان زرقة السحر لما استطار الضوء صار كأنه شيء غطى عليها وان كانت حقيقتها انها انقلبت الى قطر آخر من الارض

وقال البحترى

لم أر كالهجر يرحم معذبه والوصل لم يعتمد معطاه بالجود

وهذا بعضهم كان يراه سهوا ويقول ان المعذب بالهجر مرحوم فاما الذى يواصله حبيبه فمغبوط ابدا ومحسود وقد قيل فى ذلك من الاشعار ماهو أشهر واكثر فنها قول يزيد بن الطثرية

أعوذ بخديك الكريمين ان يرى لنا حاسد فى غير الوصل مطمعا

وقول أبى صخر الهذلى

فقد تركتنى احسد الطير ان أرى اليفين منها لم يروعهما النفر

وقول جرير

ويحسد ان يزوركم ويرضى بدون البذل لو علم الحسود

وقول جميل بن معمر

لولا الوشاة لزرتكم بيلادكم لكن أخاف مقالة الحساد

وقول عتبة بن مجر الحارثى

أيام تهجرنى ليلى وأحسدها وأطيب العيش عندى مضغة الحسد

أى هى تهجرنى وأنا أحسدها أى احسد عليها وليس الامر عندى فى هذا البيت ماتاوله المتاول وظنه وذلك ان البحترى لم يرد بقوله لم أر كالهجر لم يرحم معذبه حسن الهجر ولا حسن التوصل فيخرج الكلام مخرج العموم لكل هجر وكل وصل يقال أهلك الناس الدينار والدرهم وانما أراد لم أر كالهجر لم يرحم معذبه أى كالهجر الذى هذه حاله ولم يرد كل الرجال وكيف يظن مثل هذا بالبحترى وهو يقول

ويحسد ان يسرى الينا من الهوى عقائل يعتاد الهوى باعتيادها

فكم نافسوا فى حرقة اثر فرقة تعجب من أنفاسنا وامتدادها

فقد ترى كاسف يزعم انه يحسد على الجوى وعلى الحرق فكيف على الوصل

وقال البحترى

اى ليل يبهى بغير نجوم وسحاب يندى بغير بروق

عابه بعضهم بهذا وقالوا فديكون برق ولا عبث معه وهو بر فى الخلب والرجل لم يقل لا برق الا ومعه مطر وانما قال لا مطر الا ومعه برق وسمعت من يعيب قوله

كالروض مؤتلقا بحمرة لونه وبياض زهرته وخضرة عشبه

ويقول النور هو الابيض والزهر هو الاصفر بلا محالة فاذا قلت فى هذا الروض أنوار مختلفة جاز ذلك لانك تضم الى البياض غيره فيجرى الرسم على الجميع على سبيل المجاز كما تقول العمران لابى بكر وعمر رضى الله عنهما والقمران للشمس والقمر وما أشبه ذلك وكذلك اذا قلت فيها ازهار كثيرة جاز ذلك وان كان فيها أبيض واحمر وماسواهما من الصفرة توسعا ومجازا فاذا فصلت مقيدا لان تخص كل جنس باسم كما فعل البحترى لم يجز ان يعدل بكل جنس عن اسمه المخصوص فتقول حينئذ يعجبنى من هذا الموضع صفرة زهره وبياض نوره وحمرة شقائقه ولا يجوز أن تقول يعجبنى حمرة نوره ولا بياض زهره كما قال البحترى لان ذلك خطأ فى اللغة على ما استعملته العرب ولعمرى أن هذا هو الاشهر فى كلامهم والاغلب في المأثور عنهم الا أنهم قد جعلوا الزهر نورا والنور زهرا وجاء ذلك فى الشعر قال عدى بن زيد

حتى تهول مشتكا له زهر من التناوير شكل العهن فى اللوم

اللوم جمع لامة ولومة وهى متلع الرجل فى الاشلة والولايا تكون موشاة بالعهن والصوف المصبوغ بالحمرة وغير ذلك من الالوان فقال زهر ثم قال من التناوير وقال شكل العهن وقال زهير بن مسعود

متنور غدق مندى قربانه مثل العهون من الخوطر مقمر

وقال ابو النجم

فالروض قد نور فى حوثه مختلف الالوان فى اسمائه

نور تحار الشمس فى حمراء مكللا بالنور من صفرائه

فقال بالنور من صفرائه وقال حميد بن ثور

كأن على اشداقه نور حنوة اذا هو مد الجيد منه ليطمعا

يصف فرخ الحمامة وصفرة أشداقه ويشبهها بصفرة نور الحنوة ولم يقل زهرة حنوة وقال الاعشى

وشمول تحسب العين اذا صفقت وردتها نور الذبح

والذبح نبت ونور احمر شديد الحمرة ويقال له الذبح وهذا كله دليل على أن هذه الاسماء تستعمل فى هذه الالوان كما ترى على اختلافها وسمعت من يعيب قوله

فجدل وموحد ومرمل ومضرج ومضمخ ومخضب

ويقولون أن قوله مضرج ومضمخ ومخضب بمعنى واحد ذكر أنه ان أراد رجلا واحدا انه مضرج ومضمخ ومخضب جاز لان لفظة تكون مؤكدة للاخرى قال ولكنه أراد منهم مضرج ومنهم مخضب كما فهم فى صدر البيت ولعمرى أن البحترى كذلك أراد وليس بمنكر لان التضرج من التضريج وهى الحمرة المشرقة التى ليست بقانية والمضمخ يريد غلظ الدم وأنه فى متانة الطيب الذى يتضمخ به والمخضب أرام أن الدم قد خضبه كما يخضب بالحناء ففى كل لفظة ماليس فى الاخرى وان كانت الحمرة قد شملت الجميع لان المضرج يجوز أن يكون أراد به طراوة الدم أى منهم حديث عهد بالقتل والمضمخ من قد خثر عليه الدم كان قتله قد تقدم قبل الآخر والمخضب يجوز أن يكون مضى لقتله يوم وأكثر فقد اسود عليه الدم وهذه معان كلها محتملة وقد يجوز أن يريد بقوله مضرج سائر جسده وبالمضمخ أن السيف أخذ عورضه وتحت لحيته وذلك موضع من مواضع التضمخ بالطيب وأراد بالمخضب أن السيف أخذ فى رأسه ويديه ورجليه وذلك مواضع الخطاب وقد يكون المضرج المقطع يقال ضرجته اذا قطعته وهذا معان لطيفة وقد يجوز أن يعتمد بها والوجه القوى هو الاول وسمعت قوما ينكرون قوله فى وصف الخمر

وفواقع مثل الدموع ترددت فى صحن خد الكاعب الحسناء

ويقولون أن الدموع لا تتردد فى الخد كما يتردد الحباب فى الكاس وانما الدمع يجرى ويتتابع والمعنى صحيح ولا عيب فيه لان التردد قد يكون الجولان وقد يكون التابع والتواتر يقال قد تتابعت كتبى اليك وترددت بمعنى وتواترت كتبى وتتابعت والكتاب الاول هو غير الثانى وكذلك قد يكون الرسول الثانى وانما حسن أن يقال تتابعت وترددت لان كل واحد من الرسل رسول فلما ضمهم اسم واحد حسن استعمال التتابع والتردد وان كانت أشخاصا متباينة وكل واحد غير الاخر فكذلك الدمع حسن أن يقال قد تتابعت دموعه

على خده وترددت وان كانت كل دمعة غير الاخرى والحباب وان جال فى القدح حائرا فيه فانه ربما جرى فيه على جهة واحدة كما يجرى الدمع على جهة واحدة وهذا من أحسن التشبيه واليقه لان الخمر قد يكون منها أحمر الى التوريد الخفيف كحمرة الخدو خاصة اذا أرقت بالماء كما قال الشاعر

كميت اذا فضت وفى الكاس وردة　　　لها فى عظام الشاربين دبيب

فاذا شبهت الخمرة بالخدوذكر الحباب فمن اليق ماشبه به وأحسنه وأصحه الدمع لان الدمع قد يقف فى الخد كوقوف الحباب فى صحن الكاس وباب اختلاف حركة الحباب أوحركة الدمع فليس كل شىء يشبه بشىء يقع التشبيه فيه من جميع الجهات حتى لا يغادر منها شيء وقد يكون انما شبه به ببعض مافيه لا بكله

ورأيت ممن عاب قوله

وصبغت أخلاقى برونق خلقه　　　حتى عدلت أجاجهن بعزبة

وقالوا انما كان ينبغى لما ذكر الاجاج والعذب ان يقول فمزجت لا ان يقول وصبغت أو لما قال وصبغت ان يقول حتى عدلت ألوانهن بحسن لونه وليست هذه المعارضة بشىء والمعنى صحيح وذلك انه ليس هناك صبغ على الحقيقة فيقابل بذكر لون حتى يتكافىء المعنيان ولا مشروب عذب ولا اجاج على الحقيقة فيستعمل بذكر المزاج وهذه استعارات ينوب بعضها عن بعض ويقوم بعضها مقام بعض لانها ليست بحقائق فيما استعيرت له الا ترى انك تقول فلان قد شارك فلانا وخالطه ومازجه وانصبغ به بمعنى واحد وان كان بعضها أوكد من بعض ولا يكون هناك مداخلة ولا ممازجة لجسم فى جسم ولا مخالطة على الحقيقة

ومما عيب عليه من التعسف والتعقيد فى اللفظ قوله

فتى لم يمل بالنفس منه عن العلى　　　الى غيرها شىء سواه مميلها

وكان بعض الناس يرى انه لاحن ويقول انه انما أراد فتى لم يمل بنفسه عن العلى شىء مميل نفس سواه أى ما يميل النفس عن المعالى اللهو واللعب والدعة وحب الراحة والضن بالمال ونحو هذا من الاشياء الشاغلة عن السؤدد فقدم سواه وكنى عن النفس بقوله مميلها بعد ان حذفها قال وذلك غير جائز لانك اذا قلت لن يضرب هامة عمرو فقلت لن يضرب هامة عمرو واحد غير ضاربها وجعلت الهاء فى ضاربها كناية عن الهامة لتقدمها جاز

لان البصريين من النحويين يقولون هامة غير ضاربها هو كما انه لو قال شيء نفس سواه مميلها هو جار فان فصلت الاضافة واسقطت هامة وقدمت غيره فقلت لن يضرب هامة عمرو واحد غير ضاربها لم يجز لاسقاطك الهامة التى كنايتها الهاء فى قولك ضاربها ولا تجوز الكناية عن غير مذكور ومثل هذا فكذلك لا يجوز فى البيت شيء سواه مميلها وهو يريد شيء نفس سواه مميلها لان الهاء فى قوله يميلها كناية عن النفس فلا يجوز اسقاط النفس وهذا لعمرى ان كان البحترى أراده فهو غالط غير انه والله أعلم انما أراد فتى لا يميل بالنفس منه عن العلى الى غيرها شيء بخفض شيء على ان الممدوح هو الذى لم يمل بنفسه عن العلى الى شيء غيرها ثم قال سواه مميلها على الابتداء والخبر أى لكن سواه من الناس مميلها فاضمر لكن وهذا سائغ وأنشد سيبويه

على الحكم المأتى يوما اذا قضى قضيته ان لا يجور ويقصد

قال أراد ولكنه يقصد فاضمر لكن فلذلك رفع يقصد وعلى انه مستعمل كثير فاش فى الكلام ان تقول زيد لا يقعد عن المكارم وعمرو يقعد عنها وأنا لا أجفوك انما بكر الجافى لك فيكون الكلام مستغنيا بنفسه فلا يحتاج الى اضمار فان سلم البيت من عيب اللحن لم يسلم من عيب التعسف ولست أعرف بيتا تعسف فى نظمه غير هذا ومن ردىء التجنيس وقبيحه

أمنا ان تصرع عن سماح وللامال فى يدك اصطراع

يقول امنا ان يغلبك غالب يصرعك عن السماح ويمنعك منه وللامال فى يدك اصطراع أى تنافس وتغالب وازدحام وقوله فى يدك لان العطاء اليها ينسب وقد جاء بهذه اللفظة فى موضع آخر فقال يصف اخلاق الممدوح

يتصرع عن للرجاء دنوال مزن والودق خارج خلله

وهى ههنا أقل قبحا منها فى البيت الاول ولو قال يتدانين للرجاء دنو المزن كان أحسن فى اللفظ وأوفق من أجل التجنيس ولكن يتصرعن أوكد فى المعنى لانه بمعنى يتساقطن ويتطرحن يريد الاسراع الى الرجاء من غير ترفق ولا توق للانحطاط والوقوع ليدل على الحرص والشهوة وقد جاء بهذه اللفظة فى موضع آخر وأوقعها موقع الذم فقال

من يتصرع فى أثر مكرمة فدأبه فى أتباعها دابه

يريد من تساقط فى أثر مكرمة اذا سعى لطلبها ولم يكن له نهوض فيها فدأب الممدوح دأبه المعروف المشهور منه أى جده ولحاقه وحرك الدأب الثانى وسكن الأول ومعناهما واحد ويجوز أن يكون أراد فدأبه فى اتباعها أى عادته فى اتباعها دأبه أى سعيه وحركته وهو أجود ومن ردى التجنيس أيضا قوله

حييت بل سقيت من معهودة عهدى عدت مهجورة ما تعهد

ويروى سقيت من معمورة يخاطب الدمن أى عهدى بها معمورة معهودة ومن روى معهودة عهدى أى عهدى بها معهودة فغدت معهودة ما تعهد وقد يكون تعهد من التعهد ويكون قوله ما تعهد أى قد نسيت وهذه شبه تجنيسات أبى تمام

« باب فى اضطراب الأوزان »

وما رأيت شيئا مما عيب به أبو تمام الا وجدت فى شعر البحترى مثله الا أنه فى شعر أبى تمام كثير وفى شعر البحترى قليل من ذلك اضطراب الاوزان فى شعر أبى تمام وقد جاء فى شعر البحترى بيت هو عندى أقبح من كل ما عيب به أبو تمام فى هذا الباب وهو قوله

ولماذا تتبع النفس شيئاً جعل الله الفردوس منه بواء

وكذلك وجدته فى أكثر النسخ وهذا هذا خارج عن الوزن والبيت من العروض هو البيت الاول من الخفيف سداسى فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن « قلت وجدت على حاشية النسخة التى كتبها الشيخ عبد الكريم اعتراضا على قول المصنف وكذلك وجدته فى أكثر النسخ وهذا نص ماقاله

قوله وكذلك وجدته فى أكثر النسخ لا يلزم من وجدانه فى أكثر النسخ أن تكون لفظة الفردوس فى البيت من نظم البحترى لاحتمال انها من الكاتب الاول وقعت سهوا لان البحترى أجل من أن يجهل أوزان الشعر فلو كان الرواة رووا عنه هذا لامكن التأويل باحتمال السهو منه حال الرواية ثم قوله وجدته فى أكثر النسخ مشكل ومن أين له أن الذى وقف عليه من النسخ فان الاكثرية لا تعلم الا اذا علم عدد النسخ جميعها الموجودة فى ذلك الوقت وهو أمر متعذر فالاعتراض حينئذ لا محل له لظهور أن الغلط من الكاتب الاول لبعض النسخ » وتقطيعه

ولماذا . تتبعن . نفس شيئا . جعلل لاهل . فردوس من . هبوآء

فعلاتن . مفاعلن . فاعلاتن . فعلاتن . مستفعلن . فعلاتن

فحذف الف فاعلاتن الاول والثانية والاخيرة فصارت فعلاتن وسين مستفعلن الاول فصارت مفاعلن وذلك كله زحاف جائز وزاد فى البيت سببا وهو حرفان الهاء من اسم الله عز وجل واللام من لفظ الفردوس وهو اكتفاء ولا أعرف مثل هذا البيت وقد رأيت فى بعض النسخ جمل الخلد منه بوآء فان يكن هكذا قال فقد تخلص من العيب ويكون تقطيع البيت جعلا لاهل خلد من هبوآء

وقال البحترى

حلائتنا عن حاجة ممنوع　　　مبتغاها وحاجة ممطوله

وهذا من العروض هو البيت الاول من الخفيف وتقطيعه

حلالنا عن حاجتن ممنوعن　　　مبتغاها وحاجتن ممطوله

فاعلاتن مستفعلن مفعولن　　　فاعلاتن مفاعلن مفعولن

وكان يجب أن تكون عروض البيت وهى مفعولن الاول فاعلاتن ولا يجوز فيها مفعولن لو كان البيت مصرعا لجاز فى عروضه مفعولن كما جاز فى ضربه وهى القافية وذلك قوله ممطوله وأما جعله مفاعلن فى موضع مستفعلن الثانية فى البيت فذلك جائز من الزحاف وقد غير قوم هذه اللفظة فى البيت وهى ممنوع فقالوا بمنوع مبتغاها من عاتق وو ال عليها ويكون مبتغاها فى موضع نصب بمنوع وهو محتمل

قال ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى وأنا أذكر باذن الله الان فى هذا الجزء المعانى التى يتفق فيها الطائيان فاوازن بين معنى ومعنى واقول ايهما أشعر فى ذلك المعنى بعينه فلا تطلبنى أن أتعدى هذا الى أن أفصح لك بايهما أشعر عندى على الاطلاق فانى غير فاعل ذلك لانك ان قلدتنى لم تحصل لك الفائدة بالتقليد وان طالبت بالعلل والاسباب التى أوجبت التفصيل فقد أخبرتك فيما تقدم بما أحاط به علمى من نعت مذهبيهما وذكر مطلوبيهما فى سرقة معانى الناس واستحالهما وغلطهما فى المعانى والالفاظ واساءة من اساء منهما فى الطباق والتجنيس والاستعارة ورداءة النظم واضطراب الوزن وغير ذلك مما أوضحته فى مواضعه وبينته وماسيعود ذكره فى الموازنة من هذه الانواع على مايقوده القول وتقتضيه الحجة وماستراه من محاسنهما وبدائعهما وعجب

أوقع الكلام على جميع ذلك وعلى سائر اغراضها ومعانيها فى الاشعار التى ادتبها فى الابواب وانبه على الجيد وافضله على الردى وأبين الردى وارذله واذكر من علل الجميع ماينتهى اليه التخليص وتحيط به العناية ويبقى مالم يمكن اخراجه الى البيان ولا اظهاره الى الاحتجاج وهى علة مالا يعرف الا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة وبهذا يفضل أهل لحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته وقلت ذريته بعدان يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الطباع وامتزاج والا لايتم ذلك واكلك بعدذلك الى اختيارك وماتقضى عليه فطنتك وتمييزك فينبغى أن تتم النظر فيما يرد عليك ولن ينتفع بالنظر الا من يحسن أن يتأمل ومن اذا تأمل علم ومن اذا علم انصف ثم ان العلم بالشعر ان خص بان يدعيه كل أحدوان يتعاطاه من ليس من أهله فلم لايدعى أحدهؤلاء المعرفة بالعين والورق والخيل والسلاح والرقيق والبز والطيب وأنواعه ولعله قدلابس من أمر الخيل وركوبها والسلاح والعلم بذلك والرقيق واقتنائه والثياب ولبسها والطيب واستعماله اكثر مماعاناه من أمر الشعر وروايته فلايتهم نفسه فى المعرفة بالشعر تهمته اياها بالمعرفة ببعض هذه الاشياء مما عاناه وتناوله وما باله وقدركب الخيل كثير الماراقه من الفرس ملاحة سبيبه واستدارة كفله وبريق شعره وحسن اشرافه وعنقه وموضع نتاجه وصحة قوائمه وسلامة أعضائه وبراءته من العيوب الظاهرة والباطنة وكذلك السيف لمابهره جلاؤه وصقاله وصفاء حديده لم يمض فيه اختياره على غيره من السيوف حتى شاور من يعرف حسنه وطبعه وجوهره وفرنده ومضاءه وكذلك لما أعجبه من ثوب الوشى حسن طرزه وكثرة صوره وبديع نقوشه واختلاط ألوانه لم يبادر الى اعطاء ثمنه حتى رجع الى اهل العلم بجوهره وكثرة مائه وجودة رقعته وصحة نساجته وخلاص ابريسمه فكيف لم يفعل ذلك بالشعر لما راقه حسن وزنه وقوافيه ودقيق معانيه ومايشتمل عليه من مواعظ وأدب وحكم وأمثال فلم يتوقف عن الحكم له على ماسواه حتى يرجع الى من هو أعلم منه بالفاظه واستواء نظمه وصحة سبكه ووضع الكلام منه فى مواضعه وكثرة مائه ورونقه اذ كان الشعر لايحكم له بالجودة الا بان تجتمع هذه الخلال فيه ألا ترى انه قد يكون فرسان سليمان من كل عيب موجود فيهما سائر علامات العتق والجودة والنجابة ويكون أحدهما أفضل من الآخر بفرق لايعلمه الا اهل الخبرة والدربة الطويلة وكذلك الجاريتان البارعتان فى الجمال المتقاربتان فى الوصف السليمتان من كل عيب قديفرق بينهما العالم بامر الرقيق حتى

يجعل فى الثمن بينهما فضلا كبيرا فاذا قيل له وللنخاس من أين فضلت أنت هـذه الجارية على اختها ومن أين فضلت انت هذا الفرس على صاحبه لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما وانما يعرفه كل واحد منهما بطبعه وكثرة دربته وطول ملابسته فكذلك الشعر قد يتقارب البيتان الجيدان النادران فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود ان كان معناهما واحدا أو أيهما أجود فى معناه ان كان معناهما مختلفا وقد ذكر هذا المعنى بعينه محمد بن سلام الجمحى وأبو على دعبل بن على الخزاعى فى كتابيهما وحكى اسحاق الموصلى قال قال لى المعتصم أخبرنى عن معرفة النغم وبينها لى فقلت ان من الاشياء أشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة قال وسألنى محمد الامين عن شعرين متقاربين وقال اختر أحدهما فاخترت فقال من أين فضلت هذ على هذا وهما متقاربان فقلت لو تفاوتا لامكننى التبيين ولكنهما تقاربا وفضله هذا بشىء تشهد به الطبيعة ولا يعبر عنه اللسان وقد قيل لخلف الاحمر انك لا تزال ترد الشىء من الشعر وتقول هو ردىء والناس يستحسنونه فقال اذا قال لك الصيرفى ان هذا الدرهم زائف فاجهد جهدك أن تنفقه فلا ينفعك قول غيره انه جيد فمن سبيل من عرف بكثرة النظر فى الشعر والارتياض فيه وطول الملابسة له أن يفضى له بالعلم بالشعر والمعرفة باغراضه وان يسلم له الحكم فيه ويقبل منه ما يقوله ويعمل على مثاله ولا ينازع فى شىء من ذلك اذ كان من الواجب ان يسلم لاهل صناعة صناعتهم ولا يخاصمهم فيها ولا ينازعهم الا من كان مثلهم نظرا فى الخبرة وطول الدربة والملابسة فانه ليس فى وسع كل احد ان يجعلك أيها السائل المعنت والمسترشد المتعلم فى العلم بصناعته كنفسه ولا يجد الى قذف ذلك فى نفسك ولا فى نفس ولده ومن هو أخص الناس به سبيلا ولا ان يأتيك بعلة قاطعة ولا حجة باهرة وان كان ما اعترضت فيه اعتراضا صحيحا وما سألت عنه سؤالا مستقيما لان ما لا يدرك الا على طول الزمان ومرور الايام لا يجوز ان تحيط به فى ساعة من نهار * ثم ان العلم الذى لا يعلم به فى اكثر احواله الا بالروية والمشاهدة لا يعرف حق المعرفة بالقول والصفة وقد قيل ليس الخبر كالمعاينة وعلة ذلك بينه واضحة ومعلوم ظاهر جلى انه لا يمكن ان يشاهدك جميع المعلومات التى احتواها وعلم علمه بملابستها فى السنين الطوالة فمن المحال ان يقدر ان يصف لك عشرة آلاف جارية أو عشرة آلاف سيف مختلفات الاجناس والجواهر فيجعلك مشاهد الذلك كله فى لحظة واحدة ووقت واحد ومخبرا لك بكل علة وكل حجة وكل نعت وصفة فى كل نوع من ذلك وكل جنس ذلك فى تلك الساعة وهو انما علم على مرور الايام وطول الزمان وهذا

مجاز لا يمكن ولا يسوغ ولا يقدر عليه الا خالق الخلق وبارىء البشر وبعد فلم لا تصدق نفسك أيها المدعى وتعرفنا من أين طرأ لك الشعر أمن أجل أن عندك خزانة كتب فتشتمل على عدة من دواوين الشعرا وأنت ربما قبلت ذلك أو صححته أو حفظت القصيدة والخمسين منه فان كان ذلك هو الذى قوى ظنك ومكن ثقتك بمعرفتك فلم لا تدعى المعرفة بثياب بدنك ورحل بيتك ونفقاتك فانك دأبا تستعمل ذلك وتستمتع به ولا تخلو من ملابسته كما تخلو فى كثير من الاوقات من ملابسة الشعر ودراسته وانشاده حتى اذا رمت تصريف دينار بدراهم أو تصريف دراهم بدينار أو ابتياع ثوب أو شىء من الآلة لم تثق بفهمك ولا عملك حتى ترجع الى من يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك ولم لما خفت الغبينة فى مالك فاذعنت وسلمت وأقررت بقلة المعرفة ولم تخش الغبينة والوكس فى عقلك فتسلم العلم بالشعر الى أهله فان الضرورة فى غبن العقل أعظم من الضرر فى غبن المال فان قلت وما العلم بالخيل والبز والرقيق والذهب والفضة التى لم يطبع الانسان على المعرفة بها والعلم بجيدها ورديئها كما طبع على الكلام فكان كل أحد متكلما وليس كل أحد صيرفيا ولا بزازا ولا نخاسا قيل ولا كل أحد يكون شاعرا ولا خطيبا ولا منطيقا بليغاً ولا بارعا ولو كان ذلك كذلك لما رأيت أحداً يتكلم فيضحك منه فالانسان المتكلم يعلم معانى ألفاظ لغته ولا يعلم جيدها من رديئها ومتخيرها من مرذولها كما أنه يعلم أيضا أنواع الثياب والجواهر والخيل والرقيق ويميز بين أجناسها ولا يعلم جيد كل جنس من رديئه وأرفعه من دونه فكما أن المعرفة بكل جنس من هذه صناعة فكذلك المعرفة بكل جنس من أجناس الكلام والخطابة صناعة فاذا رجعت فى المعرفة بتلك الى أهلها فارجع أيضاً بهذه الى أهلها وبعد فانى دالك على ما تنتهى اليه البصيرة والعلم بامر نفسك فى معرفتك بامر هذه الصناعة أو الجهل بها وهو أن تنظر ما أجمع عليه الائمة فى علم الشعر من تفضيل بعض الشعراء على بعض فان عرفت علة ذلك فقد علمت وان لم تعرفها فقد جهلت وذلك بان تتأمل شعر اوس بن حجر والنابغة الجعدى فتنظر من ابن فضلوا اوسا وتنظر فى شعر كثير بن بشر بن أبى حازم وتميم بن أبى مقبل فتنظر من ابن فضلوا كثيراً واخبرنى بعض الشيوخ عن أبى العباس ثعلب عن أبى الاعرابى عن المفضل ان سائلا سأله عن الراعى وذى الرمة أيهما أشعر فصاح عليه صيحة منكرة أى لا يقاس ذو الرمة بالراعى وكذلك لا يقيسه به ولا يقارب بينهما فتأمل أيضا شعرى هذين فانظر من أين وقع التفضيل فهذا الباب أقرب الاشياء لك الى أن تعلم حالك فى العلم بالشعر ونقده

فان علمت من ذلك ماعاموه ولاح لك الطريق التى بها قدموا من قدموه واخروا من اخروه فثق حينئذ بنفسك واحكم يستمع حكمك وان لم ينته بك التأمل الى علم ذلك فاعلم انك بمعزل عن الصناعة ثم ان كنت شاعراً فلا تظهر شعرك واكتمه كما تكتم سرك فان قلت انك قد انتهى بك التأمل الى علم ما علموه لم يقبل ذلك منك حتى تذكر العلل والاسباب فان لم تقدر على تلخيص العبارة عن ذلك حتى تعلم شواهد ذلك من فهمك ودليله من اختيارك وتمييزك بين الجيد والردىء ثم انى أقول بعد ذلك لعلك اكرمك الله اغتررت بان شارفت شيأ من تقسيمات المنطق وجملا من الكلام والجدال أو علمت أبوابا من الحلال والحرام أو حفظت صدراً من اللغة أو اطلعت على بعض مقاييس العربية وانك لما أخذت بطرف نوع من هذه الانواع بمعاناة ومزاولة ومتصل عناية فتوحدت فيه وميزت ظننت ان كل مالم تلابسه من العلوم ولم تزاوله يجرى ذلك المجرى وانك متى تعرضت له وأمررت قريحتك عليه نفذت فيه وكشفت عن معانيه هيهات لقد ظننت باطلا ورمت عسيراً لان العلم اى نوع كان لا يدركه طالبه الا بالانقطاع اليه والاكباب عليه والجد فيه والحرص على معرفة أسراره وغوامضه ثم قد يتأتى جنس من العلوم لطالبه ويسهل ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر لان كل أمرىء انما يتيسر له مافى طبعه قبوله ومافى طاقته تعلمه فينبغى أصلحك الله أن تقف حيث وقف بك وتقنع بما قسم لك ولا تتعدى الى ماليس من شأنك ولا من صناعتك (باب من فضل أباتمام) وجدت أهل البصرة من أصحاب البحترى ومن يقدم مطبوع الشعر دون متكلفه لا يدفعون أباتمام عن لطيف المعانى ودقيقها والابداع والاغراب فيها واستنباطها ويقولون أنه وان اختل فى بعض مايورده فان الذى يوجد فيها من النادر المستحسن باكثر مما يوجد من السخيف المسترذل وان اهتمامه بمعانيه اكثر من اهتمامه بتقويم الفاظه على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة وانه اذا لاح له اخرجه باى لفظ استدى من ضعيف أو قوى وهذا من أعدل كلام سمعته فيه واذا كان هذا هكذا فقد سلم وله الشىء الذى هو ضالة الشعراء وطلبتهم وهو لطيف المعانى وبهذه الخلة دون سواها فضل امرىء القيس لان الذى فى شعره من دقيق المعانى وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة فوق ما استعمار سائر الشعراء من الجاهلية والاسلام حتى أنه لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من أن تشتمل من ذلك على نوع وأنواع ولولا لطيف المعانى واجتهاد امرىء القيس فيها واقباله عليها لما تقدم على غيره ولكان كسائر شعراء أهل زمانه اذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على

فصاحتهم ولا لألفاظه من الجزالة والقوة ماليس لألفاظهم الا ترى أن العلماء بالشعر انما احتجوا فى تقديمه بان قالوا هو أول من شبه الخيل بالعصى وذكر الوحش والطير وأول من قال قيد الاوابد وأول من قال كذا وقال كذا فهل هذا التقديم له الا لاجل معانيه وقالوا واذا كان قد اضطرب لفظ أبى تمام واختل فى بعض المواضع فهل خلا من ذلك شاعر قديم أو محدث هذا الاعشى يخيل لفظه كثيرا ويسفسف دائما ويرق ويضعف ولم يجهلوا حقه وفضله حتى جعلوه نظير النابغة وألفاظ النابغة فى الغاية من البراعة والحسن عديلا لزهير الذى شرف اهتمامه كله الى تهذيب الفاظه وتقويمها والحقوق بامرىء القيس الذى جمع الفضيلتين فجعلوهم طبقة وصار فضل كل واحد من غير الوجه الذى فضل منه صاحبه ولو أن أبا تمام حتى يخلو من كل فضل جيد البتة أو لو أنه قال بالفارسية أو الهندية

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف فضل عرف العود

أو قال

هى البدر يغنيها تودد وجهها الى كل من لاقت وان لم تودد

أو ما أشبه هذا من بدائعه حتى يغمره لنا مفسر بكلام عربى منثور أما كان هذا يكون شاعرا محسنا باعثا شعراء زمانه من أهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه فكيف وبدائعه مشهورة ومحاسنه متداولة ولم يأت الا بأبلغ لفظ وأحسن سبك (فى باب فضل البحترى) ووجدت أكثر أصحاب أبى تمام لا يدفعون البحترى عن حلو اللفظ وجودة الوصف وحسن الديباجة وكثرة الماء فانه أقرب ماخذا وأسلم طريقا من أبى تمام ويحكمون مع هذا بان أبا تمام أشعر منه وقد شاهدت وخاطبت منهم على ذلك عددا كثيرا وهذا رجل مايراعيه من امر الشعر دقيق المعانى ودقيق المعانى موجود فى كلامه وكل لغة وليس الشعر عند أهل العلم به الا حسن التأتى وقرب المأخذ واختيار الكلام ووضع الالفاظ فى مواضعها وان يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل فى مثله وان تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت وغير منافرة لمعناه فان الكلام لا يكتسى البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف وتلك طريقة البحترى قالوا وهذا أصل يحتاج اليه الشاعر والخطيب صاحب النثر لان الشعر أجوده أبلغه والبلاغة انما هى اصابة المعنى وادراك الغرض

بالفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة ولا تنقص نقصانا يقف دون الغاية وذلك كما قال البحترى

والشعر لمح تكفى اشارته — وليس بالهذر طولت خطبه

وكما قاله أيضا

ومعان لو فصلتها القوافى — هجنت شعر جرول ولبيد
حزن مستعمل الكلام اختيارا — وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ الغريب — فادركن به غاية المرام البعيد

فان اتفق مع هذا معنى لطيف أو حكمة غريبة أو أدب حسن فذلك زائد فى بهاء الكلام وان لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه قالوا واذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة وكانت عبارته مقصرة عنها ولسانه غير مدرك لما يعتمد دقيق المعانى من فلسفة يونان أو حكمة الهند أو أدب الفرس ويكون أكثر مايورده منها بالفاظ متعسفة ونسج مضطرب وان اتفق فى تضاعيف ذلك شىء من صحيح الوصف وسليمه قلنا له قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة فان شئت دعوناك حكيما أو سميناك فليسوفا ولكن لا نسميك شاعرا ولا ندعوك بليغا لان طريقتك ليست على طريقة العرب ولا على مذاهبهم فان سميناك بذلك لم نلحقك بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء وينبغى أن تعلم أن سوء التأليف وردىء اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحتاج مستمعه الى تأمل وهذا مذهب أبى تمام فى عظم شعره وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا حتى كانه قد أحدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد وذلك مذهب البحترى ولذلك قال الناس لشعره ديباجة ولم يقولوا ذلك فى شعر أبى تمام واذا جاء لطيف المعانى فى غير غرابة ولا سبك جيد ولا لفظ حسن كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب الخلق أو نفس العبير على خد الجارية القبيحة الوجه ، وأنا أجمع لك معانى هذا الباب فى كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم بالشعر زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم الا باربعة أشياء جودة الآلة واصابة الغرض المقصود وصحة التأليف والانتهاء الى نهاية الصنعة من غير نقص منها ولا زيادة عليها وهذه الخلال الاربع ليست فى الصناعات وحدها بل هى موجودة فى جميع الحيوان والنبات ، ذكرت الاوائل أن كل محدث مصنوع محتاج الى أربعة أشياء علة هيولانية وهى الاصل وعلة

صورية وعلة فاعلة وعلة تمامية فأما الهيولى فانهم يعنون الطينة التي يبتدعها الباري تبارك وتعالى ويخترعها ليصور ما شاء تصويره من رجل أو فرس أو جمل أو غيرهامن الحيوان أو برة او كرمة أو نخلة أوسدرة أو غيرهامن سائر أنواع النبات والعلة الفاعلة هي تأليف الباري جل جلاله لتلك الصورة والعلة التمامية هو أن يتمها تعالى ذكره ويفرغ من تصويرها من غير انتقاص منها وكذلك الصانع المخلوق في مصنوعاته التي علمه الله عز وجل اياها لا تستقيم له وتجود الا بهذه الأربعة وهي آلة يستجيدها ويتخيرها مثل خشب النجار وفضة الصائغ وآجر البناء وألفاظ الشاعر والخطيب وهذه هي العلة الهيولانية التي قدموا ذكرها وجعلوها الاصل ثم اصابة الغرض فيها بقصد الصانع صنعته وهي العلة الصورية التي ذكرتها ثم صحة التأليف حتى لا يقع فيه خلل ولا اضطراب وهي العلة الفاعلة ثم ان ينتهي الصانع الى تمام صنعته من غير نقص منها ولا زيادة عليها وهي العلة التمامية فهذا قول جامع لكل الصناعات المخلوقات فان اتفق الآن لكل صانع بعد هذه الدعائم الاربع أن يحدث في صنعته معنى لطيفا مستغربا كما قلنا في الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض فذلك زائد في حسن صنعته وجودتها والا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها . وقد ذكر بزرجمهر فضائل الكلام ورذائله وبعض ذلك دليل في الشعر فقال ان فضائل الكلام خمس ان نقص منها فضيلة واحدة سقط فضل سائرها وهي أن يكون الكلام صدقا وان يوقع موقع الانتفاع به وان يتكلم به في حينه وان يحسن تأليفه وان يستعمل منه مقدار الحاجة قال ورذائله بالضد فانه ان كان صدقا ولم يوقع موقع الانتفاع به بطل فضل الصدق منه وان كان صدقا وأوقع موقع الانتفاع به وتكلم في حينه ولم يحسن تأليفه لم يستقر في قلب مستمعه وبطل فضل الخلال الثلاث منه وإن كان صدقا ووقع موقع الانتفاع به وتكلم به في حينه وأحسن تأليفه ثم استعمل منه فوق الحاجة خرج الى الهذر أو نقص عن التمام صار مبتورا وسقط منه فضل الخلال كلها وهذا انما أراد به بزرجمهر الكلام المنثور الذي يخاطب به الملوك ويقدمه المتكلم أمام حاجته والشاعر لا يطالب بأن يكون قوله صدقا ولا أن يوقعه موقع الانتفاع به لانه قد يقصد الى أنه يوقعه موقع الضرر ولا أن يجعله وقتا دون وقت وبقيت الخلتان الاخريان واجبتان في شعر كل شاعر ان يحسن تأليفه ولا يزيد فيه شيئا على قدر حاجته فصحة التأليف في الشعر وفي كل صناعة هي أقوى دعائمه بعد صحة المعنى وكلما

كان أصح تأليفا كان أقوم بتلك الصناعة ممن اضطرب تأليفه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم)

وقد انتهيت الآن الى الموازنة وكان الاحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين اذا اتفقتا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعانى التى اليها المقصد وهى المرمى والغرض وبالله أستعين على مجاهدة النفس ومخالفة الهوى وترك التحامل فانه جل اسمه حسبي ونعم الوكيل وأنا أبتدى باذن الله من ذلك بما افتتحا به القول من ذكر الوقوف على الديار والآثار ووصف الدمن والاطلال والسلام عليها وتعفية الدهور والازمان والرياح والامطار اياها والدعاء بالسقيا لها والبكا فيها وذكر استعجامها عن جواب سائلها وما يخلف قطينها الذين كانوا حلولا بها من الوحش وفى تعنيف الصحابه ولومهم على الوقوف بها ونحو هذا مما يتصل به من اوصافها ونعوتها وأقدم من ذلك ابتدا آت قصائدهم فى هذا المعانى ان شاء الله تعالى

الابتدا آت بذكر الوقوف على الديار قال أبو تمام

ما فى وقوفك ساعة من باس تقضى حقوق الاربع الادراس

وهذا ابتداء جيد صالح وقوله الادراس جمع دارس وقليل مجمع فاعل على افعال ومثله شاهد واشهاد وماجد وامجاد وصاحب وأصحاب

وقال أيضا

قفوا جددوا من عهدكم بالمعاهد وان هى لم تسمع لنشدان ناشد

أراد لنشدان الناشد الذى يقول أين أهلك يا دار كما ينشد الناشد الضالة اذا طلبها وقال أيضا

قف بالطلول الدراسات علاثا اضحت حبال قطينهن رثاثا

علاثة اسم صاحبه أراد قف يا علاثة وهذان ابتدا آن صالحان

وقال أيضا

قف نؤبن كناس هذا الغزال ان فيها لمسرحا للمقل

التابين مدح الهلك والكناس هنا الربع وانما يريد الخيمة أو البيت من بيوتهم سماه كناسا لانه جعل المرأة غزالا أى قف بنا نندبه فان المقال يتسع فيه وهذا أيضا

بيت جيدومعنى حسن مستقيم وقال

ليس الوقوف يكف شوقك فانزل وابلل غليلك بالمدامع يبلل

وهذا معنى ظريف وقد جاء مثله فى الشعر قال الاصم الباهلى واسمه عبد الله ابن الحجاج ولا اعرف غيره واظن ابا تمام عثربه واحتذى عليه لانه كان مولعا بغرائب الالفاظ والمعانى

انزل اليوم بالاطلال أم تقف لابل قف العيس حتى يمضى السلف

السلف المقدمون وانما قال ذلك لان الوقوف على الديار انما هو وقوف المطى ولا يكادون يذكرون نزولا وافشد منشد قول كثير وكثير يسمع

وقضين ماقضين ثم تركتنى بفيفا جريما قاعدا اتلدد

فقال كثير انا ما قلت كذا اترانى قاعدا أصنع ماذا قيل فجالسا قال ولاهذا جالسا كنت ابول قيل فما قلت قال واقفا يريدواقفا على مطيته فهذا هو المعروف من عاداتهم وقد قال كثير

خليلى هذا ربع عزه فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

والقلوص لايعقلها راكبها الا اذا نزل عنها والعقل فوق الركبة

وقال البحترى

ماعلى الركب من وقوف الركاب فى مغانى الصبا ورسم التصابى

التصابى التفاعل من صبا يصبو اذا اشتاق واذا فعل فعل الصبا

وقال أيضا

ذاك وادى الاراك فاحبس قليلا مقصرا عن ملامتى أو مطيلا

وهذان ابتدآن فى غاية الجودة وقال

قف العيس قد أدنى خطاها كلالها وسل دار سعدى ان شفاك سؤالها

وهذا لفظ حسن ومعنى ليس بالجيد لانه قال ادنى خطاها كلالها أى قارب من خطوها الكلال وهذا كأنه لم يقف لسؤال الديار التى تعرض لان يشفيه وانما وقف لاعياء المطى والجيد قوله عنترة

فوقفت فيها ناقتي وكأنها   فدن لاقضى حاجة المتلوم

فانه لما أراد ذكر الوقوف احتاط بان شبه ناقته بالفدن وهو القصر ليعلم انه لم يقفها ليريحها وقد كشف ذو الرمة وأحسن فيه وأجاد   فقال

انخت بها الوجنا لا من سآمه   لشنتين بين اثنين جاء وذاهب

يقول انختها لان اصلي لا من سآمة هكذا فسروه وقوله لثنتين يعني اللتين يقصرهما المسافر بين اثنين جاء يريد الليل وذاهب يريد النهار فان قيل انما قال أدنى خطاها كلالها ليعلم انه قصد الدار من شقة بعيدة قيل العرب لا تقصد الديار الموقوف عليها وانما تجتاز بها فان كانت على سنن الطريق قال الذي له ارب في الوقوف لصاحبه او أصحابه قف واقفا وقفوا وان لم تكن على سنن الطريق قال عوجا وعوجوا وعرجا وعرجوا كما قال امرء القيس

عوجا على الطلل المحيل لعلنا   نبكي الديار كما تبكي ابن حذام

واذا عرجوا كان التعريج اشق على الركب والركاب لان لها في الوقوف حيث انتهت راحة والتعريج فيه زيادة في تعبها وكلالها وان قلت المسافة كما قال أبو تمام

وما بك اركابي ممن الرشد مركبا   الا انما حاولت رشد الركائب

لان هذا القول منه دل على التعريج والتردد في الرسوم وان أصحابه أرادوا ان يستمر في السير ولا يترفق في الوقوف فيعود عليها ذلك بضرر وان اكسبها راحة ما في الوقوف فقال له أبو تمام انما حاولت رشـد الركائب لا رشدي فاما الاصمعي فانه يرى التعريج أيضا وقوف لا عدول قال أبو حاتم قلت له ما معنى عرج قال وقف فقلت يقال عرج اذا عدل فقال لا وأنشد بيت ذي الرمة

ياحادبي بنت فضاض امالكما   حتى نكلمها هم بتعريج

أي هم بوقوف وهذا لا يمنع ان يكون هم بعدول ونفس الاشتقاق يدل على العدول والله أعلم   وقال كثير يصف السيل

فطورا يسيل على قصده   وطورا يعرج الا يسيلا

فلو كان هناك قصدا الى الدار من جماعتهم ومنهم وحده لما لاموه ولا عنفوه

هـ

على احتباسه او اطالته ولا استعجلوه وهو دائما يسألهم التلوم عليه والتوقف معه هذه طريقة القوم فى الوقوف على الديار ولهم فيها من الاشعار ماهو اشهر وأكثر من أن احتاج الى ذكره وتلك سبيل سائر المحدثين وطريقة الطائيين ماعدلا عنها ولاخرجا الى غيرها الاترى الى قول ابى تمام

مافى وقوفك ساعة من باس • نقضى ذمام الاربع الادراس (تقدم برواية تقضى حقوق) كيف سأل صاحبه ان يقف ساعة ثم قال بعد بيت آخر

لا يسعد المشتاق وسنان الهوى   يبس المدامع بارد الانفاس

وقوله

لا تمنعني وقفة اشفى بها   داء الفراق فانها ماعون

وقال البحترى

ياوهب هب لاخيك وقفة مسعد   يعطى الاسى من دمعة المبذول

وقال أيضا

خلياه ووقفة فى الرسوم   يخل من بعض بثه المكتوم

ثم أنا ما علمنا أحدا قصد دارا عفت من شقة بعيدة واحدا كان أوفى جماعات للتسليم عليها والمسألة لهاثم انصرفوا راجعين من حيث جاؤا وان هذا ماسمع به ولا هو من اغراضها وليس فيه جدوى ولا يودى الى فائدة لان المحبوب ان كان حيا موجودا فقصد رباعه ومواطنه التى هو قاطنها والالمام به فيها أولى وأجرى وأن كان ميتا فالالمام بناحية الارض التى فيها حفرته أولى وأحرى وعلى أنهم لايكادون يزورون القبور وانما وقفوا على الديار وعرجوا عليها عند الاجتياز بها والاقتراب منها لانهم تذكروا عند مشارفتها اوطارهم فيها فنازعتهم نفوسهم الى الوقوف عليها والتلوم بها وراوا أن ذلك من كرم العهد وحسن الوفاء الايرى الى قول أبى تمام

امواطن الفتيان نطوى لم نزر   شوقا ولم نلهن صعيدا

ويروى لم نزر شعفا أى هذه كيف نطوى الرسوم والدمن التى هى مواقف أهل الفتوة يريد الكرام ولم نزر حزنا لها ولا سهلا لانه أراد بالشعف ماارتفع من الارض وعلا وأراد بالصعيد ما اطمان من الارض وسفل والصعيد انما هو وجه الارض الذى فيه التراب واكثر ما يكون فيما اطمأن من الارض لا فيما علا فكانوا يرون

الوقوف على الديار من الفتوة والمروة وأن طيها عند الاجتياز بها من النذالة وقبيح الرعاية وسوء العهد وما أحسن ما قال أبو نواس

واذا مررت على الديار مسلما　　فلغير دار امية الهجران

على طريقة القوم وقال البحترى يخاطب نفسه أو صاحبا معه

قف العيس قد أدنى خطاها كلالها　　وسل دار سعدى ان شفاك سؤالها

فمن زعم أن البحترى بهذا القول كان قاصدا للدار وغير مجتاز احتاج الى دليل من لفظ البيت يدل عليه ولا سبيل له الى ذلك فان قيل لم لا يكون لله طية حق على من بلغته منازل للاحباب يوجب أن يكرمها ويريحها كما قال أبو نواس

واذا المطى بنا بلغن محمداً　　فظهورهن على الرجال حرام

قربتنا من خير وطىء الحصا　　فلها علينا حرمة وذمام

قيل هذا أصل آخر طريقة غير طريق الوقوف على الديار أولا يقاس أصل على أصل وانما يقاس على الاصل فروعه التى تتفرع منه وهذا الشرط فى كل علم فقال أبو نواس فى موضع آخر يخاطب ناقته أيضاً

فلم أجعلك للغربان نحلا　　ولم أقل أشرقى بدم الوتين

يريد قول الشماخ والشماخ انما قال

اذا بلغتنى وحملت رحلى　　عرابة فاشرقى بدم الوتين

لانه رأى ناقته قد شفها السير وهزلها وانضاها حتى دبرت وذلك قوله

اليك بعثت راحلتى تشكى　　كلوما بعد محفدها السمين

فيقول اذا بلغتنى عرابة فلا أبالى أن تهلكى وهذا ليس بدعاء عليها وانما أراد أنك اذا بلغته فقد بلغت الغنى وأدركت الغرض منك فهذا معنى وقول أبى نواس معنى آخر وليس بضد لقول الشماخ وانما يضاده قول المرأة التى قالت يارسول الله نذرت أن بلغتنى ناقتى هذه اليك أن أنحرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما جزيتها الان هذه قصدت أن جعلت جزاء التبليغ النحر فهذان المعنيان يتضادان وقول الشماخ خارج عنهما فانه أصل ثالث والوجه الذى جاء به البحترى فى الوقوف على الديار وتحرز منه عنترة وذو الرمة وجهه

غير هذه الوجوه وطريقة غير هذه الطرق ولم أقل أنه خطأ وانما قلت أن المعنى غير جيد فان التمست العذر للبحترى قلنا انه وصف حقيقة أمر العيس عند الوصول الى الدار وهذا مذهب من مذاهب العرب عام فى أن يصفوا الشىء على ماهو وعلى ماشوهد من غير اعتماد لاغراب ولا ابداع وانما وقع فيه مثل هذا الخلل لقلة التجوز وسترى للبحترى وغيره فى هذا الكتاب من هذا النوع فى مواضعه ماهو أجود من كل جيد انشاء الله وقال البحترى

عرج بذى سلم فثم المنزل فيقول صب ما أراد ويفعل

وهذا ابتداء جيد وقد غواه قوم ليقول صب ما أراد ريفعل والنصب أجرد والرفع له وجه والمتأخرون لا يسلمون الى اللحن وهو فى أشعارهم كثير جدا وقال

كم من وقوف على الاطلال والدمن لم يشف من برحا الشوق ذا شجن

وهذا أيضا ابتداء جيد وقال أيضاً

استوقف الركب فى اطلالهم وقفا وان اجد بلى مأثورها وعفا

يقال أجد فى أمره من الانكماش او حدو هذا ابتداء صالح

قفا فى مغانى الدار نسأل طلولها عن النفر اللائين كانوا حلولها

وهذا الابتداء ليس بالجيد من أجل قوله اللائين لانها لفظة ليست بالحلوة وليست مشهورة فهذا ما ابتدأ به من ذكر الوقوف وأجعلهما فيه متكافئين من أجل براعة بيتى البحترى الاولين وانهما أجود من سائر أبيات أبى تمام ولان البحترى فى الباب القصير الذى ذكرته له وليس لابى تمام مثله

« التسليم على الديار قال أبو تمام »

من ألم بها فقال سلام كم حل عقدة صبره الالام

هذا المصراع الاول فى غاية الجودة والبراعة والحسن والحلاوة وعجز البيت أيضا جيد بالغ وقال

سلم على الربع من سلمى بذى سلم عليه وسم من الايام والقدم

وهذا ابتداء ليس بالجيد لانه جاء بالتجنيس فى ثلاثة الفاظ وانما حسن اذا كان بلفظين

وقد جاء مثله في أشعار الناس والردى لا يؤتم به وقال الابيرد بن المعذل الرياحي

جزعت ولم تجزع من البين مجزعا وكنت بذكر الجعفرية مولعا

وقد جعل بعض الرواة هذا البيت أول قصيدة لامرء القيس على هذا الوزن وذلك باطل وما ينبغي للمتأخر أن يحتذي الا الجيد المختار لسعة مجاله وكثرة أمثلته

وقال البحتري

هذي المعاهد من سليم فسلم وأسأل وان جمعت ولم تتكلم

وقال أيضاً

أمحلتي سلمى بكاظمة أسلما وتعلما أن الهوى ما هجتما

وهذان ابتداء أن جيدان وقال أيضاً

حييتما من مربع ومصيف كانا محلي زينب وصدوف

هذا ابتداء صالح وقال أيضا

ميلوا الى الدار من ليلى نحييها نعم ونسألها عن بعض أهليها

هذا البيت ردىء لقوله نعم وليس بالمعتل اليها حاجة جاء بها حشوا ومن الحشو ما لا يقبح ونعم ههنا قبيحة وقد أولع بها كثير بن عبد الرحمن في ابتداءاته فقال

أمن آل عمرو بالحربق ديار نعم دراسات قد عفون قفار

وقال

آمن آل سلمى الركب أم أنت سائل نعم والمغاني قد درسن موائن

وقال

أهاجتك ليلى اذ اجد رحيلها نعم وثنت لما أحزألت حمولها

احزالت انتصبت وارتفعت وقال

أبائنة سعدى نعم ستبين كما أنبت من حبل القرين قرين

وهي في كل هذه الابيات رديئة وموضعها من هذا البيت الاخير اصلح لان اسقاطها من الجميع يحسن ولا يحتاج الاستفهام فيها الى جواب الا هذا البيت فان الاستفهام

فيه يقتضى أن يكون نعم جوابا له ومع هذا فليس له حلاوة ولا حسن ولكثير استفهامات لا جواب لها على عادات الشعراء المحسنين ومنها قوله

أمن آل قيله بالدخول رسوم   وبحومل طلل يلوح قديم

وكل أبيات كثير أجود من بيت البحترى لان نعم فيها جواب وهى فى بيت البحترى حشو وقال البحترى فى بيته نحييها والاجود نحيها لانه جواب الامر وقد يكون نحييها رفعا على الحال والجواب ههنا اجود من الحال فهذا ما وجدته من تسليمهما على الديار وأبو تمام عندى فى قوله دمن ألم بها فقال سلام أشعر من البحترى فى سائر أبياته وما سمعت من التسليم على الديار أحسن من قول أبى نواس

واذا مررت على الديار مسلما   فلغير دار أمية الهجران

(ما ابتدأ به من ذكر تعفية الدهور والازمان للديار قال أبو تمام)

لقد أخذت من دار ماوية الحقب   أنحل المغانى للبلى هى أم نهب

أراد أنحل المغانى للبلى فحذف للتنوين والحقب الدهر وجمعه أحقاب والحقب السنون واحدتها حقبة وقال لقد أخذت فانث الفعل والحقب مذكر وأظنه أراد أيام الدهر ولياليه ويقال الحقب ثمانون سنة فعلى هذا قال أخذت وقال أيضا

قد نابت الجزع من ماوية النوب   واستحقبت جدة من ربعها الحقب

قوله واستحقبت أى جعلت الحقب وهى السنون جدة الربع فى حقيبتها والحقيبة ما يحتقبه الراكب وهو وعاء يجعله خلفه اذا ركب ويحرز فيه متاعه وزاده وهذه استعارة حسنة وانما يريد أن الحقب سلبت الربع جدته وذهبت بها

وقال البحترى

أرسوم دار أم سطور كتاب   درست بشاشتها على الاحقاب

أى على مر السنين وهذا البيت ابرع من بيت أبى تمام لفظا وأجود سبكا وأكثر ماء ورونقا وهو من الابتداءات النادرة العجيبة والمشبهة لكلام الاوائل فهو فيه أشعر من أبى تمام وفى أقواء لديار وتعفيها قال أبو تمام

طلل الجميع لقد عفوت حميدا   وكفى على رزئى بذاك شهيدا

أراد وكفى بأنه مضى حميدا شاهدا على أنى رزئت وكان وجه الكلام أن يقول

وكفى رزنى شاهدا على أنه مضى حميدا وقد استقصيت الكلام فى هذا فيما تقدم من غلط أبى تمام و قال أيضا

أحل أيها الربع الذى بان أهله   لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله

وهذا أيضا ابتداء جيد

وقال أيضا

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى   ومحت كما محت وشائع من برد

وهذا بيت ردى معيب لان الوشيعة والوشائع هو الغزل الملفوف من اللحمة التى يداخلها الناسج بين السدى والبرد الذى تمت نساجته ليس فيه شيء ويسمى وشيعة ولا وشائع ذكرت هذا فى أغاليطه

وقال البحترى

تلك الديار ودارسات طلولها   طلوع الخطوب دقيقها وجليلها

وقال أيضا

يا مغانى الاحباب صرت رسوما   وغدا الدهر فيك عندى ملوما

وقال أيضا

لم يبق فى تلك الرسوم بمنعج   أما سألت معرج لمعرج

وقال أيضا

هلا سألت بجو تهمد   طالما الميه قد تأبد

هذه كلها ابتداءات جياد بارعة اللفظ صحيحة المعنى وأبيات أبى تمام رائعة ولكن فيها ما ذكرته (تعفية الرياح للديار قال أبو تمام)

عفت أربع الحلات للاربع الملد   لكل هضيم الكشح مغربة القد

الحلات جمع حلة وهو الموضع الذى يحلونه يقال حلة ومحلة والاربع الملد يريد أربع نساء ملد من قولهم غصن أملود وهو الناعم وأملود لا يجمع على ملد وانما هو جمع أملد وهضيم الكشح يريد ضامرة البطن وقوله مغربة القد يريد أغرب قدها أى لها قد غريب فى الحسن وانما أراد عفت أربع حلال أى مواطن لاربع نسوة وهذا تكلف شديد وقد جاءت بلفظ غير حسن ولا جميل وكذلك مغربة القد من قول الشعراء المتأخرين

غريب الحسن وغريب القدو الكلمة اذا لم يوت بها عن لفظها المعتاد هجنت وقبحت وقوم يروونه أربع الحلات جمع ربع وذلك غلطوا نما أراد الرجل العدد أى عفت أربع لاربع ولا علم لابى تمام ابتداء ذكرافيه الرياح غيرهذا البيت وهو ردى اللفظ قبيح النساج

وقال البحترى

بين الشقيقة فاللوى فالاجرع ... من حبسن على الرياح الاربع

وهذا من ابتدآ اته الحسنة النادرة واحسانه فيه الاحسان المشهور وقوله بين الشقيقة فاللوى كقول امرء القيس بين الدخوى فحومل والاصمعى يرويه بالواو وأهل العربية يقولون الدخول مواضع متفرقة

وقال البحترى

أصبا الاصائل أن برقة منشد ... تشكو اختلافك بالهبوب السرمد

ما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون انهم ماسمعو المتقدم ولا متأخر فى هذا المعنى أحسن من هذا البيت ولا أبرع لفظا ولا أكثر ماءولا رونقا ولا الطف معنى

وقال البحترى

لا أرى بالبراق رسما كجيب ... اسكتتت آية الصبا والجنوب

وهذا ابتداء صالح

« وفى البكاء على الديار قال ابو تمام »

على مثلها من أربع ملاعب ... اذيلت مصونات الدموع السواكب

قد أنكر مصونات الدموع السواكب بعضهم وقال كيف يكون من السواكب ما هو مصون وانما أراد أبو تمام مصونات الدموع التى هى الآن سواكب ولفظه يحتمل أراده والبيت جيد لفظا ومعنى ونظما

وقال أيضا

أما الرسوم فقد أذكرن ماسلفا ... فلا تكفن من شانيك أو يكفا

هذا ابتدا حسن

وقال أيضا

أزعمت أن الربع ليس يتيم ... والدمع فى دمن عفت لايسجم

وقال أيضا

قرى دراهم منى الدموع السوافك ... وان عاد صبحى بعدهم وهو حالك

وهذان ابتدآن جيدان وقال أيضا

تجرع أسى قد اقفر الجرع القرد ودع حسى يحتلب ماءه الوجد

الجرع والاجرع والجرعاء أرض ذات رمل وحجارة مختلطة خشنة وقد قيل رملة سهلة والحسى ماء المطر يغمض فى الرمل قليلا ثم يصير الى الصلابة فيقف فيحفر عنه ويشرب وجمعه أحساء وقال البحترى

متى لاح برق أو بدا طلل قفر جرى مستهل لا بكى ولا نزر

وهذا بيت حسبك به جودة وبراعة وفصاحة ونحوه قوله

لها منزل بين الدخول فتوضح متى تره عين المتيم تفسح

هذا مثل قول امرء القيس بين الوخول فحومل وهذا أيضا بيت جيد وليس كالاول وقال أيضا

افى كل دار منك عين ترقرق وقلب على طول التذكر يحقق

وهذا أيضا غاية فى جودته وبراعته وكثرة مائه وقال أيضا

ألما يكف فى حاللى زرود بكاؤك دارس الدمن الهمود

وقال أيضاً

اعن سفه يوم الابيرق ام حلم وقوف بربع أو بكاء على رسم

هذه الابيات الثلاثة كانه منكر على نفسه البكا وقد أحسن فيما اعتمده من ذلك وأجاد وهو ضد ما هب اليه أبو تمام فى أبياته

وقال البحترى وهو حسن جداً

وقوفك فى اطلالهم وسؤالها يريك غروب الدمع كيف انهمالها

وقال

عند العقيق فماثلات دياره شجن يزيد الصب فى استعباره

وقال

يأبى الخلى بكاء المنزل الخالى والنوح فى دمن أقوت واطلال

وقال

ابكاء فى الدار بعد الدار وسلوا عن زينب بنوار

وهذا من البحترى وصف فى البكاء على الديار حسن ومعان فيه مختلفة عجيبة كلها جيد نادر وأبو تمام لزم طريقة واحدة لم يتجاوزها والبحترى فى هذا الباب أشعر

« سؤال الديار واستعجابها عن الجواب قال أبو تمام »

الدار ناطقة وليست تنطق　　　لدثورها ان الجديد سيخلق

وقال فى مثل معناه

وابى المنازل انها لشجون　　　وعلى العجومة انها لتبين

وهذا معنى شائع على ألسن العرب أن تقول لمن يعقل وأبيك لقد أجملت وكثرت على الالسن حتى صمد وأبها الى مالا يعمل قسما وغير قسم وكذلك قالو الأمك الهبل ولا بيك الويل ثم قالوا اذاك لمالا أمله وقال محزر بن المعكبر يرثى بسطام بن قيس

لام الارض ويل ما أجنت　　　بحيث اضر بالحسن السبيل

فجعل للارض اما وقد قال البحترى

لعمر أبى الايام ما جار حكمها　　　على ولا أعطيتها ثنى مقولى

فجعل للايام أبا وقوله شجون جمع شجن وما أقل ما يجمع فعل على فعول قال لو أسد وأسود وليس هو بابه والشجن الحاجة والشجن الهم والحزن وقال أبو تمام

من سجايا الطلول أن لا تجيبا　　　فصواب من مقلتى أن تصوبا

هذا البيت صدره جيد وقوله فصواب ليست بالجيدة فى هذا الموضع وانما أراد التجنيس وقال البحترى

لا دمنة بلوى خبت ولا طلل　　　تردقولا على ذى لوعة يسل

وهذا ابتدآ جيد لفظه ومعناه　　　وقال

ضيف يخاطب مفحمات طلول　　　من سائل باك ومن مسئول

أراد أنه باك والطلول باكية وهذا ابتدآ صالح　　　وقال

عزمت على المنازل أن تبينا　　　وان من بلين كما بلينا

أى عزمت عليها أن توضح لنا ويكون تبيين بما تفصح هى فى نفسها يقال بأن الشىء واباں وقوله وإن دمن بلين كما بلينا أى عزمت عليها أن تبين لنا القول وإن كانت قد بليت

كما بلينا نحن وهذا بيت ردى العجز وقال

اقم علها أن ترجع القول او على　　　اخلف فيها بعض مابى من الخبل

وهذا أيضا بيت ردى الصدر لفظه ومعناه لانه أراد أن يقول قف لعلها أن ترجع القول أو لعلى فقل أقم مكان قف وليست هذه اللفظة نائبة عن تلك لان الاقامة ليست من الوقوف فى شىء والدليل على أنه أراد أن يقول قف قوله بعد هذا

فان لم تقف من أجل نفسك ساعة　　　فقفها على تلك المعالم من أجلى

وقال علها وعلى وهما وان كانتا لفظتين عربيتين فلعل أحسن من عل وأبرع وزاد فى تهجينها أنه كررها فى مصراع وقوله أخلف فيها بعض مابى من الخبل عجز حسن أى اطرحه عنى أى لعلى أبكى فاخفف بعض مابى من البكا والى هذا المعنى ذهب وإن لم يكن البكا فى البيت فقد ذكره من بعد　　وقال

يا لله يا ربع لما زدت تبيانا　　　فقلت لى الحى لما بان لم بانا

وقال أيضا

هب الدار ردت رجع ما أنت سائله　　　وابدى الجواب الربع عما تسائله

وهذا بيت غير جيد لان عجز البيت مثل صدره سواء فى المعنى وكانه بنى الامر على أن الدار غير الربع وان السؤال أن وقع وقع فى محلين اثنين والبيت أيضا لا يقوم بنفسه لانه جعله معلقا بالبيت الثانى وهو قوله

افى ذلك برء من جوى الهب الحشا　　　توقده واستغزر الدمع حائله

وقال

هل الربع قد أمست خلاء منازله　　　مجيب صداء ويخبر سائله

وهذا ابتداء صالح　　　وقال أيضا

عفت دمن بالابرقين خوالى　　　ترد سلامى أو تجيب سؤالى

وهذا ابتدا حسن فهذا ما وجدته لهما من الابتدآت فى الباب وليس لهما فيه بيت بارع والجيد للبحترى قوله • لا دمنة بلوى خبت ولا طلل • وقوله • عفت دمن بالابرقين خوالى والجيد لابى تمام بيتان الاولان ومعناهما غير معنى هذين البيتين وبيتا البحترى أجود

لفظا واصح سبكا وهما فى هذا الباب متكافئان

(ما يخلف الظاعنين فى الديار من الوحش ومايقارب معناه قال أبو تمام)

اطلالهم سلبت دماها الهيفا   واستبدلت وحشا بهن عكوفا

وهذا بيت جيد لفظه ومعناه   وقال أيضا

اطلال هند ساء ما اعتضت من هند   اقايضت حور العين بالعين والربد

العين بقر الوحش والظباء والربد النعام وقايضت ابدلت وهذا بيت ليس بالجيد ولا بالردىء   وقال أيضا

ارامة كنت مألف كل ريم   لو استمتعت بالانس القديم

وهذا بيت جيد وقال البحترى

ربع خلا   بدره مغناه   ورعت به عين المها الاشباه

وهذا بيت حسن حلو وقال البحترى أيضا

عهدى بربعك مانوسا ملاعبه   أنباه آرامه حسنا كواعبه

وهذا بيت فى غاية الجودة والبراعة لفظه ومعناه وقال أيضا

عهدى بربعك مثلا آرامه   يجلى بضوء خدودهن ظلامه

وهذا بيت جيد اللفظ والمعنى الاول احلى وأبرع وقوله يجلى بضوء خدودهن ظلامه حسن جدا   وقال أيضا

أرى بين ملتف الاراك منازلا   موائل لو كانت مهاها موائلا

وهذا أيضا بيت من أبرع ابتداءاته فهذا ماوجدته لهما فى هذ النحو والبحترى فى أبياته أشعر من أبى تمام فى أبياته

(وفيما تهيجه وتبعثه من جوى الواقفين بها قال أبو تمام)

اقشيب ربعهم أراك دريسا   وقرى ضيوفك لوعة ورسيسا

وهذا بيت من جيد الابتداآت وبارعها وقال البحترت

مغانى سليمى بالعقيق ودورها   اجد الشجى اخلاقها ودثورها

وهذا بيت فى جودة بيت أبى تمام وبراعته وقال

لعمر المغانى يوم صحراء اربد لقد هيجت وجدا على ذى توجد

وقال أيضا

ماجو خبت وان نأت ظعنه تاركما أو تشوقنا دمنه

وقال أيضا

كلما شاقت الرسوم المحيله هيجت من مشوق صدر غليله

وهذه كلها ابتدآ ات جياد وهى مع بيت أبى تمام متكافئة

« الدعاء للدار بالسقيا قال أبو تمام »

اسقى طلولهم أجس هزيم وغدت عليهم نضرة ونعيم

وقال أيضا

سقى عهد الحمى صوب العهاد وروى حاضر عنهم وبادى

وهذا ابتداءان وقال أيضا

يابرق طالع منزلا يالابرق واحد السحاب له حداء الاينق

قوله طالع لفظة رديئة فى هذا الموضع قبيحة وقوله واحد السحاب له حداء الاينق لفظه ومعناه جيدان فصيحان وانما خص البرق لانه دليل الغيث وقال أيضا

ايها البرق بت باعلى البراق واغد فيها بوابل غيداق

البراق جمع برقة مثل برمة وبرام وهى الارض ذات الطين والحصى تكون ذات الوان مختلفة وهذا بيت جيد وصله بيت غاية فى الحسن والحلاوة تأتى به ان شاء الله تعالى فى بابه وقال

يادار دار عليك ارهام الندى واهتز روضك فى الثرى فترأدا

يقال ارهمت السماء اذا اتت بالرهمة وهو المطر اللين يقال رهمة ورهام كاكمة واكام فان قلت رهام الندى كان ذلك ساقطا فترأد تثنى لكثرة مائه ونضاضته ومنه امرأة رود الشباب أى غضه وهذا بيت ليس بجيد اللفظ ولا النسج وقال البحترى

نشدتك الله من برق على اضم لما سقيت جنوب الحزن فالعلم

وهذا بيت بارع اللفظ جيد المعنى وزاد فى جودته قول نشدتك الله وقال أيضا

سقيت الغوادى من طلوع وأربع   وحييت من دار الاسماء بلقع

وهذا أيضا بيت جيد اللفظ والمعنى ويدخل فى باب التسليم على الديار لقوله حييت من دار وقال أيضا

أناشد الغيث هل تهمى غواديه   على العقيق وان اقوت مغانيه

وهذا بيت جيد وقال

أقام كل ملث الودق رجاس   على ديار بعلو الشام ادارس

ملث دائم كثير ورجاس مصوت يريد الرعد وهذا بيت كثير الماء والرونق وقال أيضا

لا تَرِم ربعك السحاب تجوده   تبتدى سوقه الصبا أو تقوده

وقال أيضا

سقى دار ليلى حيث حلت رسومها   عهاد من الوسمى وطف غيومها

وهذان ابتدآ ان جيدان وليسا مثل ما تقدم وقال أيضا

سقى ربعها سح السحاب وهاطله   وان لم تخبر آنفا من يسائله

وهذا البيت ردىء العجز من أجل قوله آنفا لانه حشو لا حاجة للمعنى به فهذا ابتداء من الدعاء للديار بالسقيا وهما عندى متكافئان

« فى لوم الأصحاب فى الوقوف على الديار قال أبو تمام »

أراك أكثرت ادمانى على الدمن   وحملى الشوق من باد ومكتمن

وقال أيضا

ماعهدنا كذا نحيب المشوق   كيف والدمع آية المعشوق

هذا بيت ردىء جدا وقد ذكرت ما فيه فى باب ما ذكرته فى وسط الكلام فى تعنيف الاصحاب على الوقوف على الديار وهذا البيت ابتداء وانما ذكرته هناك لان معناه يتضح بالابيات التى بعده فجعلته فى ذلك الباب وليس لابى تمام ابتداء صالح فى لوم الاصحاب غير هذين البيتين فاما البحترى فانه تصرف فيه فى ابتداءات جياد حسان بارعة حلوة فمن ذلك قوله

فيم ابتدار كما الملام ولوعا   ابكيت الا دمنة وربوعا

وهذا بيت حسن وفيه سؤال وهو ان يقبل اعالاموه على بكائه على الدمنة والربوع فما وجه اعتذاره بانه لم يبك الادمنة وربوعا والجواب انه أراد ابكيت الا ما مثله يبكى وقد تقدمنى الناس فيه ولم ينكر ذلك على أحد وقوله

خذا من بكائى فى المنازل أودعا   وروحا على لومى بهن أو أربعا

وهذا بيت جيد وقوله أيضا

ذاك وادى الاراك فاحبس قليلا   مقصراً فى ملامتى أو مطيلا

وهذا بيت جيد حسن بارع اللفظ والمعنى وقد ذكرته ايضا فى باب الوقوف على الديار وقوله

أحرى الخطوب بان يكون عظيم   قول الجهول ألا تكن حليما

وقوله

ما أنت للكلف المشوق بصاحل   فاذهب على مهل فليس بذاهب

وقوله

فى غير شأنك بكرتى واصيلى   وسوى سبيلك فى السلو سبيلى

وقوله

بعض هذا العتاب والتفنيد   ليس ذم الوفاء بالمحمود

« ولهما فى تأنيب العذال فى غير الوقوف على الديار ابتداءات ليس بضائر ذكرها ههنا فمن ذلك قول أبى تمام »

تقى جهاتى لست طوع مؤنبى   وليس جنيبى ان عذلت بمصحبى

وقوله أيضا

داب عينى البكاء والحزن دابى   فاتركي وقيت مابى لمابى

وقوله أيضا

كفى وغاك فاننى لك قالى   لى ليست هوادى عزمتى بتوال

وقوله أيضا

لامته لام عشيرها وحميمها   منها خلائق قد أبر ذميمها

وقوله أيضا

متى كان سمعى خلسه للوائم ... وكيف صغت للعاذلين عزائمى

وقوله أيضا

قدك أتئب أربيت فى الغلوآء ... كم تعـذلون وأنتم شجرآئى

وهذه كلها ابتداءات صالحة الاهذا البيت الاخير فان الناس عابوه وذكر أبو عبدالله محمد بن داود بن الجراح فى كتابه ان ماعيب من ابتدا آت الطائى قوله

كذا فليجل الامر وليفدح الامر

وقوله

خشنت عليه ابن خشين

فاما قوله خشنت عليه فهو لعمرى من تجنيساته القبيحة وعهدت مجان البغداديين يقولون قليل نورة يذهب بالخشونة واما قوله كذا فليجل الخطب وليفدح الامر فليس بعيب عندى وقد ذكرته فى ابتداءات المراثى وأخبرت بعناده واما قوله قدك اتئب أربيت فى الغلواء فانها ألفاظ صحيحة فصيحة من ألفاظ العرب مستعملة فى نظمهم ونثرهم وليست من متعسف ألفاظهم ولا وحشى كلامهم ولكن العلماء بالشعر أنكروا عليه أن جمعها فى مصراع واحد وجعلها ابتداء قصيدة ولم يفرق بينها الا بفواصل فقال قدك أتئب أربيت فى الغلواء فصار قوله قدك اتئب كانها كلمة واحدة على وزن مستفعلن وضم اليه أربيت فى الغلواء فاستهجنت ولو جاء هذا فى شعر اعرابى لما أنكروه لان الاعرابى انما ينظم كلامه المنثور الذى يستعمله فى مخاطباته ومحاوراته ولو خاطب أبو تمام بهذا المعنى فى كلامه المنثور لما قال لمن يخاطبه الا حسبك استحى زدت وغلوت وهذا كلام حسن بارع قال فن شأن الشاعر الحضرى أن يأتى فى شعره بالالفاظ المستعملة فى كلام الحاضرة فان اختار أن يأتى بما لا يستعمله أهل الحضر فمن سبيله أن يجعل من المستعمل فى كلام أهل البدو دون الوحشى الذى يقل استعمالهم اياه وان يجعله متفرقا فى تضاعيف ألفاظه ويضعه مواضعه فيكون قد اتسع مجاله بالاستعارة ودل على فصاحته وعلمه وتخلص من الهجنة كما أن الشاعر الاعرابى اذا أتى فى شعره بالوحشى الذى يقل استعماله اياه منثور كلامه وماجرى دائما فى عادته هجنه وقبحه الا أن يضطر الى اللفظة واللفظتين ويقال ولا يستكثر فان الكلام أجناس اذا أتى منه شىء مع غير جنسه باينه ونافره وأظهر قبحه وقد تصرف البحترى فى هذا الباب أحسن تصرف وأبلغه وأعجبه فمن ذلك قوله

أتــاركى أنت ام مرى بتتعـذيبي ولائمى فى هوى إن كان بردى بى

وقوله أيضا

يفنـدون وهم أدنى الى الفنــد ويرشدون وما العذال فى رشد

وقوله أيضا

انما الغنى أن تـكون رشيدا فانقصا من ملامتى أو فزيدا

وقوله أيضا

ألم يـك فى وجدى ويرح تلددى نهاية نهى للعـدو المفتـدى

وقوله أيضا

مرنت مسامعه على التفنيــد ورسيس حب طـارف وتليـد

وقوله أيضا

شـغلا من عـذل ومن تفنيـد وسيس حب طارف وتليد

وقوله أيضا

اقصرا ليس شأنى الا كثار واقلالن يغنى الا كثار

وقوله أيضا

قلت للائم فى الحب أفق لا تهون طعم شىء لم تذق

وقوله أيضا

اما ان كان فى تلك الربوع السوائل بيـان لناآء أو جواب لسائل

وقوله أيضا

أ كثرت فى لوم المحب فأقلل وأمرت بالصبر الجميـل فأجمل

وقوله أيضا

رويدك إن شأنك غير شانى وقصرى لست ساعة من تهانى

وقوله أيضا

يـكاد عـاذلنافى الحب يغرينا فما لجاجـك فى لوم المحبينــا

وقوله أيضا

عذيري فيك من لاح اذا ما شكوت الحب قطعني ملاما

وقوله أيضاً

طفقت تلوم ولات حين ملامه لا عند كرته ولا احجامه

ولا خفاء بفضل البحتري في هذا الباب على أبي تمام وقد مضت الموازنة بين الابتداات بذكر الديار والآثار وأما الآن فاذكر ما جاء عنهما من ذلك وسط الكلام

« ما قالا في أوصاف الديار والبكاء عليها قال أبو تمام »

طلل الجميل لقد عفوت حميداً وكفى على رزئي بذاك شهيدا

دمن كأن البين أصبح طالبا دمنا لدى آرامها وحقودا

قربت نازحة القلوب من الجوى وتركت شأو الدمع فيك بعيدا

خضلا اذا العبرات لم تبرح لها وطنا سرى قلق المحل طريدا

وقوله وكفى على رزئي بذاك شهيدا ليس بالجيد وقد ذكرت معناه في باب الابتداآت عند البيت وقوله قربت نازحة القلوب من الجوى يريد القلوب التي بعد عهدها بعرض الحب فاريتهما من ذلك عند الوقوف عليك يخاطب الدمن وقوله تركت شأو الدمع فيك بعيدا أي دائما طويلا وقوله خضلا اذا العبرات لم تبرح لها وطنا سرى قلق المحل طريد أي من كان انما يبكي في وطنه على الحوادث التي تحدث عليه فيه سرى هذا الدمع قلق المحل اذا عسف المسير لطوله حتى يحل بهذه الدمن وهذا نحو من قوله

فما وجدت على الاحشاء أبرد من دمع على وطن لي في سوى وطني

فقوله على وطن يعني الرسوم والطلول التي يقف عليها وهذا من جيد الفاظه وصحيح معانيه وغرضه فيما وصف من الدمع غرض صحيح وأحسن منه وأغرب قوله

أما الرسوم فقد أذكرت ما سلفا فلا تكفن من شأنيك أو يكفا

لا عذر للصب أن يفني السلو ولا للدمع بعد مضي الحي أن يقفا

حتى يظل بماء سافح ودم في الربع يحسب من عينيه قد رعفا

وهذا ليس له وانما أخذه من قول أبي وجزة

عيون ترامى بالرعاف كأنه من الشوق صردان تدب وتلمع

قيل في تفسيره شبه الدمع وقد عصفره الدم بالرعاف وشبه العيون وهي تفيض بالدمع تارة وتحبسه أخرى بالصردان تنتفض تارة وتظهر عرضا من الارض تارة

وبيت أبي تمام أجود لفظا ونظما ولا أظن البحتري ذهب الى مثل هذا المعنى ولا للمعنى الذى قبله ولكنه يعتذر مدة بقلة دمعه ومرة يذكر كثرته ويفتخر بغزره وفى كل ذلك يحسن ويجيد فمن اعتذاره قوله فى قصيدته التى أولها

فيم ابتدار كما الملام ولوعا ابكيت الا دمنــــة وربوعا
يا دار غيرها الزمان وفرقت ايدى الحوادث شملها المجموعا
لوكان لى دمع يحسن لوعتى خليته فى عرصتيك خايعـا
لا تخطي دمعى الى فلم يدع فى مقلتى جوى الفراق دموعا

قوله فى ابتداء القصيدة ابكيت الا دمنة وربوعا قد اخبر أنه بكى ثم قال لوكان لى دمع يحسن لوعتى الى لو كان لى دمع عزير يليق بلوعتى وينبيء عنها وكذلك قوله فلم يدع فى مقلتى جوى الفراق دموعا أى دموعا كافية ارضاها أو دموعا تسعنى لانه استقل دمعه واستنزره وان يكون انقطع دمعه ولله در كثير اذ يقول

وقضين ما قضين ثم تركتنى بفيفا جريم واقفـا اتلدد
ولم أر مثل العين ضننت بمائها على ولا مثلى على الدمع يحسد

وقال ابو تمام

اقشيب ربعهم أراك دريسا تقرى ضيوفك لوعة ورسيسا
ولئن حبست على البلى لقد اغتدى دمعى عليك الى الممات حبيسا
وارى رسومك موحشات بعدما قد كنت ما لوف المحل انيسا
وبلاقعا حتى كأن قطينها حلفا يمينا أحلقتك غموسا

وهذا كلام رصين وقوله حلفوا يمينا احلقتك أى كانهم حلفوا يمينا أن لا يعودوا اليك فاحلقك ذلك ومن حلو معانيه وجيد الفاظه فى البكاء على الديار وقوله

دمن لوت عزم الديار ومزقت فيها دموع العين كل ممزق

وقال أيضاً

سقى عهد الحمى سيل العهاد وروض حاضر منه وبادى
نزحت به ركى العين أنى رأيت الدمع من خير العتاد

وهذا البيت فى غاية الجودة لفظه ومعناه الا أنه وصله بكلام غليظ فقال

فياحسن الرسوم وما تمشى اليها الدهر فى صور العباد

هذا بيت فى غاية الرداءة والسخافة ومعناه فياحسن الرسوم ولم يعش اليها الدهر

أى لم يصبها الدهر ببعد أهلها عنه فاخرجه هذا المخرج القبيح المستهجن

(ومن احسان أبى عبادة المشهور فى هذا قوله)

امحلتى سلمى بكاظمة أسلما وتعلما أن الهوى ماهجتما
هل ترويان من الأحبة هائما أو تسعدان على الصبابة مغرما
ابكيكما دمعا ولو أنى على قدر الجوى أبكى بكيتكما دما

« ومن جيد شعر أبى تمام أيضاً فى هذا البيت قوله »

ارامة كنت مالف كل ريم لو استمتعت بالانس القديم
ادار البؤس حسنك التصابى الى فصرت جنات النعيم
لئن أصبحت ميدان السوافى لقد أصبحت ميدان الهموم
ومما ضرم البرحاء انى شكوت فما شكوت الى رحيم
اظن الدمع فى خدى سيفنى رسوما من بكاى فى الرسوم

وهذا من أسهل الكلام وأسلس نظمه ومن أبعد قول من التكلف والتعسف واشبهه بكلام المطبوعين وأهل البلاغة وقوله فصرت جنات النعيم معنى حسن ولكن فيه اسراف أن يجعل دار خلت من أهلها دار بؤس وهو باك فيها جنات النعيم وقد اتى البحترى بهذا المعنى متبعا فيه ابا تمام ولكنه جاء به على سبيل اقتصاد واعتدال واجتنب أفراطه فقال

يامغانى الاحباب صرت رسوما وغدا الدهر فيك عندى ملوما
الف البؤس عرصتيك وقد كنت بعينى جنة ونعيما

فقال الف البؤس عرصتيك ثم قال وقد كنت بعينى جنة ونعيما فجعلها جنة ونعيما فيما مضى ومع هذا فانى أقول أن بيت أبى تمام أحسن وهو فى سائر أبياته أشعر

وقال البحترى

لعمرك أن الدرسات لقد غدت بر ياسعاد وهى طيبة العرف
بكينا فمن دمع يمازجه دم هنالا ومن دمع تجود به ضرف

وهذا حسن جدا وانما أخذ قوله بر ياسعاد وهى طيبة العرف من قول الآخر أنشده الاخفش عن المبرد

واستودعت نشرها الديار فما تزداد الا طيبا على القدم

وهذا أجود من بيت البحترى لما فيه من الزيادة الحسنة وهى قوله فما تزداد الا طيبا على القدم

وقال البحترى

ترى الليل يقفى عقبة من هزيعه أو الصبح يجلو غرة من صريعه
أو المنزل العافى يرد أنيسه بكاء على اطلاله وربوعه
اذا ارتفق المشتاق كان سهاده احق بجفنى عينه من هجوعه

وهذا معنى نحل ومعان فى غاية الصحة والاستقامة وللبحترى فى وصف الديار والبكاء عليها مذهب آخر وهو قوله

ابكاء فى الدار بعد الدار وسلوا بزينب عن نوار
لاهناك الشغل الجديد بحزوى عن رسوم برامتين قفار
ماظننت الاهواء قبلك تمحى من صدور العشاق محو الديار
نظرة ردت الهوى الشرق غربا وأمالت نهج الدموع الجوارى

وهذا غرض حلو ومعنى لطيف ومثله قور ولكن ليس فيه ذكر البكا

أبيت باعلى الحزن والرمل دونه مغان لها مجفوة وطلول
وقد كنت أرجو الريح غربا مهبها فقد صرت أهوى الريح وهى قبول

وذلك لان القبول هى الصبا ومهبها من مطلع الشمس ونحوه قوله

كفتنى أريحيات الصبا كلفا فى الحب ممتد الرسن
نقلتنى فى هوى بعد هوى وابتغت لى سكنا بعد سكن

وقوله

ما ظننت الاهواء قبلك تمحى من صدور العشاق محو الديار

معنى حسن وانما أخذه من قول أبى تمام

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت منها طلول باللوى ورسوم

وبيت البحترى أحلى وأبدع وقال البحترى فى وجه آخر وهو أيضا حسن لطيف

فى كل يوم دمنة من جهنم تقوى وربع بعدهم يتأبد
أوما كفانا أن بقينا غردا حتى شجتنا بالمنازل تمهد

ومثله

هو الدمع موقوفا على كل دمنة نعرج فيها أو خليط نزايله
ترافهم خفض الزمان ولينه وجادهم طل الربيع ووابله

وانما حذا البحترى هذا المعنى على حذو قول كثير

وكنت امرأ بالغور منى صريمة ... وأخرى بنجدما لعينيك ما تبدى
فطورا اكر الطرف نحو تهامة ... وطورا اكر الطرف كرا الى نجد
وأبكى اذا فارقت هندا صبابة ... وأبكى اذا فارقت دعدا على دعد

وهذا مالا مزيد فيه على حسنه وطلاوته ومثله قول جرير

أخالد قد علقتك بعد هند ... فشيبنى الخوالد والهنود
هوى بتهامة وهوى بنجد ... فقتلننى التهائم والنجود

وقال

أحب ثرى نجد وبالغور حاجة ... فغار المعنى عبد قيس وانجدا

« وهذا باب فى وصف اطلال الديار و آثارها قال أبو تمام »

قفوا نعطى المنازل من عيون ... لها فى الشوق احساء غزار
عفت آياتهن وأى ربع ... يكون لها على الزمن الخيار
اثاف كالخدود لطمن حزنا ... ونؤى مثل ما انفصم السوار

قوله احساء جمع حسى وهو الماء يغيض فى الرمل فاذا وصل الى الصلابة وقف فيحفر عنه ويشرب وقال البحترى

عوض منهم خسيس وقد حلوا اللوى منزل بوجرة عاف
لم تدع منه مبليات الليالى ... غير نؤدى تسفى عليه السوافى
وأثاف اقت لها حجج دون لظى النار مثل كالاثافى

وقوله مثل قائمة ثابتة كالاثافى يريد الكواكب التى عند الفرقدين وهى ثلاثة قيل لها أثاف لشبهها بالاثافى فشبه البحترى الاثافى بها لثبوتها وأنها مثل على مر الدهر قال أبو حنيفة الدينورى فى كتابه فى الانواء أن تثليثها اطول ولو شبهها البحترى بالنسر الواقع لانه أشهر وأظهر وأقرب شبها لكان ذلك أحسن وأكشف للمعنى من أن يشبهها بشىء انما استعير له اسمها وليس يعرفه كل أحد ولكنه جاء من أجل القافية وقال البحترى

لها منزل بين الدخول فتوضح ... متى تره عين المتيم تسفح
عفا غير نؤى دارس فى فنائه ... ثلاث اثاف كالحمائم جنح

وهذا جيد حسن على منهج الشعراء وأظنه أخذه من قول عدى بن زيد

وثلاث كالحمامات بها ... بين مجناهن توشيم الحمم

وابن الاعرابى قال لا يكون مجثاهن انما هو مجراهن أو من قول أبى نواس

كما اقترنت عند الممر حمائم   كبيرات تمسى بينهن وكون

وهذا أجود من بيت عدى ومن بيت البحترى وقد شبه الاثافى بالحمائم غير واحد من الشعراء والبالغ النادر فى وصف الاثافى قول كثير

امن آل قيلة بالدخول رسوم   وبحومل طلل يلوح قديم

لعب الزمان برسمه فاجده   جون عواكف فى الرماد جثوم

سفع الخدود كأنهن وقدمضت   حجج عوائد بينهن سقيم

قوله فاجده جون عواكف يعنى الاثافى لان الريح لما كشفت عنها ظهرت سوداء شبهها بالعوائد والجون الاسود والجون الابيض وهو من الاسماء المترادفة (لعله المتضادة) قال الاصمعى ويقال غابت الجونة وطلت الغزالة يعنى مغيب الشمس وطلوعها وهما اسمان من أسماء الشمس وانما سميت الشمس جونة عند الغروب لانه يعرض فيهما من تغير اللون من السواد

كمل كتاب الموازنة بين شعرى أبى تمم وأبى عبادة البحترى الطائيين مما ألفه أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحى الآمدى رحمه الله تعالى والحمد لله وحده